

علي بن إبراهيم النَّمْلَة

الاستشراق السياسي

وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب



الاستشراق السياسي
وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب



٦٤٣٤ هـ علي بن ابراهيم النملة،

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النملة، علي ابراهيم

الاستشراق السياسي: وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب. / علي ابراهيم
النملة. - الرياض، ١٤٣٦ هـ

٢١٦ ص؛ ٢١,٥ × ١٤,٥ سم

ردمك: ٩٧٨ - ٦٧٣٩ - ٦٠٣ - ١٠ - ٥

١ - الاستشراق والمستشرقون ٢ - الشرق الأوسط أ. الأحوال السياسية

١٤٣٦/٣٦٠

ديبو ٣٠١,٣٩٥

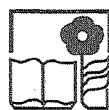
رقم الإيداع: ١٤٣٦/٣٦٠

ردمك: ٩٧٨ - ٦٧٣٩ - ٦٠٣ - ١٠ - ٥

علي بن إبراهيم التملة

الاشتراك السياسي

وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب



بيان

- اسم الكتاب: الاستشراق السياسي وصناعة المكرادية بين الشرق والغرب
- المؤلف: علي بن إبراهيم النملة
- الطبعة الثانية: أيار (مايو) 2015 م

ISBN 978 - 3899 - 11 - 145 - 3 ●

• جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

• لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو احتزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء أكانت «الكترونية» أم «ميكانيكية»، أم بالتصوير، أم بالتسجيل أم خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر ومقدماً.

• الناشر: بيسان للنشر والتوزيع

ص. ب: 5261 - 13 بيروت - لبنان

تلفاكس: 00961 1 351291

E-mail: info@bissan-bookshop.com

Website: www.bissan-bookshop.com

مكتبة بيسان للنشر والتوزيع



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«إِنَّ اللَّهَ لِيَنْعِي بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَنْعِي بِالْقُرْآنِ»

ال الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه -

انظر : ابن تيمية . مجموع الفتاوى - 11 : 416

«الكراء لا تأتي بالوراثة ، بل تأتي بالتربيـة والتعلـم»

«الحياة في سبيل الله أصعب من الموت في سبيل الله»

الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله تعالى -

تنويه

تأتي هذه الدراسة تطويراً لدراسة سابقة للباحث بعنوان «صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها»، صدرت عن دار الفكر بدمشق في طبعتها الثانية سنة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، في ١٧٤ ص، ضمن سلسلة نقد العقل المعاصر.

المدخل

في الكراهية

- الحمد لله وحده والصلوة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد؛
- فقد ظهرت تساؤلات فكرية حول ما يسّر العلاقة بين الثقافات المختلفة، ومدى عمقها بحيث تطغى على فرص الالقاء، ومدى إمكانية تجلية هذه الاختلافات. وهذا يعني وجود ثقافات مترادفة ابتداءً. ويتعذر صهر الأمم في ثقافة واحدة، رغم المحاولات غير الواقعية التي تسعى لذلك باسم العولمة الثقافية، فقد شاءت إرادة الله تعالى أن يكون هذا الكون أمماً وشعوبًا وقبائل، كما شاءت إرادته - سبحانه وتعالى - أن يكون هناك تعارفٌ بين الأمم، كما يكون بينها اختلافٌ. والأصل في العلاقة بين الأمم هو التعارف والتحالف، كما سيأتي تفصيله - بحول الله تعالى -.
- من تجلية هذه الاختلافات توظيف المشاعر والأحساس الإنسانية التي خلقها الله تعالى في ابن آدم، وجعلها - سبحانه وتعالى - من محرّكات حياة الإنسان اليومية، داخل ذاته وبين أهله وقومه، ومع العالم من حوله. الحبُّ والمودةُ والرحمة

وغيرها من الصفات الحميدة الكثيرة يقابلها أقل منها صفات غير حميدة، مثل الكراهة والبغض والحدق. تقوم هذه الصفات الإنسانية بمحجِّبٍ مؤثِّراتٍ تغذّيَها أو تسعى إلى كبحها. فهي في الأصل موجودة وفي نفيها مغالطات لا تتفق مع الطبيعة البشرية.

- يرى بعض المفكّرين أنَّ «الكراهة» شعور بالاستياء والغيظ، يستحضر دومًا رد فعل. وهو يخلق جملةً من المدركات المتبادلة بين الأشخاص الذين يبغضون موضوع كراهيتهم. ومن الخطورة بمكان – كما يشير التاريخ – أنَّ يعتبر المرء نفسه موضوعًا وهدفًا للبغضاء، ويخاف انقضاض كره الآخرين عليه. وهذا يعادل تماماً خطر جعل «الآخر» هدفًا للكراهة». (١) وقيل إنَّ «الكراهة لا تأتي بالوراثة، بل تأتي بالتربيَّة والتعلُّم».

- والبحث حول هذه الصفات الإنسانية بين الحب والموذَّة والكراهة والحدق يتركَّز على المدى، وليس على المفهوم نفسه، فالمفهوم راسخٌ في النفس البشرية، والمدى هو الذي يُغذّي أو يُكبح. والصفات الحميدة مطلوبٌ تغذيتها، بينما يطلب الكبح للصفات غير الحميدة، بحيث لا تخرج عن المدى الذي يملئه المتطلَّب الإنساني والثقافي. فالسامحة مطلوبٌ بشرى، وهي متمثَّلةٌ في حسن الخُلُق. وسيأتي نصٌّ جامعٌ مانعٌ للإمام أبي حامد الغزالى عن حسن الخُلُق.

(١) انظر: ضياء الدين سردار وميريل وين ديفيز، لماذا يكره العالم أمريكا؟ / نقله إلى العربية معين الإمام. - الرياض: مكتبة العيikan، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. -
ص. ٨٨

- في هذه الوقفات، ومن هذا المنطلق في التعاطي، نقاش حول الاستشراق السياسي، على اعتبار أنه مؤثر سلبي أكثر من كونه مؤثراً إيجابياً في صناعة الكراهية بين الشرق والغرب.
- وتأتي هذه الوقفات صدىً للندوة التي أقامتها رئاسة الحرس الوطني (وزارة الحرس الوطني لاحقاً) في المهرجان الوطني للتراص والثقافة، في دورته الثانية والعشرين، سنة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م. رأيت - بدعوة من المهرجان - أنَّ أَسْهَمَ فِيهِ بِمُحَدَّدٍ مِّنْ مَحَدُودَاتِ الْعَالَمِ الْمُعَاصِرِ ثَقَافَاتِ الْعَالَمِ الْمُعَاصِرِ، لَا سيَّما بَيْنِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْغُربَيَّةِ الْلَّتَيْنِ تَكَثَّانُ عَلَى خَلْفِيَّةِ دِينِيَّةٍ، مُعْتَبِرًا أَنَّ الْإِسْتَشْرَاقَ الْقَدِيمَ أَوَ التَّقْليديَّ أَوَ الْكَلاسِيكيَّ وَالْإِسْتَشْرَاقَ الْمُعَاصِرَ أَوَ الْجَدِيدَ، كَمَا يَعْبُرُ عَنْهُ رَضْوانُ السَّيِّدُ وَعَبْدُ النَّبِيِّ أَصْطَيْفِ وَغَيْرَهُمَا،^(١) أَوَ مَا يَمْكُنُ أَنْ يَعْبُرَ عَنْهُ بِمَا بَعْدِ الْإِسْتَشْرَاقِ أَوِ الْإِسْتَشْرَاقِ الْمُتَجَدِّدِ (Neo-Orientalism)، وَهُوَ الْمُصْطَلُحُ الْمُخْتَارُ لِلْبَاحِثِ، يُعَدُّ أَحَدُ أَبْرَزِ هَذِهِ الْمَحَدُودَاتِ فِي الْعَالَمِ الْمُعَاصِرِ بَيْنِ الْشَّرْقِ وَالْغَربِ؛ بِمَا أَسْهَمَ بِهِ مِنْ جَهَودٍ حَسَنَةٍ، وَأَخْرَى سَيِّئَةٍ، فِي سَبِيلِ اقْتِلَاعِ جُذُورِ الْكَرَاهِيَّةِ بَيْنِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْغُربَيَّةِ أَوْ تَرْسِيقِهَا.^(٢)

(١) انظر: رضوان السيد. نقد الاستشراق..- الاجتهداد..- ع ٥٠٥ و ٥١٥ (ربيع وصيف عام ٢٠٠١هـ / ١٤٢٢هـ).- ص ٥، وص ٣٥ - ٦٣.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدودتها. - ط ٣. - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ص ١٥١ - ١٨٨.

● على أنَّ عبد النبي أصطيف يرى في مصطلح «الاستشراق الجديد» مقصداً جديداً، ينحصر في اهتمام الشرقيين (الداخلين) وتولِّيهم «المسؤولية كاملةً في إنتاج كلٍّ ما يتَّصلُ بتاريخهم ومجتمعاتهم وثقافاتهم من معرفةٍ، وألاً يعتمدوا كلَّ الاعتماد أو جُلُّه على «الآخر» - الغربي بشكلٍ خاصٍ - في إنتاج هذه المعرفة؛ لأنَّهم عند ذلك يغامرون، إنْ لم يكونوا يُغامرون، بأمنهم واستقرارهم ومستقبلهم. والأمن الحقيقى هو الأمن المعرفي، الذى يكُفُّ المعرفة، التي يحتاجها الشرقيون لفهم ماضيهم واستيعاب حاضرهم وبناء مستقبلهم». ^(١)

● ولعلَّ عبد النبي أصطيف يقرُّب بالاستشراق الجديد هنا إلى ما نعُبرُ عنه الآن بالالتفات إلى الذات، والاستغناء عن الآخر في هذا المجال العلمي والفكري الربح. ^(٢) وتذكَّر وفاء مرزوق أنَّ مهمَّة الاستشراق الجديد هي إعادة إنتاج الأطروحتات الاستشرافية القديمة وتحديثها، «فالقول بنهاية الاستشراق إذا هو قولٌ بعيدٌ عن الصواب، والأصحُّ هو أنه وسَّعَ أهدافه، خصوصاً مع بداية الصحوة الإسلامية التي شهدتها سنوات السبعينيات ومشروعها النقدي للاستشراق، وهو ما أصبح يشكلُ نِدَاً

(١) انظر: عبد النبي أصطيف. نحو استشراق جديد. - الاجتهد. - ع ٥٠١ (٢٠٠١ / ١٤٢٢هـ). - ص ٣٥ - ٦٣. - والنصل من ص ٦٣.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. مراجعات في نقد الفكر الاستشرافي حول الإسلام والقرآن الكريم والرسالة. - ط ٢. - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م. - ص ٢٧ - ٢٨.

وخصوصاً للحركة الاستشرافية التي سعت إلى خدمة حكوماتها وفق أجنادٍ وأهدافٍ مرسومة». (١)

ويؤكّد موس أنَّ «الهدف الرئيس للاستشراف الجديد، ليس أداة فهم التحدّيات السياسية والاجتماعية التي يتورّط فيها الفاعلون الإسلاميون، بل في التحرُّر من الواقع التي لا تتوافق، أو تتوافق بصعوبة، مع مصالح هوياتية أو مهنية أو سياسية». (٢) ومع هذا فلا يُتوقع أن يتمَّ هذه الفهم إلا في مجال الإسهام المباشر بما يدعو إليه عبد النبي أصطفيف، دون الالتفات التام عن الاستشراف؛ إذ يظلُّ الاستشراف بتصنيفاته وفثاته وتصنيفاته قائماً وجزءاً مؤثراً من محددات العلاقة بين الشرق والغرب. (٣)

تتحقّق هذه العلاقة من الالتفات إليها، لا من منطلق التلاُمُ، بل من منطلق التعارف والتفاهم والتحالف، دون إغفال وجود الاختلاف بين الثقافات. (٤) ومن التلاُمُ أنْ يعتقد غير المسلمين بوجود المشكلة في الإسلام نفسه، وأنْ يعتقد المسلمون بوجودها

(١) انظر: وفاء مرزوق. الاستشراف الجديد: صراع مصالح أم حوار حضارات؟. - ثقافيات الإلكترونية. - (١/١) ١٤٣٦ هـ - ٢٥/١٠ م. ٢٠١٤.

(٢) انظر: وفاء مرزوق. الاستشراف الجديد: صراع مصالح أم حوار حضارات؟. - ثقافيات الإلكترونية. - المرجع السابق. - (١/١) ١٤٣٦ هـ - ٢٥/١٠ م. ٢٠١٤.

(٣) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدداتها. - مرجع سابق. - ص ١٥١ - ١٨٨.

(٤) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراف بين منحدين: النقد الجزري أو الإدانة. - الرياض: مجلة المجلة العربية، ١٤٣٤ هـ. - ٦١ ص. - (سلسلة كتب المجلة العربية). ٢٠١.

في نظر الآخرين في الإسلام. «وبالتالي يرون أنَّ غير المسلمين يبحثون عن الحل في المكان الخطأ، فيما يعتقد غير المسلمين أنَّ المسلمين عبًّا يبحثون عن الحل خارج الذاتية الإسلامية». ^(١)

- ربما كان من الالتفات إلى العلاقة بين الشرق والغرب عدم إغفال النظر إلى البُعد الجهوي على حساب البُعد الفكري، ولذلك جرى تقسيم الشرق ثلاثة أقسام؛ الأقصى والأوسط والأدنى. ويمكن قياسًا على ذلك تقسيم الغرب، من حيث موقفه الثقافي من الشرق إلى ثلاثة أقسام – كما يقسمه باسم خفاجي – على النحو الآتي :
- الغرب الأدنى، ويشمل روسيا وتركيا الأوروبيية والبلقان، أو أوروبا الشرقية، كما كانت تسمى ، وفيه غالبية مسلمة.
- والغرب الأوسط، ويشمل دول أوروبا الغربية، ولهذا القسم نظرته الشعبية السلبية التراؤمية للشرق، ونظرته المصلحية الرسمية مع الشرق، لكن ساسته يغلبون المصالح ويراعون الجوار. ^(٢)
- والغرب الأقصى، ويشمل شمال أمريكا ووسطها وجنوبها، ولهذا القسم الثالث نظرته الشعبية الإيجابية، ونظرته الرسمية السلبية الآتية مع الشرق، وهي تختلف عن نظرية الغرب الأوسط

(١) انظر: محمد السمّاك. موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد. - ط ٢ . - بيروت: ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م . - ص ١٥ - ١٦ .

(٢) انظر: خالد زيادة. لم يُعد لأوروبا ما تقدّمه للعرب . - بيروت: دار شرق الكتاب، ٢٠١٣ م . - ويقصد - من خلال استعراض الكتاب - بهذا البُعد الثقافي السياسي، أو الثقافي المُسيّس .

حتّى في طبيعة المسلمين المهاجرين إليه من حيث انتماءاتهم الجغرافية وتأهيلهم في مجتمع يقوم على التعددية، ولذا نجد أنّ من بين كل خمسة أطباء مثلاً، طبيباً مسلماً، وفي سانتا كلارا في كاليفورنيا سبع مئة (٧٠٠) عالم كومبيوتر كلهم مسلمون. (١)

● ويدخل هذا التقسيم في محاولات السعي إلى فهم الغرب ثقافياً من منطلق مفهوم الاستغراب، كما هو امتداد - ولو محدود جدًا - لأثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية. (٢)

● وفي ضوء التطورات السياسية الأخيرة في المنطقة العربية بخاصة، أو ما يسمى بمنطقة الشرق الأوسط، التي يأتي ضمنها الغزو الغربي لأفغانستان ثم للعراق في مطلع سنة ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م، ثم بعد ذلك الحرب على الإرهاب، وليس الحرب على الإسلام، بعد ربط الإرهاب بالإسلام! فكأنهم يصنعون الكراهية ليحاربوها!

● ومن الرؤى التي تداول في محيط نظرية المؤامرة، افتعال المشكلات التي تتتطور إلى درجة الدعوة إلى مواجهتها عسكرياً. وقد يجعل من مناطق القلق ميادين للمواجهة. ومن ألزم ذلك إلصاق هذه المشكلات بخلفية دينية، كالإسلام، وصنع بعض

(١) انظر: صلاح عبدالرزاق. المفكرون الغربيون المسلمين: دوافع اعتنائهم بالإسلام. - ٢ ج. - بيروت: دار الهادي، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م. - ٢: ٢٦٩.

(٢) انظر: أحمد علي الملا. أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية. - ط ٢. - دمشق: دار الفكر، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م. - ٢٣٩ ص.



العناصر التي تخدم هذا الإلتصاق إما مباشرة أو بالاستحواذ؛^(١) لتأجيج الموقف وتسوية التدخل، الذي قد يكون من نتائجه تحقيق مخطط الشرق الأوسط الكبير أو الجديد.

• ثم إن هناك من لا ينظر للوجود الغربي في أفغانستان وال العراق على أنه غزو أو احتلال، رغم أنَّ الغربيين يسمُونه كذلك «Invasion»، بل يرى أنه وجود مطلوب دعت إليه حكومتا هذين البلدين «الشرعيتين». ويظهر أنَّ في هذا التوجُّه مغالطة تقوم على توسيع واقع هذا النوع من الاحتلال.

• ويتجاوز هذا الغزو الآلة الحربية إلى استحضار الاستشراق القديم أو الكلاسيكي على الساحة، والسعى إلى أنْ يعيد التاريخ نفسه في استحضار الغزو الاحتلالي للعراق والمنطقة قبل قرون، حيث ظهرت حينئذٍ فكرة تهديد العراق، وظهرت فكرة تهديد أفغانستان، ثم أفغنة العراق،^(٢) وربما عرقنة أفغانستان، وربما أيضًا فتنمة العراق وأفغانستان، وربما عدم الاقتصار على البلدين فقط، أخذًا في الحسبان أنَّ البلدين المغزَّلين العراق

(١) يمكن أن يُنظر إلى الاستحواذ على أنه انتهاز فرصة وجود بعض العناصر القائمة أو حدثة التأسيس القابلة للاستحواذ بإدخال عناصر معها تستحوذ عليها، ومن ثم تتحقق أهدافها من خلالها. وتعود هذه الفكرة إلى المفكر المنظر في هذا الشأن محمد السعدي من جامعة أم القرى بمكَّة المكرَّمة.

(٢) انظر: فاضل الريبيعي. ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء. - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧م. -

وأفغانستان، وهما بلدان مسلمان، كانوا يعيشان - بتأثير من الآلة الحرية و«المعلوماتية الغربية» - حالاً أقلَّ ما يمكن أنْ يُقال عنها إنَّها كانت حالاً غيرَ مستقرَّة، ولا يزالان كذلك بفعل الآلة الغربية الغربية التي اصطحبت معها الاستشراق الجديد أو المتجدد^(١) لاسيما الاستشراق السياسي، تدعم به، كما كان الحال عليه من قبل وجودها في المنطقة.

● يسعى هذا البحث إلى توخيِّي الحذر في نقد الاستشراق الجديد أو المتجدد - كما أريد أنْ أُعبر عنه في هذه الدراسة وغيرها - بما في ذلك الميل إلى البحث عن نقاط القوَّة، إنْ وجدت، حيث تهادى نقاط القوَّة التي كانت واضحةً في الاستشراق القديم أو الكلاسيكي، في ضوء التوجُّه الغربي الحديث في النظرة إلى الإسلام والمسلمين - من منطلقات سياسية وإمبريالية - الساعية إلى عزل الإسلام ديناً عن المسلمين، ومن ثمَّ الانطلاق في اتهام بعض المسلمين، دون إثارة البقية لتلاؤفي الاتهام الجماعي، وتاليًا اتهام الإسلام نفسه! ومن ذا الذي يفرق بين اتهام المسلمين بإسلامهم واتهام الإسلام دون المسلمين؟!

(١) انظر: وائل غالى. ما بعد الاستشراق. - ٢ مج. - القاهرة: دار الهلال، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م. - ٣ : ٦٦. - وانظر أيضًا: علي عبداللطيف احمدية. ما بعد الاستشراق: مراجعة نقدية في التاريخ الاجتماعي والثقافي ١٩٩٠ - ٢٠٠٧م. - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩م. - ص ١١.

التمهيد

في فهم الاستشراق

- من المتعارف عليه بين من يدرسون الاستشراق والمستشرقين ويكتبون عنهم، فيقدمون لمفهوم الاستشراق ونشأته ودواجهه وأهدافه، أنهم يكادون يتّفقون على أهداف رئيسة ومجملة للاستشراق تلخص في خمسة دوافع وأهداف؛ هي الدوافع والأهداف الدينية والاحتلالية «الاستعمارية» والسياسية والتجارية الاقتصادية والعلمية.^(١) ورغم التداخل الواضح بين الأهداف الاحتلالية والأهداف السياسية، بل ربما التداخل بين الأهداف كلها، إلا أنّ هناك فرقاً بين الأهداف الاحتلالية والأهداف السياسية، من حيث الديمومة من عدمها، ومن حيث تغيير الرؤى حول المناطق التي يُراد لها أن تخضع للهيمنة، ومن حيث الوسائل التي يلجأ إليها كل دافع في سبيل تحقيق أهدافه.
- وعلى هذا فالهدف السياسي للاستشراق هدف معتبر لدى فئة من

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. كُنه الاستشراق: المفهوم - الأهداف - الارتباطات. - ط ٢. - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م. - ص.

المستشرقين، ولدى من انبروا لنقد الاستشراق من الذين التفتوا من العرب والمسلمين لنقد الاستشراق والمستشرقين.^(١) يقول رضوان السيد: «الاستشراق إذن عند الكثرة الكاثرة من كتاب العرب والمسلمين المحدثين والمعاصرين هو الوجه الأكاديمي أو المدون للسياسة الاستعمارية في الشرق».^(٢)

ويُظْهِرُ بعض النَّقَادُ لِلْاسْتِشْرَاقَ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ رَكَّزَ عَلَى الْاسْتِشْرَاقِ السِّيَاسِيِّ - عَلَى الْمَسْتَوِيِّ الْعَرَبِيِّ - هُوَ الْمُفَكِّرُ الْعَرَبِيُّ الْفَلَسْطِينِيُّ إِدْوَارْدُ سَعِيدُ فِي كِتَابِهِ الْمُشْهُورِ الْاسْتِشْرَاقِ.^(٣) وَوَاقِعُ الْحَالِ أَنَّ إِدْوَارْدُ سَعِيدَ (١٩٣٥ - ٢٠٠٣م) مُسْبُوقٌ فِي إِثَارَةِ مَوْضِعِ الْاسْتِشْرَاقِ السِّيَاسِيِّ، كَمَا هُوَ الْحَالُ لِدِيِّ عَائِشَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ (١٤١٩ - ١٤٣٠هـ / ١٩١٣ - ١٩٩٨م)،^(٤) ثُمَّ يَأْتِيُ نُورُ عَبْدِ الْمُلْكِ (١٩٢٤ - ٢٠١٢م)، وَلِهِ السُّبُقُ فِي إِثَارَةِ مَوْضِعِ الْاسْتِشْرَاقِ السِّيَاسِيِّ بِغَيْرِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، عَنْدَمَا نُشِرَ

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. مراجعات في نقد الفكر الاستشرافي حول الإسلام والقرآن الكريم والرسالة. - مرجع سابق. - ٢٨٠ ص. - وانظر للمؤلف أيضًا: نقد الاستشراق والمستشرقين في المراجع العربية. - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ٣٠٣ ص.

(٢) انظر: رضوان السيد. ثقافة الاستشراق ومصائره وعلاقات الشرق بالغرب: إسهام مُهدي لرودي بارت. - الفكر العربي. - ع ٣١ (١١ - ٣/١٩٨٣م). - ٤ - ٢٣. - والنصل من ص ١٧.

(٣) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق/ ترجمة محمد عناني. - القاهرة: رؤية، ٢٠٠٦م. - ٦٥٠ ص.

(٤) انظر: عائشة عبد الرحمن. ثائنا بين ماضٍ وحاضرٍ. - القاهرة: دار المعارف، ١٣٨٩ - ١٩٦٨هـ / ١٩٦٩م. - ص ٥٢ - ٥٣.

مقالته «الاستشراق في أزمة»^(١) سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣ م باللغة الفرنسية، ولم تُقل إلى اللغة العربية إلا بعد عشرين عاماً من نشرها بالفرنسية،^(٢) ثم المقالة الثانية له بعنوان هل مات الاستشراق؟ الذي نشره سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م،^(٣) وعبدالله العروي (١٩٣٣م) وحسن حنفي (١٩٣٥م)، وغيرهم كنماذج تصدّت لإطروحات المستشرقين في نظرتهم إلى العرب والإسلام من زاوية طغى عليها النقاش السياسي، وإصرار بعض المستشرقين على اتباع أسلوب إثارة الشبه، هذا مع اختلاف الانطلاقات الفكرية لكلٍّ من هؤلاء المذكورين.^(٤)

• ويمكن القول إنَّ أنور عبدالملك وبعده إدوارد سعيد هما اللذان حرَّكا الاستشراق السياسي على المستوى العالمي في الزمن المعاصر ومن داخل مناطق الاستشراق السياسي، وأظهرا الاستشراق السياسي على السطح وربطاه ربطاً مباشرًا

(١) انظر: أنور عبدالملك. الاستشراق في أزمة/ ترجمة حسن قيسى. - الفكر العربي. - ع ١٣١ (١٩٨٣/٣). - ص ٧٠ - ١٠٥.

(٢) انظر: محمد رضوان. القدس الشريف في الاستشراق اليهودي. - الرياض: المجلة العربية، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م. - ص ١١١ - ١١٥. - (سلسلة كتاب المجلة العربية؛ ٢١٤).

(٣) انظر: وفاء مرزوق. الاستشراق الجديد: صراع مصالح أم حوار حضارات؟. - ثقافيات الإلكترونية. - (٢٩/١٢/١٤٣٥هـ - ٢٣/١٠/٢٠١٤م).

(٤) انظر: نديم نجدي. أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند إدوارد سعيد - حسن حنفي - عبدالله العروي. - بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٥م. - ص ٩ - ٢١.

بالإمبريالية،^(١) لا سيما الإمبريالية الأمريكية،^(٢) وعبا على الاستشراق خدمته للاحتلال الأوروبي في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين،^(٣) فكانت أعمالهما تطويراً لحركة عربية لحقل غربي معروفي هو نقد الاستشراق، بدأ التطوير فيه أنور عبد الملك وتوسّع فيه وفَكَّه إدوارد ديدع إبراهيم سعيد.^(٤) ويمكن أن يكون نواةً لعلم أو حركة متقدّدة، وليس جديداً هي علم أو حركة الاستغراب.^(٥)

● مع أنَّ إدوارد كان يحمل الجنسية الأمريكية، ويعمل في جامعة من الجامعات المرموقة في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي جامعة كولومبيا بمدينة نيويورك، التي تُعدُّ من أفضل عشر

(١) انظر: ديفيد بارسيمان. الثقافة والمقاومة: محاورات مع إدوارد سعيد/ ترجمة ينال قاسه. - دمشق: نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م. - ١٦٧ ص. - وانظر الطبعة الأخرى لكتاب: إدوارد سعيد. الثقافة والمقاومة/ حاوره ديفيد بارسيمان، ترجمة علاء الدين أبو زينة. - بيروت: دار الأداب، ٢٠٠٦م. - ١٨٥ ص.

(٢) انظر: جينيفير جينكنز. الاستشراق الألماني: مقدمة. - مجلة الدراسات المقارنة لجنوب آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط of South Asia, (Africa and the Middle East). - ع ٢٤ (٢٠٠٤م). - ص ٢، حيث السعي إلى التغريق بين الاحتلال (الاستعمار) والإمبريالية.

(٣) انظر: محمد رضوان. القدس الشريف في الاستشراق اليهودي. - مرجع سابق. - ص ١٠٥.

(٤) انظر: محمد رضوان. القدس الشريف في الاستشراق اليهودي. - مرجع سابق. - ص ١١٢.

(٥) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الدعوة إلى قيام علم الاستغراب. - محاضرة في ملتقى مركز عبد المحسن بن جلوى للدراسات والبحوث الإسلامية. - الدمام: الملتقى، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣م.

جامعات في الولايات المتحدة الأمريكية. ولا يكاد عملٌ معنويٌ بالاستشراق يظهر بعد كتاب إدوارد سعيد إلا ويتعرّض له من قريب أو بعيد بالتأييد أو التفنيد، بحيث تُرجم كتابه إلى لغات عدّة.

● وهو الذي لقيَ ردودًا متباعدة من الشرق والغرب على كتابه المشهور عن الاستشراق، رِبَّما كان منها في الشرق ما يدعو إلى اتّباع لهجة الاعتذار للغرب، وأنَّ ما يقوم به الغرب الأوسط والأقصى من مواقف تجاه العالم الثالث - والعالم العربي والإسلامي جزء منه - إنما هو مما تمليه الحقبة التاريخية التي نعيشها، وهي التي لا تستغني عن الغرب في تأثيره على الأمم التي تحتاج إلى من يواظبها ويقودها من الظلمات إلى النور!

● وإزاء هذه الانتقادات اللاذعة، التي تلقاها إدوارد سعيد، بل والتهديدات والضغوطات بطرده من الجامعة التي يُعُدُّ من ألمع أساتذتها، ما كان منه إلا أنْ ينشر تعقيبات على كتابه الاستشراق، وعلى أولئك الذين انتقدوا طرحوه للاستشراق من الشرق والغرب بربطه بالإمبريالية على وجه من التعميم،^(١) ذلك الرابط الذي لا يصدق على الاستشراق بعمومه. فهناك استشرافات لا تزال ترتبط بالإمبريالية الغربية،^(٢) وهناك - في الوقت نفسه -

(١) انظر: إدوارد سعيد. تعقيبات على الاستشراق / ترجمة وتحرير صبحي حديدي. - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٦. - ١٦٠ ص.

(٢) انظر: إبراهيم خليل أحمد. الاستشراق والتبيير وصلتهم بالإمبريالية العالمية. - القاهرة: مكتبة الوعي العربي، (١٩٧٣). - ١٩٣ ص.

استشرافات أخرى - وهي الأكثر والأعم - لا ترتبط بحال بالسياسة أو بالإمبريالية، ولا تزال ترفض الارتباط بها ارتباطاً مباشراً، وإن استفادت السياسة من الإنتاج العلمي لهذه الفتنة العازفة عن السياسة بطرق غير مباشرة، من أمثال معظم المستشرقين الألمان، وكذلك من المستشرقين الإيطاليين مثل الأمير ليوني كايتاني (١٨٦٩ - ١٩٢٦م) الذي عارض بشدة الحرب الفاشية العدوانية على المملكة الليبية،^(١) رغم أنه اشتغل بالسياسة ومثل بلاده لدى أمريكا.^(٢)

● وقد انبرى أيضاً من تولّوا الدفاع عن هذا المفكّر العربي إدوارد سعيد، وتصدّوا لمن لم يكن متعاطفاً مع الطرح الذي ركّز فيه على الأبعاد السياسية للاستشراق.^(٣)

● وعلى أيّ حال فقد لقيَ طرح إدوارد سعيد عن الاستشراق نقاشاً في أوساط المثقفين ما يزال قائماً إلى اليوم، فهناك من درسه من زاوية ماركسية،^(٤) وهناك من نقده من منظور النقد للماركسية.^(٥) وهناك من درس كتابه الاستشراق من زاوية

(١) انظر: فرانسوا دي بلوا. في نقد المستشرقين. - الفكر العربي. - ع ٣٢ (٤) - ٦ / ١٩٨٢م). - ص ١٤٥ - ١٥١ . - والنصُّ من ص ١٤٧ .

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. - مرجع سابق. - ١ : ٤٢٩ - ٤٣٠ .

(٣) انظر: فخرى صالح. دفاعاً عن إدوارد سعيد. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠م. - ص ١٣١ .

(٤) انظر: مهدي عامل. هل القلب للشرق والعقل للغرب؟: ماركس في استشراق إدوارد سعيد. - ط ٣ . - بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٦م . - ١١١ ص.

(٥) انظر: إعجاز أحمد وإدوارد سعيد. الاستشراق وما بعده: إدوارد سعيد =

إسلامية.^(١) وقد يُقال إنّه هو من أعنان على إعادة الاستشراق إلى مكانه في مجال العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب. إلا أنه يظلّ مركزاً في نقاشه على الأبعاد السياسية في الحركة الاستشرافية، مع إغفال الجوانب الأخرى للاستشراق، وحصر التعريفات التي أوردها على الهاجس السياسي في معرفة الشرق،^(٢) الأمر الذي لا يُرضي كثيراً من المستشرقين، ولا من يدرسون الاستشراق والمستشرقين دراسةً تتسم بال موضوعية والشمولية لدّوافع الاستشراق وأهدافه.^(٣)

● كما يَظُنُّ بعض القَاد للاستشراق أيضاً أنَّ أبرز المستشرقين المُسيِّسين المعاصرِين هو المستشرق البريطاني الأميركي برنارد لويس (١٩١٦م) الذي أطلَّ على العالم أخيراً بعدد من المؤلفات السياسية التي تعكس توجُّهه السياسي منذ مغادرته مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن (SOAS) ببريطانيا في سبعينيات القرن العشرين الماضي، تسعينيات القرن الرابع عشر

من منظور النقد الاستشرافي / ترجمة وتقديم ثائر ديب. - دمشق: ورد، ٢٠٠٤م. - ٢٢٤ ص.

(١) انظر: تركي بن خالد الظفيري. الاستشراق عند إدوارد سعيد: رؤية إسلامية. - جدة: دار التأصيل للدراسات والبحوث، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م. - ٢٨٠ ص.

(٢) انظر: تركي بن خالد الظفيري. الاستشراق عند إدوارد سعيد. - المرجع السابق. - ص ١٩٨.

(٣) انظر: فائز ترحيني / مراجع. الاستشراق لإدوارد سعيد. - الفكر العربي. - ع ٣٢ (٤ - ٦/١٩٨٣م). - ص ١٥٢ - ١٥٩.



الهجري المنصرم.^(١) وانتقاله إلى جامعة برنستون بولاية نيو جرسي (١٩٨٢م)، واتّخاذه مستشاراً للإدارة الأمريكية (الجمهوريين) في العقود الأخيرة من القرن العشرين والأولى من هذا القرن الواحد والعشرين الميلادي، كما كان مستشاراً لبنيجامين ناتانياهو أثناء عمله في الأمم المتحدة، ثم اتّخذه ديك تشيني نائب الرئيس بوش مستشاراً له، كما عمل مستشاراً للرئيس بوش الابن. وكان قبل ذلك قد عُني بالفرق الإسلامية التي حادت عن منهج السنة والجماعة، وكانت هذه الفرق مجالاً رحباً لعدد من المستشرقين، ومن بينهم المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون (١٨٨٣ - ١٩٦٢م) وبرنارد لويس في عهده البريطاني.^(٢)

• وحقيقة الأمر أنَّ المستشرق برنارد لويس بصفته مستشاراً سياسياً وعلمياً للإدارة الأمريكية (الجمهوريين بخاصة) لم يستطع التحرر من خلفيته اليهودية الصهيونية التي لا يخفيناها، بل يصرّح بها. وهو من رهطِ أجابوا على سؤال مفصلي في العلاقات الثقافية بين الشرق «الإسلام» والغرب «الإمبريالي» كما يصفه

(١) انظر: فخرى صالح. برنارد لويس يتأمل تاريخه. - الحياة. - ع ١٨٥٠٥ /٣ (٢٠١٣م). - ص ٢٤.

(٢) انظر: برنارد لويس. الحشاشون / تعرّيف محمد العزب موسى. - ط ٢ . - القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٦م. - ٢٠٣ ص. وانظر له أيضًا: أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية / ترجمة حكمت تلحوظ. - بيروت: دار الحداثة، ١٩٨٠م.

إدوارد سعيد: «لماذا يكرهوننا؟»^(١) فأجاب بأنَّ العرب وال المسلمين معادون للحداثة الغربية؛ لأنَّهم يشعرون بالغيرة والحسد القاتل من تقدُّم الغرب العلمي والحضاري،^(٢) وأنَّ لديهم الرغبة المتأصلة في تدمير الغرب.^(٣) وكان له أثر في التحریض على غزو العراق، كما أشار على الإداراة الأمريكية بالتدخل في بعض البلدان العربية والإسلامية تحت ذريعة محاربة الإرهاب المنسوب للإسلام.^(٤)

● كما أنَّ برنارد لويس لم يخلُ من التأثُّر بالدعوات إلى النظرة العرقية التي يأتي من قياداتها «العلمية» المستشرق الفرنسي الفيلسوف إرنست رينان (١٨٢٣ - ١٨٩٢ م) الذي أخذ بمذهب حرّيَّة الفكر.^(٥) وقد تأثَّر به خلقُ كثير من مستشرقين ومفكِّرين غربيِّين من أمثال مكسيم رودنсон وأولييفيه روا وجان فرانسوا كليمون وأولييفيه كاري وفرانسوا بوغارت وجيل كيبيل

(١) انظر: ضياء الدين سردار وميريل وين ديفيز. لماذا يكره العالم أمريكا؟ . - مرجع سابق. - ص ٨٨.

(٢) انظر: غريس هالسل. يد الله: لماذا تضحي الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل؟ / ترجمة محمد السناك . - ط ٢ . - القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م . - ص ١٣ - ٣٣ .

(٣) انظر: فخرى صالح. برنارد لويس يتأنَّى تاريخه . - الحياة . - مرجع سابق . - ص ٢٤ .

(٤) انظر: محمد رضوان. القدس الشريف في الاستشراق اليهودي . - مرجع سابق . - ص ١٢٥ - ١٢٠ .

(٥) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون: موسوعة في تراث العرب مع ترجم المستشرقين ودراساتهم عنه، منذ ألف عام حتى اليوم . - ط ٣ مج . - ط ٥ . - القاهرة: دار المعارف ، ٢٠٠٦ م . - ١ : ١٩١ .

(١) وإليه تعود بلورة فكرة الصدام بين الحضارات التي تسربت إلى صموئيل (السموآل) هنتجتون (١٩٢٧ - ٢٠٠٨ م) مروراً ببرنارد لويس نفسه.

● وهو أيضاً - وكما إدوارد سعيد - ما يزال يخضع للنقد والدراسة، لا سيما بعد تحوله من دراسة الفرق المتنسبية للإسلام في القرون الأولى للإسلام (٢) إلى التزعة السياسية والإمبريالية المعادية تحديداً للعرب والمسلمين، (٣) وإدوارد سعيد نفسه وقفات مع برنارد لويس، يشخص فيها مدى التحييز الفاضح لديه ضد المسلمين المعاصرين وتحريضه السياسة الغربية، لا سيما سياسات الغرب الأقصى ضد الإسلام والمسلمين، من خلال عدد من الكتب والمقالات التي لا يفتأ ينشرها في دور النشر الأمريكية. (٤)

(١) انظر: محمد رضوان. القدس الشريف في الاستشراق اليهودي. - مرجع سابق. - ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٢) انظر: Bernard Lewis. The Political Language of Islam. - Chicago: the University of Chicago Press, 1988. - 168 p قبرص: دار قرطبة، ١٩٩٣ م. - ص ١٧٣ .

(٣) انظر: برنارد لويس. مستقبل الشرق الأوسط: تنبؤات. - بيروت: رياض الرئيس، ٢٠٠٠ م. - ١٤٠ ص. - وانظر له أيضاً: أين الخطأ؟: التأثير الغربي واستجابة المسلمين / ترجمة محمد عنان، تقديم ودراسة رؤوف عباسى . - القاهرة: سطور، ٢٠٠٣ م. - ٢٦٩ ص. - وله كذلك: الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية. - بيروت: دار الجيل، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م. - ١٣٣ ص. - وانظر له كذلك: The Crisis of Islam: Holy War and Unholy Terror.- Princeton: the Author, 2003.- 157 p

(٤) انظر: إدوارد سعيد. تعقيبات على الاستشراق. - مرجع سابق. - ص ٥ - ١٣ .

● وقد توسع الباحث في الاستشراق مازن بن صلاح مطّقاني في نقد برنارد لويس، وجعله مجالاً لأطروحته للدكتوراه، وطبعها في كتاب بعنوان: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس.^(١) ولم يقتصر الباحث مازن مطّقاني على التاريخ الإسلامي في كتابات برنارد لويس، بل تعرّض لتحوله إلى السعي إلى تغريب العالم الإسلامي في الوقت الحاضر.^(٢)

● ومع هذا فليس الغرب - لا سيما الغرب الأقصى منه في ضوء التقسيم السابق للغرب - كله برنارد لويس وتلاميذه، فهناك آخرون يدخلون في ساحة الإنصاف المصحوب بالإعجاب بالشرق وثقافته من أمثال واشنجتون إرفنج (١٧٨٣ - ١٨٥٩م) ورالف والدو إمرسون (١٨٠٣ - ١٨٨٢م)، وريتشارد سيمون وبيير بايل وهادريان ريلاند،^(٣) ومن حذا حذوهم ومن استبعدوا التأثير السياسي عن دراساتهم الاستشرافية.^(٤) وأمثالهم الآن

(١) انظر: مازن بن صلاح مطّقاني. الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس. - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م. - ص ٦١٤.

(٢) انظر: مازن بن صلاح مطّقاني. الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي. - المرجع السابق. - ص ٤٨٧ - ٥٤٤.

(٣) انظر: برّكات محمد مراد. الاستشراق بين الرؤية الذاتية والواقع الموضوعي. - روى استراتيجية (الإمارات العربية المتحدة). - ع ٢ مع ١ (٢٠١٣/٣) م. - ص ١٢٨ - ١٥٥.

(٤) انظر: كوامن الرغبة في تأييث الشرق. - ص ٨٥ - ١٠٨. - في: محمد الدعمي. الاستشراق: الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي. - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦م. - ص ١٣٩ - ١٧٨.

موجودون ممن يسعون بدراساتهم إلى التقارب بين الثقافات، وتأليف القلوب بينها. ويُذكر هنا من المعاصرين المستشرق الأمريكي جون إسبوزيتو والمستشرقة كاثرين آرمستروننج، وغيرهما.

● ويرى الباحث علال سيناصر، أنَّ للمستشرقين أثراً واضحًا في تأليف القلوب، فالدور الذي يقوم به المستشرقون في مجال البحث العلمي المتخصص ينبغي الوقوف عنده وكشفه، لأنَّه هو الذي يهتمُ حرفياً (من الحرفة) بالعالم العربي. ويمثل المستشرقون معرفة جيدةً بدفائق الثقافة العربية. ويجب ألا ننسى أننا إذا أردنا أن نستفيد من الدول الأوروبية فلن نجد غير المستشرقين؛ لأنَّهم بما يملكون يمكن أن تقوم معهم بعمل يكون من شأنه «تأليف بين القلوب». (١) وقد لا ينطبق هذا التوجُّه الم�팞 على الاستشراق السياسي، إذ إنه لا يُعين على التأليف بين القلوب، بقدر ما يُعين على صناعة الكراهية بين الشعوب.

● لهجة الكراهية للغرب في بعض هذه الكتابات صدرت من غربيين، أو من شرقيين للغرب عليهم فضلُ ما وصلوا إليه من علم وفكِّر وثقافة، ولكنَّهم وظفوا علمهم وفكِّرهم وثقافتهم للإسهام في توسيع الفجوة بين الشرق والغرب في زمان يسعى

(١) انظر: سعيد اللاوندي. الإسلاموفobia: لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟ . - مرجع سابق. - ص ٢٨٢ .

فيه العالم إلى التقارب والتلاقي، دون التنازل عن معطيات ثقافية راسخة، ودون الانصهار في القرية الكونية المعلومة ذات الاتجاه الواحد.^(١)

على أنَّ الحديث عن الإنفاق بين المستشرقين يحتاج إلى بحث أعمق من مجردأخذ نصٍّ منصبٍ من مستشرق، دون الإحاطة بإنتاج المستشرق نفسه بصورة شمولية، تبيَّن فيه جوانب متعددة من أطروحات المستشرق نفسه، التي تشمل عبارات منصفة وأخرى غير منصفة، مما يستدعي التريث في الاستعجال في إطلاق الأحكام الإيجابية أو السلبية، وضرورة التخصُّص في مستشرقين مشهورين، لهم مقولاتهم في الجانبيين.

وواقع الحال أنَّ التوجُّه السياسي لدى المستشرقين لم يكن وليد النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي، ناهيك عن أنْ يكون قد ترَكَ في النصف الأوَّل من القرن العشرين الميلادي المنصرم،^(٢) حيث عُقد مؤتمر كامبل بنزمان (١٨٣٦ - ١٩٠٨ م) (رئيس الوزراء البريطاني ١٩٠٥/٥ - ١٩٠٨/٤/٣) الذي دعا إليه سُرًا حزب المحافظين البريطاني، واشتركت فيه تلك

(١) انظر: الطيب تيزيني. من الاستشراق الغربي إلى الاستغراب المغربي: بحث في القراءة الجايرية للفكر العربي وفي آفاقها التاريخية. - حمص: دار الذكرة، ١٩٩٦ م. - ٣٤٩ ص. - والنصُّ من مقابلة معه لمناقشة الكتاب.

(٢) انظر: مصطفى نصر الملاطي. الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين. - طرابلس: اقرأ، ١٩٨٦ م. - ص ٥٨.

الدول التي توَسَّعَتْ في نفوذها مثل بريطانيا وفرنسا وهولندا وبليجيكا وإسبانيا وإيطاليا. واستمرَّ المؤتمر لثلاث سنين (بين سنة ١٩٠٥ إلى سنة ١٩٠٧ م)، وشارك فيه عدد من المستشرقين وعلماء في السياسة والتاريخ والاجتماع والجغرافيا والاقتصاد وبعض الفلاسفة، وخبراء في قضايا النفط والزراعة وإدارة الاحتلال.

- وكان من نتائج المؤتمر أن خرج المؤتمرون بوثيقة سرّية عُرفت باسم وثيقة كامبل.^(١) كما خرج المؤتمر بعدد من التوصيات، مثل إبقاء شعوب شرق البحر الأبيض المتوسط وجنوبه مفككة وجاهلة، ومحاربة أيّ محاولة للوحدة بين هذه الشعوب، وفصل عرب آسيا عن عرب أفريقيا، وغيرها من قرارات استمرار الاحتلال في المنطقة.^(٢) ومؤتمرون يستمرُّ لثلاث سنين لا بدَّ أن يعطي اعتباراً قوياً للدراسات والتقارير التي لا تخلو من بصمات الاستشراق السياسي.

- وإذا ارتبطت السياسة بالاحتلال الفعلي الذي جثم على البلاد النامية أَنْصَحتِ الرؤية في ارتباط الاستشراق في أحد مناحيه بالسياسة، حتَّى بعد «انقشاع» المرحلة الاحتلالية، وإعطاء بلدان المنطقة استقلالها. وهنا يتَّضح ضلوع المستشرقين بالرغبات

(١) انظر: نجمي عبدالمجيد. الاستشراق البريطاني والسياسة. - ١٠ ص.

(٢) انظر: نجمي عبدالmajid. الاستشراق البريطاني والسياسة. - المرجع السابق. - ١٠ ص.

الغربية في السيطرة على بلاد العالم الأخرى، لا سيما دول الجنوب، ومنها البلاد الإسلامية. ولا يشك عمر فروخ (١٩٠٦ - ١٩٨٧م) في هذه الصلات الأخرى بحركة التنصير.^(١)

- ولا مجال للحماس للبعد السياسي في الدراسات الاستشرافية، بحيث يزعم بعض الدارسين أنه هو الدافع الأول للاستشراق، فالواضح أن الدافع الأول والهدف الأول - كذلك - للاستشراق كان هو الدين، والتنصير بصورة أوضح، فأول طبعة للإنجيل بالحروف العربية في أوروباً كانت في شهر سبتمبر من سنة ١٥٤١م في فانون، وتمت بإيعاز من البابا يوليوس الثاني، وصممت خصيصاً ليعاقبة مصر.^(٢)
- وأول ترجمة لمعاني القرآن الكريم (١١٤١ - ١١٤٣م) إنما تمت لأغراض تنصيرية على يد بطرس المحرتم (١٠٩٢ - ١١٥٧م).^(٣) وذلك عندما أخفق السلاح العربي في احتلال البلاد الإسلامية إبان الحروب الصليبية، بل لقد تأثر المقاتلون الصليبيون بحضارة المسلمين وتقاليدهم ومعيشتهم.

(١) انظر: عمر فروخ. الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة. - ص ١٢٥ - ١٤٣ . . في: نخبة من العلماء المسلمين. الإسلام والمستشرقون. - جدّه: عالم المعرفة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م. - ص ٥١١ .

(٢) انظر: يوهان فوك. تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروباً حتى نهاية القرن العشرين / نقله عن الألمانية عمر لطفي العالم. - ط ٢ . - بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠١م. - ص ٤٥ .

(٣) انظر: يوهان فوك. تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروباً حتى نهاية القرن العشرين. - المرجع السابق. - ص ١٦ .

● وأول دعوة لدراسة اللغات العربية وغيرها من لغات «الشرق» كانت بمبادرة من المستشرق ريموند لوبيو (راموندو لوبيو أو ريموندوس لولوس ١٢٣٥ - ١٣١٤م)، الذي يُعدّ من طلائع المستشرقين التسعة والعشرين، وهو أيضًا منصر حافظ على الإسلام، فقد بذل قصارى جهده بين سنتي ١٢٩٤ - ١٣٠٠ م لإثارة اهتمام الكنيسة والملوك بتعليم اللغات الشرقية بالجامعات الأوروبية، وحضر مؤتمر فيينا الكنسي لسنة ١٣١١ - ١٣١٢م.

● وقد مرّ ريموند لوبيو في سبيل تحقيق رغبته هذه على عدد من ملوك أوروباً والبابا نيكولاوس الثالث والبابا هورنوريوس الرابع والبابا نيكولاوس الرابع، ليشهد مساعيه تكلاً بالنجاح،^(١) إذ قرر المجمع إنشاء كراسي للغات الشرقية - ومنها اللغة العربية - في عدد من الجامعات الأوروبية، فالتقى هنا الدين بالعلمي، وأضحت الجامعات تخدم الكنيسة. ولم تكن تنفك عن هذه الخدمات. وما كان المجمع الكاثوليكي ليقرّ هذا المشروع دون جهود لوبيو المضنية.^(٢)

● وهذا ما جعل بعض المؤرّخين للاستشراق مثل إدوارد سعيد في كتابه «الاستشراق» يجعل الانطلاقـة «العلمية» للاستشراق من هذا

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. - مرجع سابق. - ١: ١٢٢ - ١٢٣.

(٢) انظر: يوهان فوك. تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى نهاية القرن العشرين. - مرجع سابق. - ص ٢٧ - ٣٢.

المجمع ياقراره الكراسي العلمية لبعض اللغات الشرقية في عدد من الجامعات الأوروبية في الغرب الأوسط بمعدل أستاذين لكل جامعة من الجامعات المذكورة في القرار المجمعي الكنسي، وبه قال إدوارد سعيد في كتابه الاستشراق.^(١) وتبعد فيه كثيراً ممن نقلوا عنه. وهم بهذا يؤكّدون الأبعاد الدينية للاستشراق في انطلاقته، قبل أن يبدأ في خدمة السياسة، إذا أريد التفريق بين الدين والسياسة، واستبعاد خدمة أحدهما للأخر.

• ويُضاف إليه قيام العلاقات السياسية والاقتصادية للقوى الكبرى مع الدول الإسلامية، فقد كان هذا عاملاً مؤثراً في الاهتمام باللغة العربية.^(٢) ففي كتاب بعنوان «استرداد الأراضي المقدسة» ألّفه الناشر الفرنسي بيير دوبوا سنة ١٣٠٦م يؤكّد على تعلم اللغة العربية وتأسيس مدارس للغة العربية يدرس فيها الموظفون والضباط والمترجمون والمفاوضون والمنصّرون والأطباء، بالإضافة إلى «فتيات أوروبيات أيضاً (!) منهن على سبيل المثال اللاتي يتزوجن فيما بعد من قياديين شرقيين يجري إعدادهن لمستقبل حياتهن».^(٣)

(١) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. - مرجع سابق. - ٦٥٠ ص.

(٢) انظر: يوهان فوك. تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى نهاية القرن العشرين. - مرجع سابق. - ص ١٤.

(٣) انظر: يوهان فوك. تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى نهاية القرن العشرين. - المراجع السابق. - ص ٣٦.

● وإذا كانت ترجمة معاني القرآن الكريم قد قامت لأغراض دينية تصصيرية - كما يذكر يوهان فوك - فإنَّ الاحتلال أيضًا قد دفع بعض المستشرقين إلى ترجمة معاني القرآن الكريم. «فقد توجَّهت عنابة المستشرقين المرتبطين بدوائر استعمارية لدراسته؛ محاولةً منهم - بداعي استعماريٍّ موجَّهٍ - إضعاف العقيدة والشريعة الإسلامية القائمة أساساً عليه وتوهينها. فتناولوا - من بين ما تناولوا - موضوع (الجهاد)... ويدلوا جُلَّ جهدهم للقضاء على هذا المبدأ العظيم». ^(١)

● وهو المستشرق الإنجليزي إدوارد هنري بالمر (١٨٤٠ - ١٨٨٣م) «الشيخ عبدالله» ذو الدور السياسي، قد وقف حياته على خدمة أغراض احتلالية بحثة، وترجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية (١٨٨٠م) ترجمةً وُصفت بالدقة والشمولية. ^(٢)

● وينقل عن الباحث سامي أحمد الزهو، الرأي بأنَّ الدافع السياسي للاستشراق الأمريكي كان نتيجة للتطورات

(١) انظر: (الدافع الاستعماري إلى دراسة القرآن الكريم). - ص ٤١ - ٤٣). - في: مشتاق بشير الغزالى. القرآن الكريم في دراسات المستشرقين: دراسة في تاريخ القرآن؛ نزوله وتدوينه وجمعه. - دمشق: دار النفائس، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م. - ١٩٩ ص.

(٢) انظر: سامي سالم الحاج. نقد الخطاب الاستشرافي: الظاهرة الاستشرافية وأثرها في الدراسات الإسلامية. - ٢ مجل. - بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٢م. - ١: ٢٦١ - ٢٦٢.

الاقتصادية والعسكرية، ويروز دور الولايات المتحدة كقوة كبيرة تجاوزت القوى الأوروبية كافة. ويرى تقسيم الاستشراق الأمريكي إلى مراحلتين: الأولى يمكن تسميتها بالاستشراق التقليدي، أي الذي اعتمد موضوعات المستشرقين الأوروبيين المعروفة.^(١) ويمتد من تاريخ الاستقلال عام ١٧٧٦ م حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ م، ويغلب على هذه المرحلة التأثير المباشر بالمستشرقين الأوروبيين الذين يتحدرُون في خلفيتهم العلمية من التاريخ واللغة.^(٢) وأما المرحلة الثانية فتعرف بمرحلة الاستشراق الحديث والمعاصر، حيث حلَّ علماء الاجتماع الأمريكيون محلَّ المؤرخين الأوروبيين في قيادة الاستشراق الأمريكي المعاصر.^(٣)

● ويتصف الاستشراق الأمريكي المعاصر - كما يذكر سامي أحمد الزهو - بالتأكيد على الاستشراق السياسي بعد التحولات السياسية والاقتصادية التي شهدتها أمريكا بعد الحربين العالميتين

(١) انظر: سامي أحمد الزهو. الاستشراق الأمريكي والسيرة النبوية: إرتفع نموذجاً. - تكريت: كلية التربية/ جامعة تكريت (العراق). - (رسالة علمية، ماجستير).

(٢) انظر: سامي أحمد الزهو. الاستشراق الأمريكي والسيرة النبوية: إرتفع نموذجاً. - المرجع السابق.

(٣) انظر: عبدالجبار ناجي. موقف الاستشراق الأمريكي من دراسة المدينة العربية الإسلامية. - الاستشراق. - بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧ م. - ص ١٣٣ - ١٣٩ . - (سلسلة كتب الثقافة المقارنة؛ ١).

واضمحلال أوروبياً (الغرب الأوسط)، وصعود الولايات المتحدة كبديل عنهم. ومع هذا لم يتخلّ الاستشراق الجديد عن موضوعات الاستشراق التقليدي المعروفة بدراسة الإسلام والرسالة والرسول ﷺ ومذاهب الإسلام وفرقه، ولكنه وظف هذه الدراسات بما يخدم الاستشراق السياسي. وقد تميز المستشرقون الرواد في أمريكا بأن كتاباتهم تتسم بالأسلوب القصصي والروائي، ما اعطتهم الشهرة والتأثير المباشر في المجتمع الأمريكي.^(١)

- ولعلّ هذا مما يسوغ توجّه الاستشراق إلى الأنثروبولوجيا التي لم تنتق من سيادة الأبعاد السياسية في الدراسات الاجتماعية الأنثروبولوجية والثقافية، إذ يشير بيتر جران - في محاججته لإدوارد سعيد - إلى قضيّة علاقـة السياسـة في الاستشراق الأمريكي بالاهتمامـات الـدراسـية بالـشـرقـ الـأـوـسـطـ.^(٢)

- ومع هذا لم يتخلّ الاستشراق المعاصر عن موضوعات الاستشراك التقليدي المعروفة بدراسة الإسلام ومذاهبه وفرقه، ولكنه وظّفها بما يخدم الاستشراك السياسي. وقد تميّز المستشرقون الروّاد في أمريكا بأنّ كتاباتهم تتّسم

(١) انظر: سامي أحمد الزهو. الاستشراق الامريكي والسيره النبوية. - مرجع سابق.

(٢) انظر: بيتر جران. الاستشراك المعاصر في الولايات المتحدة الأمريكية. - الاستشراك. - بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨م. - ص ٦٣ - ٧٠. - (سلسلة كتب الثقافة المقارنة؛ ٢).

بالأسلوب القصصي والروائي، ما أعطاهم الشهرة والتأثير المباشر في المجتمع الأمريكي». ^(١) وقد يدخل في مفهوم الاستشراق الأمريكي الجديد، أو المتجدد، مفهوم الاستشراق الأنجلوسكsonian الجديد في رؤيته للإسلام المبكر من زاوية سياسية، بحيث تسَوَّغ جميع مراحل قيام الإسلام سياسياً ^(٢).

● وقد ارتبط الاستشراق الأمريكي الجديد تحديداً بـ«الاحتلال» المعاصر، من حيث تسلطه وهيمنته من بُعد، ولذلك يرى كمال البخاري أنَّ مهمَّة الاستشراق الجديد (الأمريكي) ووظيفته قد انحصرت في المهام الاستخبارية، مما جعل المؤسسات والمراكم البحوثية الاستشرافية تتخلَّى عن الاستشراق في مجالاته الأكademية والمعرفية؛ ^(٣) لترتبط هذه المؤسسات والمراكم البحوثية مباشرةً - وفي غالب الأحيان - بالأجهزة الاستخبارية والعسكرية. ^(٤)

(١) انظر: سامي أحمد الزهو. الاستشراق الأمريكي والسيرة النبوية: إرفتح نموذجاً. - مرجع سابق.

(٢) انظر: آمنة الجبلاوي. الإسلام «المبكر» الاستشراق الأنجلوسكsonian الجديد: باتريسيَا كرون ومايكل كوك نموذجاً. - كولونيا: منشورات الجمل، ٢٠٠٨م. - ٢٤٨ ص.

(٣) انظر: بلال التليدي. الإسلاميون ومراميز البحث الأمريكية: دراسة في أزمة التمودج المعرفي، حالة معهد واشنطن ومعهد كارنيجي. - بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، ٢٠١٤م. - ٣٧٨ ص.

(٤) انظر: كمال البخاري / مراجع. الاستشراق والمشروع الصهيوني: إبراهيم عبدالكريم. - الاجتهد. - ع ٥٠٥١ (ربيع وصيف ٢٠٠١م / ١٤٢٢هـ).



● يؤيد هذا التوجّه - كما يذكر عبدالله الوهيبي - «صعود الولايات المتحدة بوصفها دولةً عظمى إلى الصدارة العالمية، والتغيير الاجتماعي السريع المصحوب بعدم الاستقرار السياسي في الشرق الأوسط. وكان ذلك يدفع السياسيين الأمريكيين إلى طلب المزيد من المعرفة والتي يتم استثمارها في توطيد دعائم القوّة الإمبريالية الصاعدة، وكان الاستشراق الحديث يمثل الفرع الأكثر تقديمًا للخامات في هذا المجال». ^(١)

● ويضيف الباحث الوهيبي: «وكما كان تطوير الاستشراق الأكاديمي في القرن التاسع عشر مرتبطاً بتوسيع القوى الأوروبية في الأرضي الإسلامية كان تطوير دراسات الشرق الأوسط - كحقل أكاديمي - مرتبطاً بشدة بظهور الولايات المتحدة الأمريكية كقوّة عالميّة عظمى، وتورّطها بشكل أعمق في الشرق الأوسط». ^(٢)

● وقد تميز الاستشراق الأمريكي في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م) ببروز تبعية الاستشراق الأوروبي له،

- ص ٢٦٣ - ٢٦٦ . - وانظر أيضاً: عبدالله بن محمد بن عبدالله المديفر. الاستشراق الأمريكي الحديث و موقفه من الدعوة الإسلامية: مؤسسة رائد للبحث والتطوير أنموذجاً، دراسة وصفية تحليلية نقدية. - المدينة المنورة: قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، ١٤٣٤ هـ - ١٤٣٥ هـ . - ص ٩٨٧ . - (رسالة دكتوراه). - ٩٨٧ ص.

(١) انظر: عبدالله بن عبد الرحمن الوهيبي. الاستشراق الجديد: مقدمة في التاريخ والمفهوم. - الرياض: مجلة البيان، ١٤٣٥ هـ . - ص ٤٥ .

(٢) انظر: عبدالله بن عبد الرحمن الوهيبي. الاستشراق الجديد: مقدمة في التاريخ والمفهوم. - المرجع السابق. - ص ٤٦ .

نسبةً للأثر الكبير الذي مارسته وتمارسه الولايات المتحدة في السياسة الدولية الحديثة، بعد أنْ كان الاستشراق الأمريكي فيما قبل الحرب العالمية الثانية تابعاً للاستشراق الأوروبي. وقد كانت هناك دوافع عديدة لظهور الاستشراق الأمريكي، أولها رفض الاستمرار في الاعتماد على الموروث والمستورد الأوروبي. ^(١)

وعليه فقد زادت مراكز البحوث المستقلة والمرتبطة بالجامعات ومؤسسات البحث العلمي التي تغذّي الجهات الاستخبارية والعسكرية، لا سيما في التسعينات من القرن الرابع عشر الهجري؛ السبعينات من القرن العشرين الميلادي المنصرمين، بحيث أصبح لهذه المراكز تأثير قويٌ في صناعة القرار السياسي. ^(٢) وهناك عدد غير قليل من هذه المؤسسات التي لا تعمل في الخفاء، تضع الخطط للهيمنة على المناطق، ومن ثم توظف المتخصصين في هذه المناطق في إعداد الدراسات والبحوث التي يبني عليها قرارات آنية ومستقبلية. ويغلب هذا الأسلوب على البيئة الأمريكية التي تزعّم الآن ما يُطلق عليه الاستشراق الجديد أو المتجدّد. ^(٣)

(١) انظر: سامي أحمد الزهو. الاستشراق الأمريكي والسيرة النبوية: إرفنج نموذجاً. مرجع سابق.

(٢) انظر: عبدالله بن عبد الرحمن الوهبي. الاستشراق الجديد: مقدمة في التاريخ والمفهوم. - مرجع سابق. - ص ١٣٣.

(٣) انظر: عبدالله بن محمد بن عبدالله المديفر. الاستشراق الأمريكي الحديث وموقفه من الدعوة الإسلامية: مؤسسة راند للبحث والتطوير أنموذجاً، دراسة وصفية تحليلية نقدية. - مرجع سابق. - ٩٨٧ ص. - (رسالة دكتوراه). =

- ومن أبرز هذه المراكز البحثية في الوقت الحالي:

 - ١ - مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي، ١٩١٠ م.
 - ٢ - معهد بروكينجز، ١٩١٦ م.
 - ٣ - مجلس العلاقات الخارجية، ١٩٢١ م.
 - ٤ - معهد المشروعات الأمريكية، ١٩٤٣ م.
 - ٥ - مؤسسة راند، ١٩٤٥ م.
 - ٦ - معهد الشرق الأوسط، ١٩٤٦ م.
 - ٧ - معهد هدسون، ١٩٦١ م.
 - ٨ - مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، ١٩٦٢ م.
 - ٩ - معهد الدراسات السياسية، ١٩٦٣ م.
 - ١٠ - مركز وورو ويلسون الدولي للعلماء، ١٩٦٨ م.
 - ١١ - مؤسسة التراث، ١٩٧٣ م.
 - ١٢ - معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، ١٩٨٥ م.
 - ١٣ - معهد الولايات المتحدة للسلام، ١٩٨٤ م.^(١)

= - وانظر أيضاً: صالح بن عبدالله الغامدي. الإسلام الذي يريده الغرب: قراءة في وثيقة أمريكية، دراسة تحليلية لتقرير مؤسسة راند: إسلام حضاري ديموقراطي - شركاء وموارد واستراتيجيات. - جدّاً: مركز الفكر المعاصر، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

(١) انظر: عبدالله بن محمد بن عبدالله المدifer. الاستشراق الأمريكي الحديث وموقفه من الدعوة الإسلامية. - مرجع سابق. - ص ٤١ - ٥٥.

- وتحتاج هذه المؤسسات والمراکز إلى مزيد من التفصيل . ● ومن أبرز الجامعات التي تضم مراكز أو معاهد أو أقساماً للاستشراق السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية :
- ١ - جامعة هارفارد ، ١٦٣٦ م ،
 - ٢ - جامعة بيل ، ١٧٠١ م ،
 - ٣ - جامعة برنستون ، ١٧٤٦ هـ ،
 - ٤ - جامعة كولومبيا ، ١٧٥٤ م ،
 - ٥ - جامعة جورج تاون ، ١٧٨٩ م ،
 - ٦ - جامعة جونز هوكتن ، ١٩٨٤ م ،
 - ٧ - جامعة شيكاغو ، ١٨٩٠ م ،
 - ٨ - جامعة ستانفورد ، ١٨٩١ م ،
 - ٩ - جامعة كاليفورنيا (لوس أنجلوس) ، ١٩١٩ م .^(١)
- وتضم مؤسسة راند (البحوث والتطوير) أكثر من (١٦٠٠) موظف وباحث ، بعضهم مفرّغون ، وأكثرهم متعاونون ، يتّمدون إلى أكثر من خمسين بلداً ، و٩٥٪ من هؤلاء باحثون ، ومن هؤلاء الباحثين مستشرقون جدد ، ومن أبرزهم : ● برلين مايكل جنكتنز ،

(١) انظر: عبدالله بن محمد بن عبدالله المديفر. الاستشراق الأمريكي الحديث و موقفه من الدعوة الإسلامية . - المرجع السابق . - ص ٥٦ - ٦٣ .

- غراهام فولر،
- بروس هوفمان،
- دانيال بايمان،
- جيمس دوبنر،
- شيريل بينارد،
- أنخيل راباسا. (١)

وغيرهم ممن يستجذب التعاون معهم ومع غيرهم ممن لا يعملون أو لا يتعاونون مع مؤسسة بحثية بعينها، وممن لا ينتمون إلى الجامعات من أمثال دانييل بايسن ذي الشأن الخاص في مناهضة العرب والمسلمين، والدفاع المستميت عن الوجود اليهودي المتضيئين في فلسطين المحتلة. وإنما جرى ذكر هؤلاء لأن لهم إسهامات واضحة ومؤثرة في مسيرة المؤسسة التي تسهم في وضع السياسات الموجهة لمنطقة الشرق الأوسط، بما يؤكد مشروع الهيمنة.

(١) انظر: عبدالله بن محمد بن عبدالله المديفر. الاستشراق الأمريكي الحديث و موقفه من الدعوة الإسلامية. - المرجع السابق. - ص ١٣٧ - ١٥٠ .

الفصل الأول

- ليس هذا مجال التفرقة بين الاستشراق التقليدي أو الكلاسيكي والاستشراق الجديد أو المعاصر أو المتجدد، أو ما يعبر عنه بعض المفكّرين بما بعد الاستشراق، قياساً بمصطلح ما بعد الحداثة، سوى الميل إلى أنه لا فرق بينهما إلا بالأدوات، فقد غير الاستشراق من أدواته ولم يتغيّر في مفهوماته،^(١) وإن سعى مستشرقون معاصرون إلى رمي مصطلح الاستشراق في زبالة التاريخ.^(٢)
 - سيتضح من سياق هذا البحث ميل الاستشراق الجديد إلى التركيز على البعد السياسي للاستشراق، على حساب أبعاد

(١) انظر: فاضل الريعي. خطاب النخبة الثقافية العربية وأساطير ما بعد الاستشراق (١). - الجزيرة الثقافية. - ع ١٨٥ (١٤٢٨/١/١٧ - ٢٠٠٧/٥/٥). - ص ٨.

(٢) انظر: برنارد لويس. الإسلام والدولة. - التسامح. - ع ٨ (خريف ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م). - ص ١٨٦ - ١٩٧. - وانظر، أيضاً: برنارد لويس. مسألة الاستشراق. - ص ١٥٩ - ١٨٢. - في: هاشم صالح، معد ومتجم. الاستشراق بين دعاته ومعارضيه. - ط ٢. - بيروت: دار الساقى، ٢٠٠٠م. -

الاستشراق الأخرى، كالبعد الديني والبعد العلمي، ما أكسبه سمعة غير إيجابية بين المفكرين العرب والمسلمين وبين بعض المستشرقين الآخرين، ظهرت في النبرة التي يواجه بها المتقدون الاستشراق الجديد، وإن لم يغفل بعض المستشرقين العناية بالمجتمعات المسلمة المعاصرة، وتغلب الدراسات الأنثربولوجية التفصيلية لبعض المجتمعات الضيقه.

● توجّه الاستشراق في بعض مناحيه إلى السياسة، وطغيان هذا التوجّه على الاستشراق الجديد يقوّي من نزوع الاستشراق إلى الإسهام في صناعة الكراهية بين الشرق والغرب، إذا أخذنا في الحسبان أنَّ السياسة هي العامل الأبرز الذي تمارس من خلاله صناعة الكراهية بين الأمم، وأنَّه آخر عامل يمكن أنْ يفتكَر فيه على أنه من عوامل الالتقاء بينها، دون إغفال عوامل فكريَّة وأدبيَّة تسهم كذلك في صناعة الكراهية، على أنه لا تخلو ثقافة ما من قدر من المحبَّة والكراهية، حتى أولئك الذين يتظاهرون بالسماحة أو التسامُح يختزليون قدرًا من الكراهية حتَّى مع المحقِّين.^(١)

● في سبيل التوكيد على ذلك يقتضي الموقف من ناقدِي الاستشراق أنْ يكون البُعد السياسي حاضرًا لديهم، من حيث وجود خلفية علمية سياسية كافية، ما يحتمُ القدرة على التحليل

(١) انظر: محمد بن حامد الأحرمي. ملامح المستقبل. - الرياض: مكتبة العيكان، ٢٠٠٥ هـ / ٢٠٢٦ م. - ص ٢٥٣.

السياسي، الأمر الذي لا يتحقق بالضرورة لغير المتخصصين في العلوم السياسية، مهما أظهر بعض المفكّرين - بمن فيهم المشتغلون بنقد الاستشراق - بعض القدرات الفكرية في الخوض في الأبعاد السياسية. وهذا يصعب من نقد هكذا بعد من أبعاد الاستشراق. وهنا لا بدّ من احترام التخصص في زمن التخصصات المتفرّعة، وإنْ كان إدوارد سعيد يرى أنه قد انتهى عصر المثقف الفرد.^(١)

فيما يظهر أنَّ كتابات السياسيين السابقين في الإدارات الحكومية الغربية المتلاحقة (ريتشارد نيكسون ١٩١٣ - ١٩٩٤م) في الفرصة السانحة، وزيجنبيو بريجنشكى (١٩٢٨م) في رقعة الشطرنج ورؤيه استراتيجية: أمريكا وأزمة السلطة العالمية، وهنري (هاينز ألفريد) كيسنجر (١٩٢٢م) في مذكراته، ومارجريت تاشر (١٩٢٥ - ٢٠١٣م) في مذكراتها والطريق إلى القوة وغيرها، وجيمي إيرل كارتر (١٩٢٤م) في كتابه عن فلسطين وعن أمته المعرضة للخطر، وهيلاري كلتون (١٩٤٧م) في كتابها الخيارات الصعبة، وبيل كلتون (١٩٤٦م) في كتابه حياتي، نماذج لا تُعدُّ من الظروف الاستشراقية التي تدور هذه الدراسة حولها؛ ذلك أنَّ البُعد الاستشراقي غير حاضر في كتابات هؤلاء بوضوح، رغم أنهم جميعهم يتعرّضون إلى منطقة

(١) انظر: إدوارد سعيد. المثقف والسلطة/ ترجمة محمد عنانى . - القاهرة: دار رؤية، ٢٠٠٦م . - ١٩٩ ص.

القلائل التي كانوا جزءاً فاعلاً في صنعها، ولا تظهر فيها المنهجية الاستشرافية، مهما جاءت عنوانين هذه الكتب مدروية في طريق صناعة الكراهية، ومهما كانت منزلة كاتبها السياسية.^(١)

- وهناك بُعد آخر ومهماً في مشروع صناعة الكراهية، ذلك بعد الذي يسعى فيه بعض المفكّرين - ومن بينهم بعض المستشرين - إلى صناعة الكراهية داخل الثقافة الواحدة، ولتكن الثقافة الإسلامية هنا مثلاً. حينما يعمد بعض المستشرين إلى هذا المجال فإنَّ الأمر سيكون أشدُّ وطأة، لاسيما إذا جعلوا في الاختلافات بين المسلمين في الفروع مجالاً رحباً للتفرق بينهم.
- وقد يكون المجال في اللغة كذلك، حينما يعمد بعض المستشرين من منطلقات سياسية احتلالية ثمَّ أثشروبولوجية وفيلولوجية وعرقية وقبلية إلى إعادة استخدام لغات محلية، تنمُّ عن بُعد قومي يسهم في وجود هذه الفجوة في الثقافة الواحدة، مثل ما حصل ويحصل الآن في أقاليم هي ثقافياً مسلمة، لكنَّها لغوياً لم تكن تتحدث اللغة العربية، التي هي لغة الثقافة الإسلامية، كالمنطقة الكردية في الشرق الإسلامي، والمنطقة

(١) انظر في الرد على نموذج من الكتابات السياسية مثلاً: زغلول النجار. الإسلام والغرب في كتابات الغربيين. - ط ٢. - القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٣م. - ٢٨٣ ص. - حيث يرد المؤلف على كتاب: شعور بالحصار: السياسة بين الإسلام والغرب على أرض الواقع لمؤلفيه جراهام فولر النائب السابق لرئيس مجلس الأمن الوطني الأمريكي، وإيان ليسر.



الأمازيغية في الغرب الإسلامي. ثم يقود هذا إلى العمق في اللغة نفسها الكردية أو الأمازيغية أو العربية وإيجاد الاختلافات داخلها.^(١)

● هذا موضوع يحتاج إلى بحث خاص يبيّن فيه مدى إسهام بعض المستشرقين في صناعة الكراهية داخل الثقافة الواحدة. يستنتاج عبدالكريم غالب أنَّ كثيراً «من المستشرقين يعتبرون أنَّ الإسلام في المغرب له طابع خاصٌ، كما يعتبر زملاؤهم الذين تخصصوا في الدراسات الإسلامية بالشرق الإسلامي أنَّ الإسلام من كلِّ من هذه البلاد يختلف عن الإسلام في البلاد الأخرى؛ لأنَّ كلَّ قطر إسلامي يمنح الإسلام بعضاً من معتقداته القديمة وتقاليده الاجتماعية التي ترتفق إلى درجة العقيدة، وبعض الأساطير التي تختلف من الماضي فحسبها المسلمين من الإسلام حتى أنَّ أحدهم كتب عن آثار الوثنية في الإسلام».^(٢)

● ومع أنَّ هذا بحث مطروح ويقاد يطغى على عدد كبير من الدراسات النقدية للاستشراق، إلا أنَّه يحتاج إلى تركيز أكثر في مدى الإسهام الاستشرافي في صناعة الكراهية، ليس من منطلق

(١) انظر: عبدالكريم غالب. العرض التمهيدي. - ص ٣٦ - ١٧. - في: المغرب في الدراسات الاستشرافية. - الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٥ م. - ٢٢٩ ص.

(٢) انظر: عبدالكريم غالب. العرض التمهيدي. - ص ٣٦ - ١٧. - والنصُّ من ص ٢٤. - في: المغرب في الدراسات الاستشرافية. - المرجع السابق. - ٢٢٩ ص.

وضع الفرضية ثمَّ البحث عن مؤيَّداتها، كما هو الحال في بعض دراسات نقد الاستشراق، ولكن من منطلق تحليل الواقع الاستشرافي في مجال صناعة الكراهية؛ وصولاً إلى الحق بالمواضيع العلمية المطلوبة والمتوقَّعة. وهذا يعني أنْ يكون هناك احتمال وجود طرفين متناقضين بين المستشرقين؛ أحدهما يعمل على التجسيم بين الثقافات والآخر يعمل على افتعال الكراهية بين الثقافات. وهذا أمرٌ متوقَّع في شأن واسع الاهتمامات متشعَّب الارتباطات كالشأن الاستشرافي.

الدرس المتعالي

- لا بدَّ من التوكيد أنَّ النبرة العامَّة لدى كثير من الباحثين العرب والمسلمين لنقد الاستشراق تترَكَّز في أنَّه ظاهِرٌ لم تُكُن إيجابيَّة في انطلاقتها مع التراث العربي الإسلامي، وأنَّ هذه النبرة التي توارثها رهطٌ من الكُتَّاب العرب والمسلمين المعنيين بالثقافة الإسلاميَّة لم تكن في مجملها موضوعيَّة في حكمها على الاستشراق. وهم في هذا لا يصدرون من فراغ، بل جاء هذا الحكم التعميمي على الدراسات الاستشرافية بعد استقرار غالبية هذه الدراسات.
- ويتفق معهم مستشرقون آخرون، فهذا روبي باريت (١٩٠١ - ١٩٨٢) وقد رافق قائد الألمان رومل (١٨٩١ - ١٩٤٤) في معركة العلمين (١٩٤٢/١١/٤ - ٢٣/٢٢) غرب مصر أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) مترجمًا في شمال

أفريقيا، لكنه لم يستطع خدمة القائد العسكري؛ لأنَّه لم يكن يجيد اللهجة البدوية بأرض مصر، بالإضافة إلى أنَّ الحزب الاشتراكي الألماني (النازية) بقيادة أدولف هتلر لم يكن يغير الشعوب العربية والإسلامية مع شعوب وأعراق أخرى اهتماماً يدعو إلى استعمار أراضيها أو جعلها جزءاً من الأطماع الألمانية النازية،^(١) يعبر رودي بارت عن هذا الانتفاق بقوله: «ونحن في هذا نطبق على الإسلام وتاريخه، وعلى المؤلفات العربية التي نشتغل بها، المعيار النقي الذي نطبقه على تاريخ الفكر عندنا، وعلى المصادر المدونة لعالمنا نحن»^(٢).

● ويعلّق إسماعيل أحمد عمادرة على عبارة رودي بارت بقوله: «فالمستشرق مرتبط ارتباطاً وثيقاً بما يدور حوله من حركات علمية. ولعلَّ في هذا ما يفسِّر الدهشة والاستغراب اللذين يرتسمان على وجه المسلم وهو يقرأ كتابات المستشرقين. فهم يقيسون الأمور بموازين مختلفة، إلى حدٍ كبير، عن مقاييسنا. بل إنَّ اختلاف المقاييس هو الذي أوقع كثيراً من المستشرقين في الخطأ وهم يزنون بها ثقافةً أخرى مختلفة، كما أوقعنا ذلك في خطأً مماثلاً حين أقدمنا على تقويم أعمالهم دون معرفة كافية

(١) انظر: رضوان السيد. المستشرقون الألمان: النشوء والتأثير والمصائر. - بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٧. - ص ٣٥ - ٣٦.

(٢) انظر: إسماعيل أحمد عمادرة. المستشرقون والمناهج اللغوية: المنهج التاريخي، المنهج المقارن، المنهج الوصفي، المنهج الإحصائي. - ط ٢. - عُمان: دار حنين، ١٩٩٢م. - ص ١٣.

بطبيعة مناهجهم، ومستلزماتها والاستنتاجات المترتبة عليه». (١)

فهذا المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون يقول إنَّ المستشرقين لا يرون في الشرق إلا ما يريدون رؤيته فيه، فكان اهتمامهم منصبًا على الأشياء الصغيرة والغربية، ولم يكن من أهدافهم تطوير الشرق؛ ليبلغ المرحلة المتقدمة التي تبلغها أوروباً، فكانوا يكرهون النهضة في هذا الشرق. ولذلك يرى رودنسون أنَّ النقد الأوروبي - بما فيه النقد الاستشرافي - للعرب والمسلمين ربما يكون غير عادل في نقاط معينة، ولكنَّ تفنيد هذا النقد يستوجب دراسته أولاً، فلا يمكن نقضه والردُّ عليه إلا على الأساس الذي قام عليه. (٢) وأقوال المستشرقين التي تنبئ عن نقد الاستشراق نقدًا ذاتيًّا وفي هذا المجال كثيرة.

ولَدَ هذا النوع غير العادل من النقد جدلاً حول مدى الخدمات الجليلة التي قدمها الاستشراق للتراث الإسلامي والثقافة الإسلامية، في مقابل تلك الخدمات التي خدم بها الاستشراق المصالح الغربية الدينية والاحتلالية والسياسية والاجتماعية، وكون الاستشراق في مجمله عوناً على بسط الهيمنة الغربية بمختلف أشكالها على العالم الآخر غير الغربي، بما فيه العالم

(١) انظر: إسماعيل أحمد عميرة. المستشرقون والمناهج اللغوية. - المرجع السابق. - ص ١٤.

(٢) انظر: محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. - الدوحة (قطر): رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٩٨٤ هـ / ١٤٠٤ م. - ص ١١٦ و ١٢٥.



الإسلامي، بل يمكن القول إنَّ جُلَّ الحملة في الهيمنة إنما هي متراكمة في العالم الإسلامي، فجاء معظم إنتاجه المعرفي متسماً بالتعالي على المدرسين، وإشعار هؤلاء المدرسين بلهجة الرقي والتفوق الذهني عليهم.

● إنه ذلك الشعور الوسواسي الواعي أو غير الواعي بالتفوق والميل إلى الهيمنة، وكما يقول محمد الدعمي: «لقد عَبَرَ هذا الموقف الغربي الفوقي عن نظرة دونية للماضي العربي الإسلامي، من خلال الشعور بحرية استثمار تاريخنا، ليس لخدمة العرب وال المسلمين، بل لمباشرة مشاكل غربية وللاستجابة لمعضلات محلية لا تُمْتَأِّنَّ بِآيَةٍ صلة للعرب أو للإسلام. وبهذا صادر الفكر الاستشرافي تاريخنا، تاريخ «الآخر»، لصالح ثقافته وحضارته، مؤسِّساً هذا الموقف المتعالي على شعور قويٍّ بأنَّ التاريخ إنما يتطَوَّر على نحو خطيٍّ وخطيٍّ، حيث تدفع حضارات وخبرات جميع الأمم الذروة النهائية ل التاريخ العالم. تلك الذروة المتمثّلة في الحضارة الغربية». (١)

● وفي تعليق لأحمد رمزي يقول فيه: «كان للمستشرقين عموماً عقدة التعالي المنبثقة عن انتماهم إلى الحضارة الأوروبيّة المتقدّمة في رأيهم بقيمها وقوتها المادّية. وكان الجوّ العام هو

(١) انظر: كوامن الرغبة في تأثير الشرق. - ص ٢١٣ - ٢١٤ . - في: مُحَمَّد الدعمي. الاستشراف: الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي . - مرجع سابق. - ٢٤٦ ص.

أنَّ لِأُورُوبَا رسالَةً حضاريَّةً يُجْبِي أَنْ تَبَثَّهَا بَيْنَ الشعوبِ الْمُتَخَلِّفةِ». وَكَانَتِ الْغَلْبَةُ لِلْمُسْتَشْرِقِينَ؛ نَظَرًا لِتَمْكُنِهِمْ مِنِ الْعِلْمِ الْحَدِيثِ كَلْمَةِ الْاجْتِمَاعِ وَالْأَنْتِرِوبِولُوْجِيَا وَاللِّغَاتِ الشَّرِقِيَّةِ وَالتَّارِيخِ الْمُقَارِنِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكِ مِنِ الْعِلْمِ الْعُقْلِيَّةِ». (١)

● الإشكالية التي يشيرها نصُّ أَحمد رمزي هي أنَّ تكون عقدة التفوق تجاه الآخر غير الأوروبي متجلِّرةً في العقلية الأوروبية والأمريكية إلى حدٍ أقلَّ، لاسيما لدى الرجل الأبيض الذي يرى غير البيض يعيشون معه جغرافيًّا وفي الرقعة الشماليَّة نفسها، لكنه لا يراهم شيئاً، سوى أنَّهم جاؤوا لخدمته، كما يقول تيري هنتش: «ليست التزعنة العرقية نقيسةً بالإمكان التخلُّص منها، ولا هي بخطيئة يتوجَّب التطهُّر منها بطلب الغفران. إنَّها الشرط عينه الذي يحُكم نظرنا إلى الآخر». (٢) ولا عبرةَ بمن ذهب أبعدَ من هذا الشعور، فجعل الرجل الأبيض نصفَ إلهٍ، ومن غيره من العالمين أنصاف بشر!

● يؤيد سمير قصير الباحث أَحمد رمزي في هذا المنحى في الاستمرار في النظرة المتعالية من الدارس للمدروس حتى مع

(١) انظر: أَحمد رمزي. تعليق. - ص ٢٠٠ - ٢٠٣. - في: المغرب في الدراسات الاستشرافية. - الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٥ م. - ٢٢٩ ص.

(٢) انظر: تيري هنتش. الشرق المتخيَّل: رؤية الغرب إلى الشرق المتوسطي / ترجمة غازي بُرُو وخليل أَحمد خليل. - بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٤ م. - ١٧ ص.

ظهور الاستشراق الجديد أو المتجدد، حيث يقول: «أنا أدرك بالطبع، مثلما لاحظ ستيفان رايشموفت، أن لا تكون خيارات المستشرقين السياسية متصلة بالضرورة مع موضوعات دراساتهم، وأن يكونوا من اليسار أو اليمين ضمن مجتمعاتهم الخاصة. لكن ما أفهمه بضعيّة هو أن يستطيعوا الادعاء بأنهم متخصصون في الشؤون الشرقية وهم ينطلقون، اليوم في عام (٢٠٠٤) من عقدة بالتفوّق إزاء الآخر الذي يقاربونه على أنه شيء. وسيكون هذا تأكيداً أنَّ الاستشراق استحوذ هدفه الهيمنة على الآخر. فنحن جميعاً نعرف مستشرقين من هذا الطراز، وهم لا يمثلون إلا أقلية لحسن الحظ. لكنَّهم لسوء الحظ أكثر من يُستمع إليهم؛ لأنَّهم يتخلّون ربما أكثر من غيرهم في نقاش المجتمع».^(١)

● يؤكّد مصطفى النيفر هذا التوجُّه أيضًا بقوله: «حفلت الكتابات العلمية» الاستشرافية بالصور النمطية عن الإنسان الشرقي، كما يتوقّعه الغرب، أو كما يريده أنْ يكون. أراد الاستشراق، بكلٍّ تياراته وممثليه، أنْ يكون الدارس المترفُّ المتعالي المنكبُ على دراسة الشرقي انكابه على أيّ موضوع بيولوجي أو فزيائي. ولذلك لم يوجد «استغراب» يدرس من خلاله الشرقيُّ دارسه

(١) انظر: سمير قصير. تعليق/ ترجمة محمد صبح. - ص ١٠٧ - ١١٣ . والنصُّ من ص ١١١ - ١١٢ . - في : يوسف كرياج ومنفرد كروب، مشرفان. تأملات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضرها / ترجمة عدنان حسن ومُحَمَّد صبح . - بيروت: قدموس، ٢٠٠٦ م. - ١٤٠ ص.

الغربيّ. ولأنَّ الطرفين غير متكافئين لم يكن ذلك بالوارد على خاطر مجتمعٍ غربيٍ يعتبر كُلَّ الوجود (بما فيه الإنسان الآخر) موضوعاً لمعرفته العلمية، وتاليًا لسيطرته».^(١)

● ويؤيد هذا التوجُّه مقوله إدوارد سعيد في أنَّ الغرب يتخيل الشرق كما يريده أنْ يكون عليه، فيرسم عنه صورةً من مخيّله، ويبني على هذه الصورة نظرته فحكمه على هذا العالم الساحر.^(٢)

السحر والقابلية

● ربِّما يتحقّق هذا النوع من السحر في النّظرة إلى التّراث وما شابه من إصاّقات لم تكن واقعية، وتاليًا لم تُكُنْ حقيقة، ولكنّها مبسوطة في بعض كتب التّراث العربي الإسلامي، لاسيما التّراث الأدبي وبعض التّراث التاريخي، مما جعل بعض المستشرقين «يتصدّدون» هذا السحر الشرقي، فيبنون عليه صورتهم المتخيلة عن الشرق؛^(٣) (كألف ليلة وليلة، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والروض العاطر في نزهة الخاطر، نماذج)، ومن

(١) انظر: مصطفى النيفر. الأمير في دولة القراضنة: رحلة الأمير لوذرفيغ هيرمان فون بوكليير - موسكا إلى تونس (١٨٣٥). - الاجتهد. - ع ٥١/٥٠ (ربيع وصيف عام ٢٠٠١ / ١٤٢٢هـ). - ص ٦٥ - ١١٦. - والنّصُّ من ص ٦٦ - ٦٧.

(٢) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. - مرجع سابق. - ص ١٩.

(٣) انظر: كوامن الرغبة في تأثيث الشرق. - ص ٨٥ - ١٠٨. - في: محمد الدعمي. الاستشراق: الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي. - مرجع سابق. - ٢٤٦ ص.

ذلك تسييس أي جهد إسلامي لا علاقة له بالسياسة؛ رغبةً في التقليل من هذه الجهود وأنها لم تكون معنيةً لذاتها، كجمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه والنهي عن التفسير بالرأي، والقراء ورواية الحديث الشريف ورحلات علماء المسلمين، وغيرها يُتلمّس من ورائها مقاصد سياسية.^(١)

- ذلك لأنَّ النظرة إلى الشرق العربي والإسلامي لن تكون منهجية وواقعية ومكتملة ما لم تتمثل هذه الصورة عن العرب والمسلمين في الغرب، والأثر الخطير الذي مارسه الاستشراق في تشكيل قوالب وأنماط ذهنية - فكرية ونفسية لدى الغربيين تجاه العرب والمسلمين -^(٢) مما أuan - على رأي خلف الجراد - على صناعة الكراهية بين الغرب والشرق المتخيل.
- تتكرَّر الصورة النمطية مع الاستشراق الجديد أو المتجدد، لكنَّها تختلف هنا من حيث التخلُّي عن تلك الصور التقليدية للعربي القديم التي صوَّرها الرَّحَالة المستشرقون، (البربري المتتوحش راكب الجمل وساكن الخيام وكثير الحرير) إلى صورة الشباب المسلم ذوي اللحى الطويلة غير المهدَّبة وللباس القصير والنساء

(١) انظر: إبراهيم بن عمر السكران. التأويل الحدائي للتراث: التقنيات والاستمدادات. - الرياض: دار الحضارة، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م. - ص ١٧٩ - ١٩٧. - (التسييس في الاستشراق الفيلولوجي).

(٢) انظر: خلف الجراد. أبعاد الاستهداف الأميركي. - دمشق: دار الفكر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م. - ص ٢٤٨. - وبفرد خلف الجراد الفصل الثاني من كتابه هذا عن «الاستشراق وصناعة الكراهية». - ص ٦٧ - ١١٤.

المحجبات، المتعطشين للبطش، وما يكتنف ذلك كله من نزوع إلى صناعة العنف والإرهاب والدماء.^(١) وبهذا يجعل الاستشراق من المسلمين جماعة أو جماعات يتغذّر فهمها، لكن يمكن التوقع بفعلها.^(٢)

● هي حملة قديمة تتجدد وتتضافر فيها جهود مختلفة من تنصير واستشراق واحتلال وهيمنة وليبرالية غربية وعلمانية موجهة وعولمة ذات اتجاه واحد.^(٣) ومع هذا فقد تعرّض المستشرقون الأميركيون بخاصةً، عدا المستشرق برنارد لويس «للإدانة من قبل الجمهوريين المحافظين المؤيدين لسياسة دعم زائد لإسرائيل»، كما يقول المستشرق الفرنسي أوليفيه روا.^(٤)

● ولا يُغفل هنا دور القنائل وأثراهم، فبعضهم كانوا إلى الاستشراق السياسي أقرب، وكثيراً ما يخرجون من تجربتهم بكتاب أو مقالات، تستفيد منها الجهات السياسية، وتبني

(١) انظر: فاضل الريعي. ما بعد الاستشراق: الغزو الأميركي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء. - مرجع سابق. - ص ١٥ - ١٧.

(٢) انظر: ضياء الدين سردار وميريل وين ديفيز. لماذا يكره العالم الأميركي؟ - مرجع سابق. - ص ١١٤.

(٣) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. كُنه الاستشراق. - مرجع سابق. - ص ٩١ - ٩٨. - (الهدف السياسي).

(٤) انظر: أوليفيه روا. أوهام ١١ أيلول: المناورة الإستراتيجية في مواجهة الإرهاب. - بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٣م. - ص ٩٩.

بموجبها قرارتها في علاقاتها بالشرق، دون الاقتصار على الشرق الأوسط، بل شملت الشرق الأقصى في الهند والصين واليابان وغيرها.^(١)

● كان هناك سعي إلى إقصاء المستشرين عن السياسة من قبل. وتجدد هذا المشروع في السنوات العشر المنصرمة، ما يُنظر إليه على أنه تكرّس لاتّصار الاستشاريين لصالح القريبين من «أيباك» AIPAC أي اللجنة الأمريكية الإسرائيليّة للشؤون العامة،^(٢) التي تعود فكرة إنشائها إلى سنة ١٩٥١ م، عندما قرر أشياء كيّن عضو المجلس الصهيوني الأمريكي، بالتشاور مع بعض زعماء اليهود الصهاينة تكوين دهليز (لوبى) صهيوني لدعم الوجود اليهودي في فلسطين المحتلة، فتكوّنت اللجنة سنة ١٩٥٤ م.^(٣) يقول داني روينشتاين: «في الماضي كان المستشرون الأوروبيون المسيحيون هم الذين يزوّدون الثقافة الأوروبيّة بالحجج اللازمّة لاستعمار الإسلام وقهقهه، ولقد أثّر اليهود أيضًا وتحضيرهم. أمّا اليوم فإنَّ الحركة اليهودية هي التي تنتج جهاز المسؤولين الاستعماريّين، وطروحات اليهود الإيديولوجية عن الذهن الإسلامي أو العربي، هي التي تطبق في

(١) انظر: سامي سالم الحاج. نقد الخطاب الاستشاري. - مرجع سابق. - ١: ٥٦ - ١٠١.

(٢) انظر: أوليفييه روا. أوهام ١١ أيلول: المناقضة الإستراتيجية في مواجهة الإرهاب. - المرجع السابق. - ص ١٠٣ - ١٠٠.

(٣) انظر: خلف الجراد. أبعاد الاستهداف الأميركي. - مرجع سابق. - ص ١٣١.

إدارة العرب والمسلمين، الأقلية المقهورة ضمن الديمقراطيات الأوروبية البيضاء، التي تُدعى «إسرائيل». ^(١)

ويسعى محسن جاسم الموسوي إلى أن يصنف أغلب الكتابات الاستشرافية في مجال الاستشراق السياسي التي تُقرن بمرحلة ما يسمّيه بالدورة الثانية الأخيرة فيما له علاقة بالذهنية العربية الإسلامية من خلال أربعة كتب لأربعة مؤلفين غير عرب، إلى التصنيفات الآتية:

- ١ - أنَّ الذهن العربي يختلف عن الذهن الأوروبي «الأري سابقاً»،
- ٢ - أنَّ العربي يميل إلى الشورى، لكنه يميل أيضاً إلى الوساطة،
- ٣ - أنَّ العربي مجبول على النزاع والاقتتال والاحتراب،
- ٤ - أنَّ العربي يغلب التفاخر والمباهلة والاعتداد بالكبرياء، بالإضافة إلى أنه فرداني وأثاني، وأنه يظلُّ رهين فرداً بيته،
- ٥ - أنَّ المجتمع العربي لا يمكن أنْ يواجه روح العصر أو يحتويها، وهو ثابتٌ لا يتغيَّر، كما يشير باتاي،
- ٦ - أنَّ العربي متقلبٌ كالصحراء، ويعامل مع الآخرين بقسوة، وهو ذو «تفاؤل متهوِّر أو تشاؤم مهين»، كما يشير جاك بيرك.

(١) انظر: إبراهيم محمد جواد. الصراع بين الغرب والإسلام: من يفجّره؟ ولماذا؟ . - مرجع سابق. - ص ٦٨.

- ٧ - أنَّ العربي عاش فترات كسلٍ طويلة، وأخرى قصيرة متوقّرة منفعلة،
- ٨ - أنَّ العربي اليوم غير موضوعي ولا واقعي.^(١)
- ٩ - وتضييف المستشرقة الفرنسية إلزابيث بيكار بعض التقائص، مثل رفض العربي للحداثة السياسية ورفضه للديموقراطية، واعتماده على القبلية والعشائرية والعصبيات التقليدية والطائفية، وغير ذلك من صفات التقائص.^(٢) وربما كانت هذه الصور النمطية عن العالم العربي والإسلامي في تحليل الاستشراق السياسي لها قائمة على تأثير المستشرقين الأوائل التي تكونت رؤاهم من خلال عوامل عدّة، لعلَّ من أبرزها رحلات المستشرقين إلى بلدان العالم الإسلامي وأبحاثهم عنها،^(٣) وتعظيم انطباعاتهم على جميع البلدان.
- كما كانت القابلية للاحتلال التي نظر لها المفكّر المسلم مالك بن نبي - رحمه الله تعالى - (١٣٢٣ - ١٣٩٣ هـ / ١٩٠٥ - ١٩٧٣ م) من قبل،^(٤) تأتي القابلية لاتهام بالعنف والإرهاب

(١) انظر: محسن جاسم الموسوي. الاستشراق السياسي: فرضيَّة واستنتاجاته. – الاستشراق. – بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩ م. – ص ٤ – ١٣ (سلسلة كتب الثقافة المقارنة؛ ٣).

(٢) انظر: خالد محمد فرح الفحل. قضايا العالم الإسلامي من منظور المنهج الاستشراقي والبحثي الفرنسي. – الخرطوم: مركز دراسات الإسلام والعالم المعاصر، ٢٠٠٨ م. – ص ٢٧ – ٢٩

(٣) انظر: خالد محمد فرح الفحل. قضايا العالم الإسلامي من منظور المنهج الاستشراقي والبحثي الفرنسي. – المرجع السابق. – ص ٢٨

(٤) في مفهوم القابلية للاحتلال انظر كتابات مالك بن نبي، لا سيَّما =

الآن بين المسلمين عموماً وبين مسلمي العرب خصوصاً، بل بين السعوديين، حيث مهبط الوحي ومراتع المصطفى رسول الله ﷺ، لا سيما بعد أحداث يوم الثلاثاء ٢٢/٦/١٤٢٢ هـ الموافق ١١/٩/٢٠٠١م، حيث الاشتباه ما يزال قائماً على بعض الأفراد السعوديين في تفجير البرجين في نيويورك وذوبان الحديد الذي بُنيَ منه البرجان من قوا عده، ووجود جواز سفر سعودي جديد لم يتأثر بالحريق الذي أذاب الحديد!

● ومن هنا يتسائل المرء «الحليم» عند طرح مفهوم القابلية هذه: هل يمكن أن يتحقق بعض أبناء الأمة - دون قصد مباشر منهم - ما يصبو إليه أعداؤها؟! هذا تساؤل لا إجابة يسيرة بالإيجاب عليه؛ لأنَّ الإجابة بالإيجاب سوف تقلب الموازين، وتصيب بالصدمة أولئك الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعاً من دعاء الإصلاح السياسي والاجتماعي من منطلق متطرف إلى إحدى الجهتين، أقصى اليمين أو أقصى اليسار، وليس من منطلق ليبرالي،^(١) أو من منطلق علماني فحسب، كما يتبادر إلى

= إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي، وشروط النهضة. وانظر أيضاً: إبراهيم رضا. مالك بن نبي وفلسفة الحضارة الإسلامية الحديثة. - ثقافتنا. - مج ١ ع ٢ (شتاء ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م). - ص ١٨٥ - ١٩٦. - وانظر، كذلك: حازم علي ماهر. مالك بن نبي. - المسلم المعاصر. - مج ٣٠ ع ١١٨ (رجب، شعبان، رمضان ١٤٢٦ هـ - أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر ٢٠٠٥ م). - ص ١٦٣ - ١٨٩.

(١) انظر: أوهام النخبة: إخفاق الليبراليات الجديدة. - ص ١٣٥ - ١٨٧. - في: فاضل الريبيعي. ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء. - مرجع سابق. - ٣٠ ص.

الذهن. وقد شدّد فاضل الريعي على أثر الليبراليين العرب في الإسهام في صناعة الكراهية بين الشرق والغرب من خلال الاستشراق وتبني الأفكار الاستشرافية الجديدة في تأجيج الوضع في المنطقة، لاسيما في العراق اليوم.

ولذلك يتردد أنَّ بعض هذه الفئات المتطرفة هي صناعة للعدُو صناعةً مباشرةً أو غير مباشرةً أو بالاستحواذ،^(١) أو أنها تمثل العدو في تنفيذ إملاءاته، مع أنَّ هذا اتهامٌ في ظاهره مجحف؛ إذ إنه ليس من السهل الإسراع في إلصاق هذه الإطلاقات على من بدت منهم رغبة في التفكير فيها، رغم امتهان المصطلحات في وقتنا الحاضر، حتى أولئك الذين يلصقون أنفسهم بالليبرالية أو العلمانية، أو ربما أُلصقت بهم، لا يظهر أنَّ كثيراً منهم يدركون تماماً مدلول المصطلحات،^(٢) وربما كانوا أقرب إلى الاعتدال والوسطية الدينية، أو ربما كانوا أقرب إلى أنْ تنطبق عليهم إطلاقات شرعية توحى بالقصیر في الفهم منهم، أوضح من إلصاقهم بالليبرالية أو العلمانية.

ولذلك قد لا يصدق الإطلاق المركب الذي يستخدمه هشام شرابي: العلماني المسلم أو المسلم العلماني.^(٣) أو الليبرالي

(١) سبقت محاولة التعريف بمفهوم الاستحواذ عند أوّل ذكر له.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. إشكالية المصطلح في الفكر العربي: الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات. - بيروت: مكتبة ياسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ٢٤٨ ص.

(٣) انظر: بروز العلمانيين المسلمين. - ص ١٧٩ - ٢١١. - في: هشام شرابي. المثقفون العرب والغرب: عصر النهضة ١٨٧٥ - ١٩١٤. - ط ٥. - بيروت: المؤلف، ١٩٩٩م. - ص ٢٧٦.



المسلم أو المسلم الليبرالي، حيث يفرق هشام شرابي بين العلماني المسلم والعلماني غير المسلم في المجتمع العربي، ويدرك أمثلةً للعلمانيين المسلمين يصعب النظر إليهم على أنهما كانوا كذلك.

• وما يطلقه جورج طرابيشي كذلك من بنور العلمانية في الإسلام في بعد السياسي بخاصةً. ففي زمن التصنيفات صار المسلم المسمى في جانبٍ من جوانب الدعوة إلى الإسلام لا يسلم من التصنيف بالسلفية أو الإخوانية أو العصرانية أو التنويرية أو العقلانية أو التقليدية الكنسية، وما إلى ذلك من تصنيفات يُراد بها تمزيق الأمة الإسلامية وشرذمتها. بالإضافة إلى تصنيف بعض العناصر الفاعلة فكريًا في المجتمع المسلم، مع شيءٍ من التهاون في أحكام الدين باللبيراليين أو العلمانيين، دون إدراكٍ - بالضرورة - لمفهومات هذه الإطلاقات من بعض المتحمسين.

• كما يذكر جورج طرابيشي أنَّ الذي اغتال الكاتب المتحامل على الإسلام في مصر فرج فودة عندما سأله القاضي: وما معنى علماني؟ أجاب: لا أعرف.^(١) وكانت هذه الإجابة بعد سؤال القاضي له عن الدافع لقتله فرج فودة، وإجابته بأنه علماني. وقد عُرف فرج فودة بمناهضته للدين، فليس هذا اعتذاراً له أو عنه،

(١) انظر: بنور للعلمانية في الإسلام. - ص ١٩ - ٣٨. - في: جورج طرابيشي. هرطقات عن الديموقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية. - بيروت: دار الساقِي، ٢٠٠٦ م. - ٢٢٩ ص.

ولكن المقصود هو من اغتاله بتهمة العلمانية، وهو لا يدرك مفهوم المصطلح.

وشاح الموضوعية

- من السهل على الباحث والمفكّر حتّى لا يُتّهم في انتماهه لثقافته، أنْ يركب موجة الهجاء التي يواجهها الاستشراق، فیسهم في صناعة الكراهيّة ضدّ الاستشراق والمستشرقين، ومن ثمَّ يسلم من الاتهامات السريعة في فكره وانتماهه، لأنَّه تبيّن أنَّ هجاء الاستشراق مركبٌ سهل، وهو النمط السائد للكتابة عن الاستشراق بين كثير من المفكّرين العرب والمسلمين، لاسيما غير المتخصصين في الدراسات الاستشرافية.
- ولكنَّ هذه الموجة وهذا المركب لا يخدمان الثقافة الإسلامية في مجال انتشارها في البيئة الغربية التي نشأ فيها المستشرقون، وفي مجال نشر الثقافة الإسلامية في الغرب وفي غيره، هذه الثقافة التي نعتقد أنَّ العالم يظلُّ بحاجة إليها، كما تظلُّ هي بحاجة إلى معطيات الحضارات الأخرى العلمية. ذلك لأنَّ ردَّ الفعل الاستشرافي تجاه هذه المواقف السلبية يكون سلبياً، ويؤصد الباب أمام بحوث متجردة عن الهوى، تكون مستقلةً عن أيِّ نوازع دينية أو سياسية أو احتلالية. ويؤثّر في جهود الإقناع بنقاء الثقافة الإسلامية، والسعى إلى نشرها بين الأمم.
- لا يعني هذا الموقف المتلوّح بالموضوعية التغاضي عن المأخذ على الاستشراق؛ لأنَّها مأخذ يصعبُ التغاضي عنها وتقتضيها

النظرة الموضوعية، دون الدخول في تسويغ مواقف استشرافية غير إيجابية لا تحتمل التسويغ. ووقف عندها بعض المستشرين أنفسهم فعابوا علىبني جلدتهم مواقفهم غير البناءة تجاه الشرق، ما يدخل في مفهوم النقد الذاتي للاستشراق، كما سيأتي البحث فيه.

● ليس المراد من هذه النظرة الموضوعية كذلك تجاهل نصوص من القرآن الكريم والستة الشريفة، هي صريحة في تحديد العلاقات العامة المبدأة بين الثقافات، تلك العلاقات التي تؤيد وجود فروقات، وتاليًا يتبيّن تعذر النظرة المثالية للاقتاء والتقارب التام بين هذه الثقافات. فالقرآن الكريم واضح في عدم رضى اليهود والنصارى رضى تاماً عن المسلمين حتى يتبع المسلمون الملة اليهودية أو النصرانية قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنَكُمُ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْمُهَدَّىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعُتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ أَلْيَهِ جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة ١٢٠).

● والقرآن الكريم واضح أيضًا في وجود عداوات بين اليهود والنصارى من جهة وبين المسلمين من جهة ثانية، ولكنها في الوقت نفسه مع أنها عداوة شديدة إلا أنها متفاوتة في الشدة. قال تعالى: ﴿لَيَحِدَّنَ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَتَجِدَنَ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَاتَلُوا إِنَّمَا نَصَرَنَا ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيبَيْنَا وَرَهْبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيَ الرَّسُولِ تَرَكُوا أَعْيُّهُمْ تَفِيشُ مِنَ الْدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا

مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِمَانًا فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّهِيدِينَ ﴿٨٢﴾ (المائدة - ٨٣).

● والقرآن الكريم واضح - من وجهة ثالثة - في بيان العداوة بين اليهود والنصارى، وأنَّ كُلَّاً منهما لا ترى الآخر على شيء، مما يحتم صعوبة التلاقي بينهم، قالَ تَعَالَى : **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّلَوُ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾** (البقرة ١١٣). وعليه فإنَّ كُلَّاً منهما يرى أنَّ ما هو عليه هو الدين الحق.

● ينطلق النقاش هنا من هذه المسلمات في وجود هذه الفروقات، التي لا تتعارض تعاوِضاً قطعياً مع إمكانات اللقاء في ضوء هذه المسلمات والتعايش بالقبول، وليس بالضرورة بالرضا، على اعتبار أنَّ هناك فرقاً بين القبول والرضا. ويقتضي الموقف هنا وفي كلٍّ مناسبة أخذ النصوص الشرعية بسياقاتها، ومع جهود علماء المسلمين في ربط نصوص التشريع بعضها مع بعض، ومقابلة بعضها مع البعض الآخر، بما في ذلك مفهوم الولاء والبراء. ^(١) ومن تلك النصوص التي تؤكِّد على التلاقي قوله تعالى : **﴿يَتَآئِهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذِكْرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُورًا وَبَإِلَّا**

(١) انظر في مناقشة مفهوم الولاء والبراء من منطلق علمي / شرعي : محمد بن سعيد بن سالم القحطاني . الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف . - الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م . - ٤٧٦ ص .

﴿لِتَعَاوَرُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَقْنَمُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْمٌ حَمِيرٌ﴾ (الحجرات ١٣)، قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَا يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيْرِكُمْ أَنْ تَبَرُّهُمْ وَقُصْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المتحنة ٨)، وغيرها من النصوص الشرعية، مثل قوله تعالى قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قُتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَا خُوْكُمْ إِنْ دِيْرِكُمْ وَظَاهِرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ قَوْلَتُهُمْ وَمَنْ يَنْوَهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المتحنة ٩).

- إنما المراد هنا هو توخي الحذر في إطلاق الأحكام، والعزوف عن التعميم فيها، بحيث يضار رهط من العلماء المستشرقين، الذين كانت لهم أيادٍ تذكر في سبيل خدمة التراث الإسلامي، وتقديم الثقافة الإسلامية لغير المسلمين من الغربيين أولاً، رغم وقوع البعض منهم في أخطاء علمية، فرضها عليهم عدم انتسابهم إلى ثقافة يتحدون عنها ويبحثون فيها، وجهل بعضهم باللغة العربية، التي جاءت بها هذه الثقافة، واعتماد بعضهم الآخر على إسهامات بعض سلفهم الذين لم ينطلقوا في الكتابة عن الإسلام والمسلمين من منطلقات موضوعية.

- يتفق هذا الباحث [القططاني] مع أستاذه السيد محمد الشاهد في بعد كثير من الأبحاث العربية حول الاستشراق ونقدة عن الموضوعية وتصيد السلييات الاستشرافية وتضخيمها، وإذا ما تم العثور على بعض الإيجابيات يُحاط من قدرها وقيمتها العلمية، ويساء القصد في أصحابها، ويُقذف كل من يحاول إعطاءها

قدرها بشبهة التعاطُف والتتحيز والتعاون مع المستشرقين. وقد يصل الحماس بعضهم إلى رمي هذا المتعاطف المتتحيز المتعاون في عقيدته، والتشكيك فيه وفيها^(١) وأنه لا يعدو أن يكون «فرخاً» من فروع المستشرقين، أو على أقل تقدير معتدراً عنهم وعن مناهجهم مسوغاً لسقوطاتهم.

• ويعلّق أحمد رمزي على هذا الموقف بقوله: «وكيف ما كان الأمر فعلينا أن نتعامل مع الاستشراق، فلا نرفضه كله ولا نقبله كله، بل هو حالات تعامل معها. فإذا كان المستشرق منصتاً أو أتى بجديد أنصفناه، وإذا كان مغرضًا مزوراً متحاملاً رددنا عليه وصحّحناه. كل ذلك بجوء علميٍّ موضوعيٍّ يكون المقياس فيه الحقيقة العلمية والنزاهة الفكرية». ^(٢)

• ويقول عمر لطفي العالم: «ليس من العدل أن ننظر نظرةً متوجهةً، ونأخذ الكلَّ بجريرة البعض، سواءً ما كان منه بداعٍ للتعصُّب الديني أو الطمع الاستعماري أو الغلو المنهجي. فكما وُجد من بين هؤلاء من قذف العربية واتهامها بالعجز وقصر الأداء، وُجد أيضاً من شغف بها واستبسيل في الدفاع عنها، بل واتَّخذ من شعرها الغزلي هديةً لعروسه في يوم زفافها. وكما

(١) انظر: السيد محمد الشاهد. الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرین. - الاجتهد. - ع ٢٢ (شتاء عام ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م). - ص ١٩١ - ٢١١.

(٢) انظر: أحمد رمزي. تعليق. - ص ٢٠٠ - ٢٠٣. - في: المغرب في الدراسات الاستشرافية. - مرجع سابق. - ٢٢٩ ص.

نسجّل عليهم حقّ استعادة تراثنا المنهوب، نسجّل لهم حفظ جانبٍ مهمٍّ من التراث من الاندثار والضياع». (١)

- ويرغم هذه النظرة التي تتولّ الموضوعية في الحكم، إلا أنَّ عبد النبي أصطيف، وهو ممَّن يتوقّع منه الإنصاف للاستشراق، لا يملك أنْ يُغفلَ ما كان للاستشراق من آثار سلبية؛ لكونه «متَّجاً ثقافياً إنسانياً محكوماً بظروف المواجهة بين متجهاً (الغرب) وموضوعها (الشرق)، وبمواقف طرفي هذه المواجهة وأهوائهم وأفكارهم المسبقة كلَّ على الآخر، ومصالحهم الدنيوية في عالمٍ تحفَّزه المصالح أكثر مما تحفَّزه القيم والمبادئ». (٢)
- على أَنَّه من المؤكَّد - فيما يتعلّق بتغليب المصالح وفي ضوء الأحداث المنعكسة على المنطقة العربية والإسلامية بعد حادثة يوم الثلاثاء ٢٢/٦/١٤٢٢هـ الموافق ١١/٩/٢٠٠١م - تغليب مسألة الأفكار والاعتقادات والقيم والمبادئ المكتنونة على المصالح الآتية، ما يعني أَنَّ المصالح ليست - بالضرورة - هي وحدها - كما هو الاعتقاد السائد - التي تسير العلاقات دائمًا بين الشرق والغرب، لاسيَّما الغربية الأقصى في وقتنا هذا. (٣)

(١) انظر: يوهان فوك. تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى نهاية القرن العشرين. - مرجع سابق. - ص ١٠. - (المقدمة).

(٢) انظر: عبد النبي أصطيف. نحو استشراق جديد. - الاجتهد. - ع ٥٠/٥١ (ربيع وصيف عام ٢٠٠١هـ). - ص ٢٥ - ٦٣. - والنصلُ من ص ٦٢.

(٣) انظر: غريس هالسل. يد الله: لماذا تضحي الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل؟ / ترجمة محمد السمّاك. - ط ٢. - القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م. - ص ١٣ - ٣٣.

النقد العلمي

● أضحت نقد الاستشراق اليوم يخضع للمنهجية العلمية، التي تقتضي قدرًا من التخصص، أو على أقل مطلب علمي، تقتضي الشمولية في الاطلاع على مشارب الاستشراق وفناهه ومدارسه وأطواره، إذ إنَّه يُعدُّ الآن من أوسع الموضوعات الثقافية والفكرية التي تتعرَّض للنقد العام، كما أنَّه يكثر متقدوه نقدًا فكريًّا عامًّا، بداعٍ لا يُشكُّ في مقاصدتها وإخلاصها، إلَّا أنَّه مع سلامة المقصود والإخلاص فيه لا بدُّ من توافر عنصر الصواب في النقد.^(١)

● ولا تكفي النظرة البسيطة الاتهامية للمستشرقين. يقول الكاتب سمير عطا الله: «وللأسف فإنَّ النظرة إلى هؤلاء ظلت تشكيكية حذرة، وغالبًا تبسيطية اتهامية، لا تصدق أنَّ لها في الغرب أصدقاء، بل أعداء دائمين. أعتقد أنَّ هذا الموقف من الاستشراق أحق ضررًا وأصحًا بعملية لا حدود لبعض فوائدها في الأعمال البحثية، فقد تراجع كثيرون عن الانخراط في هذا العلم، الذي لا غنى لنا عنه، وتوقفت جامعات كثيرة عن متابعة دراساتها العلمية في التاريخ والتراث وحتى الأدب، خوفاً من التهم». ^(٢)

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. مراجعات في نقد الاستشراق: الاستشراق والإسلام. - مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: العلوم الإنسانية والاجتماعية. - ع ٣ (ربيع الآخر ١٤٢٨هـ). - ص ١٣ - ٤٤.

(٢) انظر: سمير عطا الله. الشرق الأوسط. - (٢٨/١/١٤٢٨هـ - ٩/١). - ص الأخيرة. ٢٠٠٧م).

- ولا تكفي كذلك النظرة المتحيزة إلى اليسار أو إلى اليمين، وكل نظرة منها تأخذ على الأخرى مجانية الصواب في نقد الاستشراق. يقول المستشرق الأمريكي المعاصر فرانسوا دي بلوا، وهو يميل إلى اليسار: «وقد بدأت موجاتٌ من النقد تتوجه إلى الاستشراق من موقع رجعية ويمينية بلغت ذروتها في سيلٍ من الكتبيات في سبعينيات هذا القرن (العشرين المنصرم).
- وأكثر ما يُزعج هؤلاء الثفّاد اليمينيين في الاستشراق هو نهج التقديمة التاريخية الذين يُعالجون به الحقب المبكرة من تاريخ الإسلام. وينظر الرجعيون في العالم الإسلامي إلى دراسات المستشرقين كأنها باعتبارها «مؤامراتٍ من جانب المسيحيين واليهود لتدمير الإسلام». ^(١) فيما يشيّن دي بلوا على النقد اليساري للاستشراق، ويصفه بمنطلقاته وأهدافه بأنه وجيهٌ وصحيحٌ ويستحق الاهتمام. ^(٢)
- لسنا نحن العرب والمسلمين، نريد للاستشراق أن يتوقف بهذه الصورة العازفة عن خدمة الثقافة الإسلامية، ولا يظهر أنه سيتوقف بصورة حادة، ولكنه كما هو الآن طرق يبحث عن مسارات يسهم من خلالها في دراسة الشرق، فيستمر في خدمة أغراضه التي لم تستنفذ بعد، بل هي في نموٍ، بنموٍ ما تمُّ به

(١) انظر: فرانسوا دي بلوا. في نقد المستشرقين. - الفكر العربي. - مرجع سابق. - ص ١٤٨.

(٢) انظر: فرانسوا دي بلوا. في نقد المستشرقين. - الفكر العربي. - المراجع السابق. - ص ١٤٧.

المنطقة العربية والإسلامية من أحداث متالية ذات علاقة متنوعة المشارب بالمصالح الغربية، ويغلب عليها الطابع السياسي والحزبي.^(١)

- يقول فاضل الريبيعي: «لقد انتهت الوظائف التاريخية للاستشراق القديم مع نهاية الاستعمار ويزوغر فجر الاستقلالات الوطنية في العالم الثالث. ولنقل بكلام أنسُب: إنَّ هذه الوظائف استنفذت أغراضها الأصلية بعد أن تراحت أهداف الاستشراق مع زوال العصر الذي ولد فيه. ثم إنَّ حلوله وأفكاره فقدت آية قيمة علمية لها، وربما تكون علميتها قد تلاشت كليًّا مع تلاشي الأسس التي قام عليها الاستعمار القديم في الشرق».^(٢)
- ويضيف فاضل الريبيعي القول: «ومع ذلك؛ فمن المؤكَّد أنَّ الحلول والتصورات الزائفة والمراهنة التي ابتكرها الاستشراق الماضي «للشرق العظيم» قد تبدَّلت هي الأخرى، ولكن ومع عودة الاستعمار القديم أو ما بات يعرف اليوم بالاستعمار الجديد، بدأ علمٌ زائف وجديد يطلُّ برأسه على الوطن العربي». ^(٣) وربما يقصد بذلك عودة الاستشراق بصورته السياسية المهيمنة.

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق بين منحين: النقد الجذري أو الإدانة. - مرجع سابق. - ٦١ ص.

(٢) انظر: فاضل الريبيعي. ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء. - مرجع سابق. - ص ٩ - ١٠ .

(٣) انظر: فاضل الريبيعي. ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء. - المرجع السابق. - ص ٩ - ١٠ .



● نقد الاستشراق بهذه الصورة الموضوعية أَدَى - ويؤَدِّي - إلى إعادة نظر بعض المستشرقين في مواقف أسلافهم من الإسلام، ويدفعهم إلى أنْ يعيدوا تقويم أعمال أسلافهم، فيتنزع جمع منهم إلى التخفيف من اللهجة العدائية للإسلام والمسلمين، بتوظيف الموضوعية أكثر من ذي قبل، ما يعين على تجسير الفجوة بين الشرق والغرب، تلك التي أسهم في صنعها رهطٌ من المستشرقين الأوائل، ومن ثُمَّ السعي إلى تجسير الفجوة في مشروع صناعة الكراهة بين الشرق والغرب.^(١)

● لن يستغني الغرب عن الشرق، ولن يستغنى الشرق عن الغرب. وتالياً، ستزداد الدراسات الاستشرافية، وإنْ بمصطلحات مختلفة، وسيزداد متقددو الاستشراق كثرةً من منطلقات مختلفة، منها العلمي ومنها الفكري ومنها ذو المنطلق الديني، ومنها ذو المنطلق القومي، ومنها ذو المنطلق اليساري، رغم خفوت النظرة اليسارية على المستوى السياسي في معاقلها، وهكذا.

الثقة بالاستشراق

● تأتي هذه الكثرة من المتقدين للاستشراق لما يعيشه العالم الإسلامي - ومنه العالم العربي - من حال اهتزاز الثقة بفقد الاستشراق، من حيث كونه عاملاً من عوامل الاتصال الإيجابي مع الثقافات الأخرى، لا سيما الاتصال الإيجابي بين الشرق

(١) انظر: صلاح عبدالرؤوف. المفكرون الغربيون المسلمين: دوافع اعتنائهم بالإسلام. - مرجع سابق. - ٢٧٢ : ٢.

والغرب، ذلك أنه يندرُ المتخصصون في نقد الاستشراق تخصصاً مباشراً، وتندر فيه مراكز الدراسات والبحث العلمي على المستويين العربي والإسلامي، في الوقت الذي تزداد فيه مراكز الدراسات الاستشرافية في الغرب والشرق الأقصى، حيث جاوزت مراكز البحث في الولايات المتحدة الأمريكية الألف (١,٠٠٠) مركز بحثي، منها مئة واثنان (١٠٢) مركز بحث في العاصمة واشنطن - كما يشير جيمس لأن سميث في كتابه سماحة الأفكار - ^(١) وإن تسمّت هذه المراكز وغيرها بأسماء أخرى غير الاستشراق، وإن تخلّت في بعضها عن خدمة التراث العربي الإسلامي بنشره ودراسته وتحقيقه وترجمته، واتّجهت إلى الاستشراق السياسي ذي الرواج هذه الأيام. ^(٢)

● ندرة المتخصصين في نقد الاستشراق من العرب والمسلمين وندرة وجود مراكز نقد الاستشراق والمستشرقين على المستويين العربي والإسلامي كان لهما أثراًهما في أن يُتوّلَ نقد الاستشراق

(١) انظر: جيمس لأن سميث. سماحة الأفكار / ترجمة مجدي عبدالكريم - القاهرة: مكتبة مدبولي ١٩٩٤م. - نقاً عن: عبدالله يوسف سهر محمد. مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين. - أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠١م. - ص ٤٠ . - سلسلة دراسات إستراتيجية؛ ٥٧.

(٢) انظر: محمد فتح الله الزبادي. قراءات في منابر استشراقية: دراسة في الاستشراق السياسي. - مستقبل العالم الإسلامي. - ع ٤ (١٩٩١م). - ص ٢٠١ - ٢٢٤ . - وانظر أيضاً: مصطفى عبدالغنى. المستشرقون الجدد: دراسة في مراكز الأبحاث الغربية. - القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٧م. - ١٤٧ ص.



من منطلقات عاطفية، هدفها نبيل، وهو الذود عن هذا الدين الحنيف والثقافة العربية والإسلامية التي استمدت مقوماتها من هذا الدين، دون إغفال الإفادة من الثقافات الأخرى، السابقة والمعاصرة. لكنَّ هذه العاطفة التي طغت على هذا الطرح أوقعت بعض المنتقدين بمزالق علمية، من خلال الدخول فيما يسميه رضوان السيد بـ«يديولوجيا العداء للاستشراق الذي لا يمثل المنهج التخصصي في نقد الاستشراق». فكانت صناعة الكراهية ضدَّ الاستشراق، كما كانت من قبيلٍ ومن بعدُ صناعة الكراهية ضدَّ الإسلام.

● تُستحضر هنا تلك العبارة المناسبة لهذا المقام عن أحد المعنّين المباشرين بظاهرة الاستشراق؛ أستاذِي في الاستشراق السيد محمد الشاهد، حيث يقول: «كثُر الحديث في العقدين الأخيرين من هذا القرن العشرين عمّا يسمى في بلادنا ظاهرة الاستشراق، شارك فيه المتخصص وغير المتخصص، من يعرف لغات الاستشراق ومن لا يعرفها، فجاء معظم الحديث نقولاً عن نقول أخذت عن ترجمات فيها الصواب والخطأ، وأصبح ميدان الاستشراق أو كاد حِلَّاً لمن أراد التأليف السريع لا يتطلب من طالبه سوى جمع بعض ما سبق، وتوليفه وتزيينه بعناوين جذابة ترضي ذوق متوسطي الثقافة». ^(١)

(١) انظر: السيد مُحَمَّد الشاهد. الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرین. - الاجتہاد. - ع ۲۲ (شتاء عام ۱۴۱۴ھ/ ۱۹۹۴م). - ص ۱۹۱.



● لو سأله أحد عن المقياس الذي يمكن تبنيه في نقد الاستشراق والحكم عليه لأجابت عنه الآية الكريمة في سورة المائدة، قال تعالى: ﴿يَتَبَاهُ الظَّالِمُونَ مَا مَنَوا كُوْنُوا قَوَّمِيْكُنَّ لِلَّهِ شَهَدَاتُهُ يَأْكُلُسُ وَلَا يَجْرِيْنَكُمْ شَنَعًا قَوَّمٌ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَأَنَّقُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ حَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

● رغم أنَّ هذا النوع من العدل مع الآخر ليس متوجَّهاً من الآخر نفسه، لا سيما الآخر الغربي (الأوسط والأقصى بخاصة) تجاه المسلمين دائماً، ورغم كل المؤشرات التي لا تشجع على هذا الموقف العادل، إلا أنَّ مطلب العدل يأتي توجيهها من مصدر الثقافة الإسلامية الأول، بحيث يكون توخي العدل في الحكم على الأشياء نمطاً من أنماط العبادة لله تعالى؛ لأنَّ فيها طاعةً لأوامره تعالى، كما أنَّ توخي استحضار مفهوم الولاء والبراء فيه طاعةً لله تعالى فلا يغلب مفهوم على حساب آخر.

● ورغم أنَّ هناك صناعةً للعداء تجاه المسلمين،^(١) وأنَّ هناك انسياقاً غربياً إلى رسم الإسلام عدواً للغرب،^(٢) فإنَّ ذلك سيؤدي - كما يقرُّ المستشرق الألماني فريتس شتييات (١٩٢٣) -

(١) انظر: رجب البنا. صناعة العداء للإسلام. - القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٣م. - ٤٦٤ ص.

(٢) انظر: الإسلام، العدوُّ الجديد الذي ينبغي القضاء عليه. - ص ١٦٥ - ١٧٨ . . . في: مختار بن بركة. اليمين المسيحي الأمريكي: تاريخ ومسيرة/ ترجمة وتقديم أحمد الشيخ. - ط ٢ . - القاهرة: المركز العربي الإسلامي للدراسات الغربية، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م . - ٢٨٨ ص.

(٢٠٠٦م) - إلى الإحالة بين الطرفين، لاسيما في الغرب، للبحث في الأسباب التي أدت إلى ما يسميه المفكرون الغربيون بالأصولية الإسلامية، وتثير الوسائل التي تساعد على استبعاد هذه الأسباب.

● وسوف يؤكّد هذا شعور المسلمين بأنّهم محاطون بقوى معادية ترتكب بالإسلام وتسعى للقضاء عليه، وبذل يدفع الغربيون المسلمين دفعاً إلى هذهالأصولية، وسيكون هذا التصوير بالأصولية أشبه ما يكون بصبّ مياه جديدة في طواحين العداء للMuslimين المقيمين في الغرب الأوسط والغرب الأقصى.^(١) مما قد يؤدي ببعض المسلمين في هذين الغربين إلى تجاهل بعض الأحكام الإسلامية الضرورية، بحيث لا يظهرون متميّزين عن الباقيين، أو - في الجانب الآخر - قد يؤدي إلى قدر من الغلو (التطوّف) والمبالغة في إضهار التميّز، ولو بالشكل الظاهر كنوع من التحدّي لمظاهر تقوم على التفلت من القيم والمثل والمبادئ. وفي كلا الحالين الخاسر المباشر هم المسلمين المقيمون في الغربين.

● المواجهة هنا تقتضي التفاهم لا التحارب. والنظرة إلى الإسلام والMuslimين على أنّهما خطر على العالم كله، لاسيما على الغرب

(١) انظر: عشر قضايا عن الأصولية الإسلامية. - ص ٧٩ - ٨٣. - في: فريتس شتيبات. الإسلام شريكًا: دراسات عن الإسلام والMuslimين / ترجمة عبد الغفار مكاوي. - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م. - ٢٠٦ ص. - (سلسلة عالم المعرفة؛ ٣٠٢).

الأوسط والأقصى، هي نظرة متطرفة، مهما كانت الجهة التي جاءت هذه النظرة منها.

- يؤكّد محمد جلاء إدريس عدم اللجوء إلى هذا التوجّه بعبارة هي أكثر وضوحاً بقوله: «ينبغي أن لا يسيطر التطرف على معالجتنا للقضايا المهمة في عالمنا، فلا نقع في إفراط أو تفريط، ولا في تهويل أو تهويل. نحن بحاجة إلى عقول تربّت ونمّت على الموضوعية، تدرس الماضي وتفسّر الحاضر وتخطّط للمستقبل. ولسنا بحاجة إلى من يهاجم فكرًا أو يدافع عن فكر آخر، دون أن يكلّف نفسه عناء التفكير في البدائل الناجعة». ^(١) ولذلك فإنّ عين الرضا أو عين السخط لا تستحضران هنا، من قول الإمام الشافعي (١٥٠ - ٧٦٧ هـ / ٢٠٤٠ م) رحمة الله عليه:

وعيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْنٍ كَلِيلَةٌ

وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبَدِّيُ الْمَسَاوِيَا

تفيّق الاستشراق

- إذا كان لا بدّ من التفيّق للاستشراق وتوزيعه إلى استشارات - بحسب مواقف المستشرقيين من الثقافة الإسلامية إيجاباً أو سلباً - فإنّ ما يتّبادر إلى الذهن في صناعة الاستشراق للكراهية بين الثقافات هو ذلك الاستشراق اليهودي والمتصهين، الذي يمكن

(١) انظر: محمد جلاء إدريس. العلاقات الحضارية. - دمشق: دار القلم، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م. - ص ١٢١.

أن يُنظر إليه على أنه أبرز الاستشارات بتركيبته على الاستشراق السياسي، لا سيما في الاستشراق الجديد أو المتجدّد، أو ما بعد الاستشراق، تلك الاستشارات التي وقفت داعمةً لكلٍّ ما كان له أثر في صناعة الكراهية.

- ويتأكد ذلك لدى ما أسماه المفكرون العرب بالاستشراق الإسرائيلي، ما يوحى بأنَّ هناك استشراقاً يهودياً غير متchein، أي أنه قريب من الاعتدال، إن لم يكن معتدلاً مع الثقافة الإسلامية. وهذا ممكן ووارد، وإنْ كان في النفس شيءٍ من ذلك لدى بعض دارسي الاستشراق من حيث المبدأ، إذ لم يُعنَ جملة اليهود على أنْ يتركوا هذا الانطباع عنهم، لاسيما أنَّ معاداة الأمم الأخرى غير اليهودية، وعلى رأسها المسلمون هو جزء من المعتقد اليهودي.
- لذلك ومع تلمس الاعتدال في الاستشراق اليهودي إلا أنَّ هناك توجُّساً من أي إسهام يهودي استشرافي في مجال الثقافة الإسلامية، لاسيما إذا تبيّنت هوية المستشرق، الأمر الذي لا يبدو أنه ممكן بسهولة، فليس كلُّ المستشرقين اليهود يرغبون في أنْ يصنفوا على أنَّهم كذلك؛ رغبةً من هذه الفتة في الأَّ تخضع للتصنيف أو التفيف،^(١) الذي قد يؤثِّر على أدائها الموضوعي في دراستها للتراث العربي الإسلامي.

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. كُنه الاستشراق. - مرجع سابق. - ص ١٦٣ - ١٩٥ . - (الاستشراق في خدمة اليهود واليهودية).

● يقول إبراهيم عبدالكريم في كتابه الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل: «إنَّ واقع التماُثُل بين المستشرقين اليهود وبين المستشرقين الآخرين لا يلغى احتمال تزايد تأثير الدوافع الذاتية بالنسبة لمستشرق يهودي يتعامل مع الشؤون العربية والإسلامية لدى بحثه في هذه الشؤون من موقع التنافُس اليهودي - الإسلامي على كسب المشروعية، أحدهما في مواجهة الآخر». ^(١)

● انطلق الاستشراق اليهودي من الرغبة في خدمة اللغة العبرية وكذا العرقية السامية. ولما للغة العبرية من ارتباط باللغة العربية، وللرغبة في الربط بين الإسلام واليهودية من منطلق أنَّ الإسلام أخذ كثيراً عن اليهودية، فقد توجَّه رهطٌ منهم إلى التراث العربي الإسلامي «لأسباب دينية»، وهي محاولة إضعاف الإسلام والتشكيل في قيمه بإثبات فضل اليهودية على الإسلام، بادعاء أنَّ اليهودية هي مصدر الإسلام الأوَّل، ولأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية: فكرةً أوَّلاً ثمَّ دولةً ثانيةً. هذه وجهة نظر ربيماً لا تجد مرجعاً موضوعياً مكتوبَاً يؤيِّدُها، غير أنَّ الظروف العامة والظواهر المترادفة في كتابات هؤلاء المستشرقين تُعزِّز وجهة النظر هذه، وتخلع عليها بعض خصائص الاستنتاج العلمي»، كما يقول محمد البهبي. ^(٢)

(١) انظر: إبراهيم عبدالكريم. الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل. - عمان: دار الجليل، ١٩٩٣م. - ص ٣٩.

(٢) انظر: المبشرون والمستشرقون و موقفهم من الإسلام. - ص ٤١٥ - ٥٠٣.

● ومع هذا يبقى رهطٌ من المستشرقين اليهود داخل فلسطين المحتلة وخارجها قد نأوا بأنفسهم عن الاستشراق السياسي، وطبقوا يدرسون التراث العربي الإسلامي وتحقيق مخطوطاته وترجمة عديدٍ من كتب التراث والمصنفات العربية في الدين والأدب والتاريخ إلى اللغة العبرية، يقودهم في هذا عدُّ من المستشرقين التنويريين (الهسكالاه) الذين يؤمنون بالصالح والافتتاح على العرب.^(١)

● على هذا فإنَّه عند الحديث عن الاستشراق السياسي الذي يقوده مفهوم المصالح يبرز في زماننا الراهن الاستشراق المتصلحين، سواءً أكانت هذه الصهيونية بين مستشرقين يهود أم كانت بين مستشرقين متصلحين غير يهود، لكتَّهم تعاطفوا مع الحركة الصهيونية؛ بفعل التأثير السياسي أو التنصيري، لا سيما المذهب البروتستانتي بين المسيحيين، الذي يكاد يكون ناصراً قوياً للיהودية، بل ربما يكون سعى إلى تهويد المسيحية، وسلبها روحها والعودة بمصدرها إلى العهد القديم التوراة وليس العهد الجديد الإنجيل.^(٢)

= والنُّصُّ من ص ٤٣١ - في: محمد البهري. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. - ط ١١. - القاهرة: دار غريب، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م. - ٥١٢ ص.

(١) انظر: محمد رضوان. القدس الشريف في الاستشراق اليهودي. - مرجع سابق. - ص ٨٩.

(٢) انظر: ريجينا الشريف. الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي/ ترجمة أحمد عبدالله عبدالعزيز. - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٥م. - (سلسلة عالم المعرفة؛ ٩٦).



● وفي هذا الشأن تقول هبة رعوف عزّت: «إنَّ معرفة الصورة الكاملة والمرَّكبة والдинاميكية للتيارات الأصولية المتطرفة التي تؤثُّ على السياسة الأمريكية وتدعم المنظور التوسيعى والتطرف المتسرِّب بخطاب مسيحي، لا يجب أنْ تصرفنا عن الوعي ومعرفة الخرائط المقابلة للكنائس المسيحية المعتدلة والتي تدعم السلام وترفض التطرف وال الحرب وتشارك في أنشطة المجتمع المدني العالمي كافَّةً من أجل عالم أفضل، فهم «ليسوا سواء». ^(١)

● وربما يكون المذهب البروتستانتي نصيراً للصهيونية، ^(٢) حتَّى أضحت بعض الوعاظ البروتستانت متھودين أكثر من اليهود أنفسهم، وربما متصرِّفين أكثر من الصهيونية نفسها. ^(٣) على أنَّ هذا الحال من المناصرة لا يدوم، فهناك من يرى أنَّ تأييد البروتستانت لليهود، لاسيما في فلسطين المحتلة، في تناقض ما أدى إلى إعراض اليهود عنهم؛ ^(٤) إذ إنَّ هناك بوادر تراجع في هذا التوافق الفكري بين النجليتين وشيء من الاصطفاح في

(١) انظر: كيمبرلي بلاكر، محَرِّرَة. أصول التطرف: اليمين المسيحي في أمريكا/ ترجمة هبة رعوف وتامر عبدالوهاب. - القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٦م. - ص ١٢.

(٢) انظر: محمد السماك. الصهيونية المسيحية. - ط ٣. - بيروت: دار الفاشر، ١٩٩٣م.

(٣) انظر: محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. - مرجع سابق. - ص ٤٩.

(٤) انظر: والتر راسيل ميد. بلاد الله: تأثير الانجليزيين الجدد في السياسة الخارجية الأمريكية. - التسامح. - ع ١٥ (صيف ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م). - ص ٣٥١ - ٣٦٠.

الالتقاء، فـ٥٩٪ من الشعوب الأوروبية ترى أن إسرائيل بممارساتها العدوانية تمثل خطراً على الأمن والسلم الدوليين». ^(١)

- وبذا التقت الأهداف والمصالح بين بعض المستشرقين اليهود وبعض المستشرقين البروتستانت. ^(٢) ومع هذا فإنّه يمكن القول إنّه ليس كُلُّ المستشرقين متسقين على هذه الشاكلة، وليس كُلُّ المستشرقين المتسقين - من وجه آخر - على هذه الشاكلة. ^(٣)
- يمكن القول أيضًا إنّ أثر الاستشراق في صناعة الكراهية يتمركز في الاستشراق الاحتلالـي ثم الاستشراق السياسي ، اللذين جاءا تليّةً لمطامع سياسية غربية في الشرق ، منذ حقبة الاحتلال إلى اليوم ، حيث كان من منطق الاستشراق السياسي ما تجسّده عبارة كريستيان سنوك هورخرونيه (١٨٥٧ - ١٩٣٦م) : «كُلّما أصبحت الدول الإسلامية تحت نفوذنا اشتَدَّت أهمية دراسة حياتها وثقافتها». ^(٤) يقول محسن جاسم الموسوي : «وكان هذا

(١) انظر: سعيد اللاوندي. الإسلاموفobia: لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟ . - القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٦م. - ص ٧.

(٢) انظر: إبراهيم عبدالكريم. الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل . - مرجع سابق. - ص ٣٩.

(٣) في التعرّف على الأبعاد الصهيونية التي سيطرت على فئة من المستشرقين، وللنّظرية العرقية اليهودية، انظر مؤلفات عبد الوهاب المسيري في اليهودية، ومنها: في الخطاب والمصطلح الصهيوني : دراسة نظرية وتطبيقية . - القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م . - ص ٢٨٣ .

(٤) انظر: محسن جاسم الموسوي. الاستشراق السياسي: فرضياته واستنتاجاته . - الاستشراق . - مرجع سابق . - ص ٥ .

النهج هو الذي اختطه رجال الإمبراطورية في بريطانيا، حيث عني بلفور مثلاً بالإصلاح السياسي في مصر على أنه بعض من خطط بريطانيا إزاء هذه المنطقة من العالم». ^(١)

● يعني هذا فيما يعنى ضرورة عزل الاستشراق الاحتلالى والسياسي عن الاستشراقات الأخرى، والتعامل معه بما تقتضيه مسبيات وجوده، ود الواقع اختراعه وأهداف منطلقاته. وهذا يعني كذلك التوكيد على الابتعاد عن التعميم في الحكم على الاستشراق بهذه الصورة التي ترخر بها كثير من المراجع العربية التي تصدّت لنقد الاستشراق، من منطلقات فكرية أكثر من كونها علمية موضوعية.

● يقصر النشر العربي الفعلى والافتراضي الراهن عن نقد الاستشراق السياسي مستقلاً في محاولة لعزله عن بقية الاستشراقات، وفيما عدا إسهامات إدوارد سعيد المشهورة في كتابه ذائع الصيت: الاستشراق، ^(٢) الذي غطّى فيه الجانب «الإمبريالي» من الاستشراق، وكرر في كتابه الآخر: الثقافة والإمبريالية، ^(٣) والكتاب الثالث: تغطية الإسلام، ^(٤) ونظر إليه

(١) انظر: محسن جاسم الموسوي. الاستشراق السياسي: فرضياته واستنتاجاته. - الاستشراق. - المرجع السابق. - ص ٥.

(٢) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. - مرجع سابق. - ٦٥٠ ص.

(٣) انظر: إدوارد سعيد. الثقافة والإمبريالية/ نقله إلى العربية وقدّم له كمال أبو ديب. - بيروت: دار الآداب، ١٩٩٧م. - ٤١١ ص + الهوامش.

(٤) انظر: إدوارد سعيد. تغطية الإسلام/ ترجمة وتقديم محمد عناني. - القاهرة: دار رؤية، ٢٠٠٥م. - ٣٥٢ ص.

على أنه أسلوب غربي «للهيمنة على الشرق، وإعادة بنائه، والسلط عليه». ^(١) فيما عدا ذلك لا تكاد تجد عملاً علمياً مستقلاً عن الاستشراق السياسي، مع وجود محاولات ضمنية شخصت بعد السياسي للاستشراق، مع أنَّ هذا البُعد واضح في الحركة الاستشرافية وضوح الاستشرادات الأخرى. ^(٢)

● من الإجحاف في حقّ مجموعة كبيرة من المستشرقين أنْ يضمّنوا في هذه الفئة المتسيّسة فقط. الأمر الذي لم يسلم منه إدوارد سعيد نفسه، وهو يسعى إلى تلافي التعميم. ^(٣) فقد رأى إدوارد سعيد الاستشراق من خلال «عقلية استعمارية إذا صحَّ التعبير، وليس تخصُّصاً؛ لأنَّ المتخصصين ما صنعوا أو طوروه، بل هم عملوا واعين أو غير واعين في خدمة سلطان القوَّة، وأضعين على وجوههم أقنعة الأكاديمية والمعرفة!». ^(٤)

(١) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. - مرجع سابق. - ص ٤٦ و٥٨.

(٢) انظر: مصطفى نصر الملاطي. الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين. - طرابلس (لبنان): دار أقرأ، ١٩٨٦ م. - ٢٨٨ ص. - وانظر أيضاً: مُحَمَّد فتح الله الريادي. قراءات في مناشير استشرافية: دراسة في الاستشراق السياسي. - مستقبل العالم الإسلامي. - مرجع سابق. - ص ٢٠١ - ٢٢٤.

(٣) انظر: نسيب الحسيني. الغرب المتخيل: رؤية الآخر في الوجود السياسي العربي / ترجمة غازي بُرُو. - بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٤ . ٢٨٥ - ٢٧٠ .

(٤) انظر: رضوان السيد. خمسة وعشرون عاماً على كتاب «الاستشراق»: استشراق إدوارد سعيد وعلاقات الشرق بالغرب، دراسة في النصّ والوعي والواقع. - ص ٦١ - ٧٢ . - والنصلُ من ص ٦٢ . - في: يوسف كرياج ومنفرد كروب، مشرفان. تأثُّرات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضرها. - مرجع سابق. - ١٤٠ ص.

- من هذا المنطلق في ضعف التفريق بين الاستشارات فئويًا يمكن أن يستتبع المتابع أنَّ معظم النقد السلبي للاستشراق، إذا كان لا بُدَّ من الترتيب، إنَّما ينصبُ على هذه الاستشارات الثلاثة: الاستشراق الاحتلالـي والاستشراق السياسي والاستشراق المتصهـين، ثمَّ يأتي الاستشراق الديني أو التنصيري في مرتبة رابعة. وهذه الأقسام الأربعـة ليست هي الاستشراق كـله.

الفصل الثاني

وجوه الالتقاء وصناعة الكراهية

● الأصل في الثقافات التي تقوم على وحي منزل من الله تعالى على أنبيائه ورسله - عليهم الصلاة والسلام - والتي استمدت مقوماتها الثقافية من أصول الأديان، الأصل فيها التلاقي، ذلك أنها تؤمن إجمالاً بما اصططلحنا عليه نحن المسلمين بأركان الإيمان الستة، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.^(١) ومن ثم فلا مجال في الأصل لصناعة الكراهية بينها في هذه المقومات الإيمانية، ذلك لأنّ منبعها واحد وأهدافها في أصلها واحدة «إلا ما ورد من باب التجاوز والافتراضات»^(٢)، ثم التحريفات التي تدخل فيها الإنسان نفسه، من خلال ما تعارف عليه علماء الأديان برجال الدين.

(١) انظر: جون إل. إيسوبزنتو. الإسلام والغرب عقب ١١ أيلول/سبتمبر: حوار أم صراع ثقافي حضاري؟ - دبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠٣م. - ص ٢٨. - (سلسلة محاضرات الإمارات؛ ٧٤).

(٢) انظر: عبدالله الطحاوي. الحوار الثقافي: مشروع التواصل والانتماء. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م. - ص ٩٠. - (سلسلة مكتبة الأسرة).

- مع هذا سعى بعض المعنين بمقارنة الأديان من المستشرقين، لا سيما الفرنسيين منهم، إلى إيجاد بعض نقاط التلاقي بين الإسلام والمملل الأخرى الشرقية التي وضعها الإنسان في المنطقات العامة، كالمساواة والزهد والتوافق الثقافي وأليات التملك. وضرب مثلاً بالهندوسية. ولم ترقَ نقاط التلاقي هذه إلى الحد من صناعة الكراهية في الواقع، وفي ضوء طغيان الطبقية من لدن الأكثريَّة الهندوسية في الهند نفسها (٪٧٥) تجاه الأقلية المنبوذة (٪١٧)، والأقلية المسلمة (٪١٤)، والأقلية المسيحية (٪٢,٥).^(١)
- هذا بعد تفكيك شبه الجزيرة الهندية إلى عدد من الدول، ليصبح الهند والباكستان (الغربية) وبنغلاديش (باكستان الشرقية من قبل وكشمير)، حُشر في أكثرها المسلمين؛ ليصبحوا - في النهاية - أقلية في البلد الأم، رغم عدم رضا بعض المعنين بتسميتها بالبلد الأم، كجزء من التناحر بين أفراد الشعب الواحد، لا في الهند وحدها، ولكن بين هذه الدول الوليدة.

- وسعى بعض المستشرقين إلى ترسيخ مفهوم الطبقية بين الأجناس الغربية من جهة والأجناس الشرقية من جهة أخرى. فجاءت هذه التفرقة على أساس جهوي، فالغربيون بهذا المفهوم

(١) انظر: مارك غابوريو. الإسلام والأديان الآسيوية الأخرى في نظر المستشرقين الفرنسيين. - ص ٢١ - ٤٠ . - في: يوسف كرياج ومنفرد كروب، مشرفان. تأملات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضرها. - مرجع سابق. - ١٤٠ ص.

فعالون وعقلانيون وما دمرون وواقعيون ويعيشون في النسبي وزمانهم غير قابل للتكرار وللإعادة، وهم يؤمنون بالمستقبل والتخطيط له. والشرقيون منفعون وجданيون وغارقون في الروحانيات والغيبيات والمقدورات ومنظومتهم القيمية مطلقة وجامدة، وزمانهم يكرر نفسه باستمرار. ويترسم هذه التفرقة العرقية المستشرق الفرنسي (إرنست رينان ١٨٢٣ - ١٨٩٢م).^(١)

منهج التعارف بين الأمم

- والأصل أنَّ من مقاصد خلق الأمم التعارف وتغلب نقاط الالتقاء الكثيرة بين الأمم، بمعنى أنَّ مساحات التلاقي أوسع بكثير من هامش الاختلاف، ومن ثمَّ عدم الالتفات إلى وجود فروقات إثنية أو عرقية أو جنسية،^(٢) خلافاً لمن يصرُّ على وجود هذه الاختلافات والفرق، وهم كثير، بعضهم يصرُّ بذلك، وكثيرٌ منهم لا يجرؤون على إظهار شعورهم بالتفرق العنصرية، فقد اشتهر عن المستشرق الفرنسي الفيلسوف إرنست رينان بإيمانه القاطع بالعرقية، وتفوق بعض الأجناس على البعض

(١) انظر: عبدالرزاق الدُّواي. في أخلاقيات الحوار بين الثقافات حول مبدأ التسامح وحق الاعتراف. - التسامح. - ع ١٥ (صيف ١٤٢٧/٢٠٠٦). - ص ٣١٠ - ٣٦٨.

(٢) انظر: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين. - ط ٤. - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣م. - ص ٣١١ - ٣٢٠. - وانظر أيضاً: نجيب العقيقي. المستشرقون. - مرجع سابق. - ١: ١٩١.

الآخر، وطوعًأ بحاته ودراساته الاستشرافية للدعم نظريته هذه. ومع هذا يظل التفاصل بين الخلق فقط بأعمالهم التي يكونون قريين فيها من الخالق - جلَّ وعلا - قالَ تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّنْ ذَرَّةٍ وَأَنْشَأْنَاكُمْ شَعْوَرًا وَبِإِيمَانٍ لَتَعْلَمُوْا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقْتُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حِلْمٌ حَسِيرٌ﴾ (الحجرات ١٣).

- التعارف بين الشعوب والقبائل «هو أحد أرقى المفاهيم وأكثرها قيمةً وفاعليةً، ومن أشد وأهم ما تحتاج إليه الأمم والحضارات. وهو دعوة لأن تكتشف وتتعرف كل أمّة وكل حضارة على الأمم والحضارات الأخرى، بلا سيطرة ولا هيمنة، أو إقصاء أو تدمير. والتعارف هو الذي يحقق وجود الآخر ولا يلغيه، ويؤسس العلاقة والشراكة والتواصل معه، لا أن يقطعها أو يمنعها أو يقاومها»، كما يقول زكي الميلاد.^(١)
- التأسيس للعلاقة والشراكة والتواصل يقتضي حدًّا أدنى من المساواة؛ ذلك أنَّ الفكر الاستشرافي متهم بأنه أسوئهم في إقامة شراكة غير متساوية بين الشرق والغرب لا يكاد يفلت منها باحث في الغرب حتى لو لم يكن مستشرقاً. «معنى هذا أنَّ كلَّ فكر غربي هو في علاقته بالشرق فكر استشرافي؛ لأنه ينظر في الشرق بعين هذا الفكر. ولأنَّ الشرق هذا هو شرق الاستشراف لا الشرق نفسه. فالعلاقة بين الشرق والغرب هي إذن في الفكر

(١) انظر: زكي الميلاد. المسألة الحضارية: كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير. - الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩ م. - ص ٣٣٦.

الغربي محكومة بالفکر الاستشرافي لا يفلت من هذا الفکر فکر^(۱).

لقد كان للاستشراف - من جانب آخر - أثرٌ في ترسیخ مفهوم التعارف بين الأمم من زاويتين؛ الأولى الإيجابية والأخرى السلبية. ويقتضي الأمر قیاس هاتين الزاويتين، من حيث طغيان إحداهما على الأخرى. وقد طغت السلبية على معظم الدراسات الاستشرافية المتأخرة التي رکزت على حوار الحضارات، بدلاً من تعارف الحضارات. والذي يبدو أنَّ التعارف أشمل من مجرد الحوار،^(۲) والتعارف يقود إلى التفاهم. والمؤكَّد أنَّ هذا البُعد الاستشرافي كان له أثره على البُعد الإعلامي في التعارف، الأمر الذي يخرج عن نطاق هذا البحث.^(۳)

• والأصل أنَّ من مقاصد الخلق أنْ يكون الناسُ أممًا وليس أمَّة واحدة، وذلك تثبيتاً لمبدأ التسابق إلى الخيرات. قالَ تعالى: ﴿وَأَنْزَلَنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمَهِيمِنَا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا﴾

(۱) انظر: مهدي عامل. هل القلب للشرق والعقل للغرب؟: ماركس في استشراف إدوارد سعيد. - ط ۳. - بيروت: الفارابي، ۲۰۰۶. - ص ۹ - ۱۰.

(۲) انظر: زكي الميلاد. من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات. - ص ۳۳ - ۶۵. في: زكي الميلاد، معد. تعارف الحضارات. - مرجع سابق. - ص ۲۲۶.

(۳) انظر: طاهر عبد سالم. تعارف الحضارات: من أطروحات الاستشراف إلى التمرُّز الإعلامي والدعائية المضادة. - ص ۱۱۵ - ۱۴۱. - في: زكي الميلاد، معد. تعارف الحضارات. - المرجع السابق. - ص ۲۲۶.

جاءك منَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعْنَا مِنْكُمْ شُرَعَةٌ وَمِنْهَاجٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَعَلَّكُمْ أُمَّةٌ وَاجِدَةٌ وَلَكُنْ لِتَلَوُّتُكُمْ فِي مَا أَتَيْتُكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ
إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَتَّشِّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِقُونَ»
(المائدة: ٤٨).

منهج التنافس والتدافع

- والأصل في هذا التسابق أن يصبحه تنافسٌ وتدافعٌ إلى الخيرات؛ للتغلب على الإفساد في الأرض، «فلو لم يكن هناك تدافع بين الناس لفسدت الأرض، ولهدمت عمارتها، بما في ذلك أماكن العبادة، وهي أخص ما ينود عنه الإنسان». ^(١) قال تعالى: ﴿فَهَزَّهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاؤُدُّ جَالُوتَ وَأَتَكَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحُكْمَةَ وَعَلَمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِعَصْبَرٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. (البقرة: ٢٥١). قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَرِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِعَصْبَرٍ هَدَمَتْ صَوَامِعَ وَبَيْعَ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدٍ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَنِّيْزٌ﴾ (الحج: ٤٠).
- من المؤكد أنَّ هذا التدافع والتنافس إنما هو في مضمار الصلاح والإصلاح، واستغلال اختلاف المشارب والمناهج على أنها وسيلة إلى الاستباق في مجال الخيرات. «والاستباق والتسابق يقتضيان التدافع بين المتسابقين، قد يسقط في الحلبة الضعيف،

(١) انظر: محمد جلاء إدريس. العلاقات الحضارية. - مرجع سابق. - ص ١٠٦.

كما قد يسقط من يحاول مجابهة الإصلاح ومقاومته، لكن هدف التسابق والتدافع في النهاية هو حماية الإنجازات الإنسانية - الحضارية - على وجه الأرض»^(١) أي عمارة الأرض والاستخلاف فيها.

منهج النظرة الوسط

- والأصل أن تقوم نظرة الإسلام للثقافات الأخرى على المنهج الوسط الذي سار عليه سلف هذه الأمة في التعامل الواضح مع الثقافات المعاصرة، من حيث إعطاؤها قيمتها الفعلية، ومن ثم الإفاده من معطياتها العلمية والمعرفية والحضارية، دون الحاجة إليها في الجوانب العقدية والشرعية، وبما لا يتعارض مع تلك الثوابت التي جاء بها هذا الدين، فكانت هناك حركة ترجمة ونقل للعلوم والمعارف، على اعتبار هذا النقل يمثل شكلاً من أشكال الحوار والتواصل بين أمّة الإسلام والأمم المعاصرة الأخرى.^(٢)
- تكاد هذه النظرة المستمدّة من المنهج الوسط تُغفل في التعامل بين الثقافات. ويظهر أنَّ التعامل بين الثقافات يقوم على قدر من

(١) انظر: محمد جلاء إدريس. العلاقات الحضارية. - المرجع السابق. - ص ١٠٧.

(٢) انظر: محمد عبد الحميد حمد. حوار الأمم: تاريخ الترجمة والإبداع عند العرب والسريان. - دمشق: دار المدى، ٢٠٠١م. - ٥٣١ ص. - وانظر أيضاً: علي بن إبراهيم التملة. التواصل الحضاري بين الأمم في ضوء تناول العلوم والأداب والفنون. - ط ٤. - الرياض: الجمعية السعودية للتاريخ والحضارة، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م. - ٢٧٥ ص.

سوء الظن في ما بينها. وهذا منهجٌ يخدم جهاتٍ أو أفراداً لا تميل إلى الالتقاء بين الثقافات. والأدهى من هذا أنَّ هذه الفتنة التي تتبَّئُ هذا التوجُّه المتطرِّف هي التي تُستشار من قِبَل صانعي القرار السياسي من لِدْن الأطراف كافةً. وهذا سرٌّ من أسرار التباعد. والمعلوم أنَّ من بين المستشارين مستشرين سياسيين يملكون خلفيات ثقافية لا تخدم التوجُّه نحو التلاقي. ^(١)

منهج التأثير والتأثير

• والأصل في بناء الحضارة المشاركَةُ في جهود البناء بالفكر والعلم والجسم. ويؤكّد تاريخ الحضارات أنَّ مسألة الاستعانت بإمكانات الأمم المتعاصرة كان ديدناً في بناء الحضارات المتعاقبة، بحيث يتعرَّر حصر بناء الحضارات على أمَّة دون مساعدة بشكل من الأشكال من أمم أخرى معاصرة لها أو سابقة عليها. ^(٢) الحضارة الإسلامية في قرونها الأولى لم تُغفل هذا الْبُعد، فاستعانت بغير المسلمين المعاصرين والسابقين، وليس هذا مجالاً لاستشهاد وتعداد صنوف الاستعانتة، مما هو مبثوث في كتب تاريخ العلوم. ^(٣)

(١) انظر: محمد الطالبي. أمَّة الوسط: الإسلام وتحديات المعاصرة. - تونس: دار سراس، ١٩٩٦ م. - ١٦٧ ص.

(٢) انظر: عبدالرحمن بدوي. دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي. - القاهرة: مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤ م. - ٢٥٦ ص.

(٣) انظر: علي بن إبراهيم النملة. النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية. - ط. ٣. - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م. - ٢٠٤ ص.

● والحضارة المعاصرة التي نشأت في الغرب لم تنشأ دون الاستعانتة بالأمم الأخرى، ومنها الأمة الإسلامية. ولا تُعدم وجود مسلمين أسهموا في بناء هذه الحضارة من الخبرات إلى الحرفيين، بحيث كَوَّنَ المسلمون من أصول وأعراق ولغاتٍ مختلفة وجودًا ظاهرًا في الحياة الغربية.

الطلبة المسلمين

● وأصبح لوجود المسلمين أثر وتأثير، بما في ذلك أثر الطلبة المسلمين المبتعثين للغرب وتلقّوا علومهم على علماء الغرب، وكَوَّنُوا - رغم وجودهم المؤقت - جسراً للتعرُّف بين الشعوب، من خلال أوجه النشاط العلمية والثقافية والاجتماعية التي كانوا يقومون بها في المجتمع الغربي. فكانوا على العموم مثالاً لحسن الخُلُق من خلال السلوكيات والنظرة الجادة، وإن لم يخل بعضهم من تأثير بالنمط اللهوي الغربي للحياة. وتتّم استعانته المستشرقين الجدد بأطقم مدربة جيداً من المثقفين العرب والمسلمين، سواء أكانوا مقيمين في الغربين الأوسط والأقصى، أم استجلبوا في رحلات علمية مؤقتة، الأمر الذي لم يكن وافرًا بهذا الوضوح مع الاستشراق التقليدي الذي استعان بخُبُر غربية أوروبية وأمريكية.^(١)

● هذا الموضوع يحتاج إلى بحث علمي يركّز على مدى أثر البعثات

(١) انظر: فاضل الريعي. ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء. - مرجع سابق. - ص ٢٥

التعليمية الإسلامية إلى الغرب وتأثيرها الإيجابي في رحلة التعارف بين الأمم. وقد حذر بعض الذين كتبوا في هذا المجال من تأثير الطلبة المسلمين بالمادّية الغربية، على حساب النّظرة المتوازنة بين المادّة والروح. وكان هذا التوازن هو الرسالة التي حملها الطلبة المسلمين إلى الغرب. وقليل منهم من عاد إلى وطنه وهو خلؤً من هذه النّظرة المتوازنة، سواءً ذهب هؤلاء لدراسة العلوم الإسلامية في المراكز الاستشرافية أم لا. ثم عاد كثيرون منهم لتطبيق المنهج الاستشرافي في دراسة العلوم الإسلامية والعربية، أو بوجه أوسع ذهبوا لدراسة تخصصات علمية تطبيقية وبحثة تحتاجها البلاد الإسلامية التي بعثتهم إليها. فالعلاقة المباشرة بين الاستشراق وعلماء الإسلام والعربية لم تكن مقتصرة على هذا النوع من التلقّي، بل إنّها بدأت بشيء من النّدية من خلال مؤسسات علمية وتعلّيمية غربية وشرقية.^(١)

● وهذه الفتة هي الكثرة من الدارسين الذين سطوا بتلقائيتهم قدراً لا يُستهان به من تجسيّر الفجوة في العلاقات الفكرية بين الشرق والغرب، وإن لم ينموا الإقامة الدائمة في الغرب، إلا أن وجودهم ترك أثراً إيجابياً على العموم في تجسيّر هذه العلاقة. وإن لم يخل وجود بعضهم من قابليتهم للتأثر بالنزعة المادية في النّظرة للحياة، ومن ثم تأثر البعد الروحياني سلباً لديهم، لما

(١) انظر: سمير قصیر. تعليق/ ترجمة محمد صبح. - ص ١٠٧ - ١١٣. - في: يوسف كرياج ومنفرد كروب/ مشرfan. تأملات في الشرق. - مرجع سابق. - ١٤٠ ص.

تلقّوه بطرق غير مباشرة من وجود فجوة ذهنية بين العلم والروحانيات في الثقافة الغربية، فعاد بعضهم ليثّ المنهج المُعلمَن في إدارة الحياة، أو ليثّ المنهج المتحرّر «اللبرالي» في النظر إلى الحياة بعمومها، ليكون هذا المنهج غالباً على المنهج المتدين الذي يشيع بين الشعوب الشرقية عموماً، والإسلامية على وجه الخصوص.^(١)

● فهذا موريس بوكاي (١٩٢٠ - ١٩٩٨م) يحدّر من أنْ يسري هذا التأثير بين الطلبة المسلمين الذين يدرسون في الغرب، يقول: «كانت البلاد المسيحية، في تلك الفترة من القرون الوسطى، في ركود وتزمّت مطلقاً، توقف البحث العلمي، ليس بسبب التوراة والإنجيل وإنما - وعلينا أنْ نكرّر ذلك - بأيدي هؤلاء الذين كانوا يدعون أنهم خدام التوراة والإنجيل. وبعد عصر النهضة في أوروباً كان رد الفعل الطبيعي أنْ يأخذ العلماء بثارهم من منافس الأمس. وهذا التأثر مستمرٌ حتى اليوم، لدرجة أنَّ التحدث حالياً في الغرب عن الله في الأوساط العلمية يعتبر فعلاً علامَة الرغبة في التفرد. ولهذا الموقف تأثيره السيئ على العقول الشابة (والسلمة منها أيضاً) التي تتلقّى تعليمنا الجامعي». ^(٢)

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. مناحي التأثير والتأثير بين الثقافات: الميثاقنة بين شرق وغرب. - ط٢. - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م. - ص١٨٠.

(٢) موريس بوكاي. دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة. - القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٨م. - ص١٤١. Maurice Bucaille. The Bible the Qur'an and Science. Translated from French by: Alastair D. Pannell and the Author.-

● وتوّجَّد آمال قرامي في هذا المقام على أنه «لا مناص من القول إنَّ البعثات الدراسية إلى الخارج يسَّرت عملية اندماج المسلم في المدينة الغربية، ومكَّنته من الاطلاع على ديانات مختلفة وحضارات متعددة، وأكَّسبته شيئاً من أساليب الحياة الغربية، ومن الاتِّجاه الغربي في التفكير والعلم والسلوك وما إلى ذلك. ومن ثَمَّة صار «الارتداد» ممكناً، بخاصة إذا علمنا أنَّ المبشِّرين كانوا حريصين على تتبع أحوال هؤلاء الطلبة واستغلال حالة الوحيدة والعزَّز التي يعني منها أكثرُهم لفائدة تحقيق أغراض التبشير». (١) ويقاد معظم الطلبة «الأجانب» كما يسمُّونهم من مسلمين وغير مسلمين يتعرَّضون لشكل من أشكال التنصير في الموسَّم الدينية وفي غيرها. (٢)

● يؤيِّد المستشرق ولفرد كانتول سميث (١٩١٦ - ٢٠٠٠م) الطيب الفرنسي موريس بوكياي وأمال قرامي في هذا المنحى التأثيري في كتاب له بعنوان: الإسلام في التاريخ الحديث، حيث يقول: «وقد سافر كثير من الشباب المسلم إلى الغرب، واطَّلعوا على روح أوروبا وقيمهَا، وأعجبوا بها إلى أبعد حدٍ. وينطبق هذا بخاصة على الطلاب الذين درسوا في جامعات أوروبا بعدد لم يزدَّ مع الأَيَّام، وهم الذين سبَّبوا استirادَ كثير من أفكار

(١) انظر: آمال قرامي. قضية الردة في الفكر الإسلامي الحديث. - تونس: دار الجنوب، ١٩٩٦م. - ص ٤٩.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. التنصير: المفهوم - الوسائل - المواجهة. - ط ٥. - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ٢٧٠ ص.

الغرب وقيمه إلى العالم الإسلامي . . . وكان مما صدره الغرب إلى العالم الإسلامي تلك الأفكار المتعددة والاتجاهات العقلية الدقيقة الفجة والميول الحديثة التي كان في نشرها أوفر نصيب لنمط التعليم الغربي، ويفوقها في ذلك تأثير معاهد الغرب الحقوقية والسياسية والاجتماعية ونفوذها الزائد . . . وهكذا أثّرت عملية التغريب بسرعة وقوّة بالغتين».^(١)

الجاليات المسلمة

● وعامل آخر مؤثر في تحسين الصورة العربية الإسلامية في الغرب هو تأثير الجاليات المسلمة في أوروبا وأمريكا وتأثيرها، ما أدى إلى تطوير التعليم الإسلامي في التعليم العام والجامعي الأوروبي.^(٢) وإن كانت الجالية العربية والإسلامية قد توّزّعت على دول الغرب الأوسط، بحسب احتلال دول الغرب الأوسط لهذه الدول العربية والمسلمة، (المسلمون الروس والأتراف والبلقانيون والمغاربة في ألمانيا وهولندا، والهنود والباكستانيون البنغلاديشيون في بريطانيا، ومواطنو شمال أفريقيا ووسطها

(١) نقاً عن محمد خليفة حسن. أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م. - ص ٣٤٥ . ٣٤٦

(٢) انظر: شتيفان رايسموت. خطابات الاستشراق؟ موقع الدراسات الإسلامية والشرقية في ألمانيا اليوم / ترجمة عدنان حسن. - ص ٩٣ - ١٠٥ . - في: يوسف كراج ومنفرد كروب، مشرفان. تأملات في الشرق. - مرجع سابق. - ١٤٠ ص.

وجنوبها في فرنسا، وخلط متنوع من الكل في أمريكا الشمالية والجنوبية)،^(١) التي يُذكر أنها شهدت هجرات مسلمين من الأندلس قبل اكتشاف كريستوفر كولومبوس لها.^(٢)

- يغلب على هؤلاء العرب والمسلمين في بدايات هجراتهم لأوروبا أنهم كانوا عاملين متخصصين لقمة العيش مهاجرين طلباً للاستقرار الاقتصادي، لاسيما في الغرب الأوسط أو أوروبا الغربية، إلا أنَّ جيلاً من أولادهم نما في الغرب الأوسط وتعلم في المدارس الغربية، دون أن يفرط في هويته الإسلامية،^(٣) فظهر من أصلاب هؤلاء العاملين جيل عالمون.
- بدأ هذا الجيل يدخل «معتركات» الحياة الغربية بثقل وشخصية تختلف عن شخصية الرجل الأبيض «الأنجلوساكسوني» المتعالية، ما يعني أنَّ هناك نزوعاً للتواصل والتزاوج الثقافي الذي يسهم في التقلص من صناعة الكراهية، إذا لم تثير بعض الرؤى الغربية التي تسعى إلى التضييق على الجالية المسلمة وملحقتها على المستويين الرسمي والشعبي، والسعى من خلال

(١) انظر: صلاح عبدالرزاق. المفكرون الغربيون المسلمين: دوافع اعتنائهم بالإسلام. - مرجع سابق. - ٢٦٩.

(٢) انظر: عثمان أبو زيد عثمان ومحمد وقيع الله أحمد. الوجود الإسلامي في أمريكا: الواقع والأمل. - مكَّة المكرَّمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٦ هـ. - ١٤٦ ص. - (سلسلة دعوة الحق؛ ٢١٢).

(٣) انظر: فريتز شتييات. الإسلام شريكاً: دراسات عن الإسلام والمسلمين. - مرجع سابق. - ص ١١٧ - ١١٥.

البرلمانات إلى إعادة تهجير الجاليات، لاسيما الإسلامية منها المقدور على تهجيرها بتعديل القوانين، بما يسهم في تقليص الهجرات وتهجير الموجدين؛ حمايةً للثقافة الغربية من سيطرة الثقافة الإسلامية عليها، في ضوء تبني الجاليات المسلمة في الغربين الأوسط والأقصى، وارتفاع المآذن وعمارة المساجد والمراكم الإسلامية والمؤسسات الاجتماعية والتربوية والتعليمية، والسعى إلى إيجاد بيئة إسلامية للأفراح والأتراح.

● يؤدي هذا الاندماج إلى ترسيخ القيم الإسلامية في بلاد المهجّر، لا من حيث الممارسات الخاصة فحسب، بل من حيث العلاقات مع الآخرين، من منطلق إضافة الإسلام «إلى رصيد العدالة العالمية بعض الحماية من جحيم فساد البشر الأخلاقي؛ فمن الناحية التاريخية كان الدين والحضارة يقاومان قوىًّا أسلمت في أسوأ ما شهدته القرن العشرون من البربرية لبعض الفترات: العنصرية والإبادة الجماعية والعنف داخل المجتمع». ^(١)

● كما يؤدي هذا الاندماج إلى تسمُّ المسلمين مستويات عملية وعلمية وتقنية وفنية وأكademie فرضت وجودها في المجتمعات الغربية، ويتعذر تهجيرها من الغرب الأقصى، أمريكا الشمالية

(١) انظر: علي الأمين المزروعي. القيم الإسلامية والقيم الغربية. - أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، د. ت. - ص ١٨ . - (سلسلة دراسات عالمية؛ ٢١).

بخاصة، ويدرك علّال سيناصر أنَّ بعض الدراسات الاجتماعية قد أثبتت أنَّ قدرة الغرباء على العطاء تكون في أقوى صورها، إذا كان هؤلاء الغرباء على معرفة جيّدة بثقافة بلدتهم الأصلي،^(١) وهذا مما يزيد من تمثُّل المسلمين بدينهن، ما يؤدّي إلى أن يكون الدين الإسلامي هو الديانة الثانية في الغرب الأوسط أو أوروبا الغربية.^(٢)

- ولم يُعد «من المتخيل أبداً أنْ يشهد وجود الإسلام في الغرب تراجعاً ما، فلا يمكن إلغاء هجرة العمالة الوافدة من المسلمين إلى أوروبا، ولا وقف هجرة الأكاديميين المسلمين إلى أمريكا الشمالية، ولا تعطيل استجابة الأعداد الغفيرة من الأفروأمريكيين لدعوة الإسلام واعتناقهم إياها».^(٣)
- هذا بالإضافة إلى الرأي القائل بأنَّ توجُّه أوروبا للشرق الإسلامي حقيقة قادمة وقدر محظوظ، الأمر الذي لا ينبغي أخذنه بسطحة،^(٤) بالإضافة إلى تنامي المسلمين من حيث العدد؛ إذ

(١) انظر: سعيد اللاوندي. الإسلاموفobia: لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟ - مرجع سابق. - ص ٢٨٣.

(٢) انظر: صلاح عبد الرزاق. المفكرون الغربيون المسلمين: دوافع اعتناقهم الإسلام. - مرجع سابق. - ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٣) انظر: مراد هوفمان. الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود/ تعرّب عادل المعلم ويس إبراهيم. - القاهرة: مكتبة الشروق، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م. - ص ١٩٨.

(٤) انظر: زيفريد هونكه. التوجُّه الأوروبي إلى العرب والإسلام حقيقة قادمة وقدر محظوظ/ ترجمة هاني صالح. - تقديم إسماعيل مروة. - بيروت: مؤسسة الإيمان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. - ٢٩٥ ص.

من المتوقع أن يصل المسلمون في نهاية هذا القرن الميلادي أو قبله إلى نصف عدد سكان العالم، في الوقت الذي تشهد فيه الأجناس الأوروبية، خصوصاً في الغرب الأوسط، تضاؤلاً في التكاثر وانحدار معدل الإنجاب إلى ١,٢٪ في معظم أوروبا الغربية، وفي روسيا ١,٥٪ بين غير المسلمين، وهي بين المسلمين عموماً ٥٪^(١)، ما ينذر بتقلص هذه الأجناس ديموغرافياً في هذه البقعة من العالم، إذ إنَّ الحدَّ الأدنى للبقاء لا ينبغي أنْ ينقص عن ٢,١٪، وكما يشخص ذلك باتريك ج. بوكانان في كتابه موت الغرب.^(٢)

• وليس المراد هنا ما تردد من أقول الغرب، إذ إنَّ بعض المفكِّرين يرى في إطلاق هذا المفهوم ترجمة لأمنياتٍ عند البعض (wishful thinking) أو ترجمة لنظرة تشاُمية عند آخرين، فالغرب يزداد بالغريب، لاسيما مع انتهاء الاتحاد السوفييتي وسعى كثير من دول الاتحاد السوفييتي السابق والصين ودول البلقان إلى الانضواء تحت مفهومات الثقافة الغربية، بما في ذلك الدخول في منظومة الاتحاد الأوروبي بالنسبة لدول البلقان

(١) انظر: شيرين هانتر. الإسلام في روسيا: سياسات الهوية والأمن. - ٢٠٠٧م.
- نقاً عن أورلاندو فيغن، مراجع. الإسلام والمنحى الروسي. - التسامح. - ع ١٦ (خريف ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م). - ص ٣٥٤ - ٣٥٨.

(٢) انظر: باتريك ج. بوكانان. موت الغرب: أثر شيخوخة السُّكَّان وموتهم وغزوat المهاجرين على الغرب/ نقله إلى العربية محمد محمود التويه، راجعه محمد بن حامد الأحمر. - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م. - ٥٢٩ ص.

وتركيا، خلافاً لمن قال بأفول الغرب تأسياً ب شبغل الذي يبدو أنه متشارئ من أقول الثقافة الغربية لا الحضارة الغربية، وربما وافقه على ذلك كل من كروشه ويرغسون وتوبيني.^(١) على أن رؤية بوكانن لا تنطلق من مفهوم فلسفى، بل إنها تنظر إلى هذا الموضوع نظرة ديمografية مشبعة بالبيانات والإحصائيات والحقائق.

● وقريباً من هذا ما سطّرته آنا ماري شيميل، إذ تقول: «اعتقد أن الماضي هو مستقبل الوطن العربي»، فالعرب يعانون أكثر من غيرهم جراء الأزمة التي تعصف بالعالم، والتي تمثل في جوهرها صراعاً عنيفاً بين العالم المادى والعالم الروحاني. إنَّ العالم الغربي الذي وصل أعلى درجات التقدُّم العلمي والتكنولوجي يشعر الآن أكثر من أي وقت مضى بالأخطار التي تهدِّده. وهو يبحث عن مخرج. هذا هو جوهر الأزمة. ولا بدَّ من العودة إلى القيم الروحية وإلاً فإنَّ النهاية ستكون فظيعة؛ فالتقدُّم العلمي والتكنولوجي يجب ألا يكون على حساب القيم الروحية والإنسانية». ^(٢)

● ولا تنتهي هذه الفقرة من دون التعريف على احتمال وجود جالية

(١) انظر: جورج طرابيشي. ازدواجية العقل: دراسة تحليلية نفسية لكتابات حسن حنفي. - دمشق: دار بتلاء، ٢٠٠٥م. - ص ١٤٥ - ١٥٢ . - (سلسلة المرض بالغرب؛ ٢٠).

(٢) انظر: شفيقة الداغستانى. المستشرفة الألمانية آنا ماري شيميل. - الاستشراق (١٩٩٠م). - مرجع سابق. - ص ٢٢٠ - ٢٢١ . - (سلسلة كتب الثقافة المقارنة؛ ٤).

عربية مسلمة في الغرب ذات قسط من الثقافة ذات التزعة الليبرالية أو الماركسية. «هؤلاء المسلمين المثقفون يستغلون المصداقية التي يحظون بها في وسائل الإعلام الغربي للدعابة لما يسمى بالإسلام الأوروبي Euro-Islam، وهو قليل من الإسلام كثير من الأوروبي». هؤلاء المثقفون يجعلون المسلمين النشطين الآخرين يظهرون بمظهر المتطرفين».^(١)

● «هذا الأمر يؤدي دوماً إلى أسئلة من قبيل: «لماذا لا تستطيعون أن تكونوا مثل هؤلاء المثقفين؟ فهم لا يريدون بناء مساجد، ولا يحجّون، ولا يصلّون دوماً، كما أنهم يتناولون الخمر، ويسمحون لنسائهم بالخروج مكشوفات الأذرع، أو ليسوا هم مسلمين؟».^(٢)

● كما لا تنتهي هذه الفقرة من دون التعريج على فئة من المسلمين القلقين الذين وجدوا في الغرب مأوى لهم، بعد أن ضيّقت عليهم بلدانهم بحقّ أو دون وجه حقّ. ويغلب عليهم الغلو في الدين وإظهار المعارضة لأوطانهم الأم، فتلقّفهم دول الغرب بحجج مختلفة، منها استخدام أسلوب حقّ اللجوء السياسي أو حقوق الإنسان، فيسيء هؤلاء إلى الإسلام وإلى بلاد الإسلام، بل ربما كان فهمهم للدين قاصراً، ويسيئون

(١) انظر: صلاح عبدالرزاق. المفكرون الغربيون المسلمين: دوافع اعتنائهم بالإسلام. - مرجع سابق. - ٢٦٨: ٢.

(٢) انظر: مراد هوفمان. الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود. - مرجع سابق. - ٢٠٦.



كذلك إلى ثقافة البلاد التي آوتهم، ويتصرّفون بتصرّفات طاردة عن الدين، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ويكونون لهم أتباعاً من الجاليات الإسلامية ومن الداخلين الجدد في الإسلام، حتّى إذا ما ظهر عليهم ما يهدّد الأمن الوطني، أو استنزفوا كورقة تهديد تُستخدم ضدّ بلدانهم، انقلبوا عليهم البلاد التي آوتهم، وصادرت مقتنياتهم الوثائقية والمالية، واحتجزتهم أو طلبت منهم المغادرة إلى أيّ مكان يرضونه، فيتّبعن لهم الأمر بعد فوات الأوان.

- هذه الفئة من المسلمين ممن يعيشون في الغرب لا تعين على صناعة الوئام، ولا تستغلُّ وجودها في الغرب لتعمل على تقوية مقومات الالتقاء بين الثقافات، بل ربّما أساءت إلى ثقافتها والثقافة التي آوتها بلدانها، فأعانت غيرها على تقديم صورة مشوّهة عن الإسلام والمسلمين، فكانت - دون قصد مباشر منها - عاملًا من عوامل صناعة الكراهية. ونماذج هذه الفئة في البلاد الغربية كثيرة.

منهج حسن الخلق

- والأصل في الثقافات أن تكون حاثة على حسن الخلق، وأن يكون جانبُ الشرِّ فيها محدوداً مذموماً، بحيث تُبني الأمم على أسس أخلاقية، تملّيها الثقافة المستمدّة من أصول عريقة، لا دخلَ للهوى فيها. ولذا فإنَّ تحول أيّ ثقافة إلى الأبعاد غير الأخلاقية في بناء المجتمعات يعدُّ خروجاً عن الأهداف السامية

لهذه الثقافات.^(١) ويتجسد مفهوم حسن الخُلُق بعبارة جامعة مانعة ذكرها الإمام الغزالى (١١١٢هـ / ٥٠٥ م) في كتاب إحياء علوم الدين، حيث يرى فيمن يتَّصف بحسن الخُلُق: «أنْ يكون كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول بِرًا وَصُولًا وَقورًا صبورًا شكورًا رضيًّا حليناً رفيقًا شفيقاً لا لعاناً ولا سباباً ولا نماماً ولا مفتتاباً ولا عجولاً ولا حقوداً ولا بخيلاً ولا حسوداً، بشاشًا هشاشًا، يحبُّ في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويفضُّب في الله، فهذا هو حسن الخُلُق».^(٢) وقلما تجتمع هذه العلاماتُ كلها في أحد من البشر، إلا في صفة الخلق. واجتمعت في رسول الله محمد بن عبد الله عليه السلام، فقد كان خلقه عليه السلام القرآن. هذا وإن صدقَت هذه الصفات على الأفراد فإنها يمكن أن تصدُّق كذلك على الأمم.

● يعني هذا أنَّ مسألة السلوكيات غير الأخلاقية، بما في ذلك التمييز العنصري والتطهير العرقي وادعاء تفوق جنس على آخر أو على أجناس أخرى، هي جزء من حياة الأمم، على اعتبار أنَّ هناك صراعاً دائمَا بين الخير والشر. وإنما المعمول عليه في

(١) انظر: سامي خشبة. نقد الثقافة. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤م. - ص ١٩٩ - ٢٠٦. - (سلسلة مكتبة الأسرة؛ الأعمال الفكرية).

(٢) انظر: أبو حامد الغزالى. إحياء علوم الدين. - ٣ مجلد. - بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م. - ٣: ٧٠.



الثقافات البنائية هو تضييق الخناق على هذه السلوكيات، وجعلها في حكم الشاذ.

- يقول مراد هوفمان: « يستطيع المسلمون أن يقولوا ويفخروا أنه - بالرغم من رفضهم للصهيونية وللتتوسيع الإسرائيلي - فإنَّ بلادهم لم تشهد على مرّ التاريخ إلى يومنا هذا أىًّ عداء للسامية. ولا يعود هذا إلى أنَّ العرب أنفسهم ساميون، ولكن لأنَّ القرآن يطالب كلَّ مسلم باحترام غيره من أصحاب ديانات التوحيد السماوية».^(١) وما يطالب به القرآن الكريم طالبت به، كذلك، الكتب السماوية الأخرى المترَّلة قبله.

منهج الاختلاف

- مع هذه الأصول فإنَّه يدخل معها أصلٌ محفَّزٌ لها، وهو وجود الاختلاف بين الأمم، ومن ثمَّ الاختلاف بين الثقافات، ولا يعني هذا الاختلاف، بالضرورة، الخلاف والتضاد والتخاصُّم بينها، كما أنَّ الاختلاف من حيث المفهوم لا يعني التماشُّ. لذا فإنَّ الاختلاف ستَّة كونية من سنن الله تعالى في هذا الكون.^(٢) قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَأُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَذِلِكَ خَلَقُهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ﴾

(١) انظر: مراد هوفمان. الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود. - مرجع سابق. - ص ١٩١.

(٢) انظر: باسم خفاجي. لماذا يكرهونه؟: الأصول الفكرية لعلاقة الغرب ببني الإسلام بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. - الرياض: مجلة البيان، ١٤٢٧هـ. - ١٢٤ ص. - (سلسلة كتاب البيان؛ ٧٧).

والناس أجمعين» (هود ١١٨ - ١١٩). والاختلاف «هو في حد ذاته أحد موجبات التدافع والتسابق، الذي به يتجاهله الفساد ويتحقق في الكون الإصلاح، وتتم به الخيرات». ^(١)

• هذا الاختلاف الطبيعي الذي تميله النظرة الوسطية يقوم على ركيزتين أساسيتين: «أولاًهما: المشترك الإنساني العام، وهو ما يتمثل في حقائق وقوانين العلوم الموضوعية والطبيعية والمحايدة، التي لا تتبدل قوانينها بتبدل العقائد والحضارات الخاصة بالباحثين فيها، المتتفقين بها. وثانيهما: الخصوصيات الحضارية، المتمثلة في الهويات والثقافات والعقائد والفلسفات، وميادينها العلوم الإنسانية والاجتماعية والآداب والفنون والعادات. وهي تلك المتغيرات، وفقاً للأنساق الفكرية». ^(٢)

• بين المشترك الإنساني العام والخصوصية الثقافية تبقى الثقافة ممِيزاً من ممِيزات الأمم. ولا يتوقع أقول الثقافة أو أقول الخصوصية الثقافية، في ضوء التوجّه إلى عولمة الكون، مهما كان الضُّخُن النظري المنبهر بالدعوة إلى عولمة كلّ مناحي الحياة، بما فيها الأبعاد الثقافية. ^(٣) ولا يتوقع أن تتنازل الأمم عن

(١) انظر: محمد جلاء إدريس. العلاقات الحضارية. - مرجع سابق. - ص ١٠٧.

(٢) انظر: محمد جلاء إدريس. العلاقات الحضارية. - المراجع السابق. - ص ١٠٩ - ١٠٨.

(٣) انظر: علي بن إبراهيم النملة. السعوديون والخصوصية الدافعة: وقفات مع مظاهر التميُّز في زمن العولمة. - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م. - ٣١٢ ص.

مقوّمات ثقافاتها، استجابة للدعوة إلى العولمة الشاملة ذات الاتّجاه الواحد، الذي يريد أنْ يُملّى ولا يقبل أنْ يُملّى عليه، وعولمة كهذه يُشكُّ في فاعليتها وشموليّتها على المدى البعيد. (١)

● ولذلك ظهرت الدعوات المتالية من الشرق والغرب الأوسع التي تؤكّد على الاستثناءات الثقافية في وجه العولمة المشكوك في جدواها ومدى القابلية لتبنّيها، لا سيّما أنها عولمة ذات اتجاه واحد، تأخذ ولا تعطي من جهة، وتعطى ولا تأخذ من جهة أخرى. فتأخذ الخيرات وتعطى المستهلكات، رغم ما طُرحت من أفكار ٢٠/٢٠، ورغم ما يذهب من مساعدات عاجلة لا تُعدّ في المعدل العام ١,٥٪ من الناتج الوطني العام GNP. (٢) علمًا أنَّ مساعدات المملكة العربية السعودية الحكومية تتعدّى معدل ٤٪ من الناتج الوطني العام GNP.

(١) انظر: الثقافة الوطنية بين الخصوصية والعولمة. - ص ١٦٧ - ١٩٥ . - في: إبراهيم بدران. أقول الثقافة. - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢ م. - ص ٢٩٦ .

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستثناء الثقافي في مواجهة العولمة: ثنائية الخصوصية والعولمة. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠ م. - ٥٠ ص.

الفصل الثالث

وسائل صناعة الكراهية بين الثقافات

- تتعدد وسائل الحوار والتعارف بين الأمم. من هذه الوسائل ما هو إيجابي، ومنها ما هو سلبي. وكل هذه الوسائل تتمرّكز حول مفهوم الحوار بين الثقافات. قد يكون هذا الحوار مباشراً وظاهرياً، وقد يكون خلاف ذلك، بحيث يأخذ أساليب غير تقليدية وربما غير إيجابية في الحوار، كالحروب والإرهاب والاحتلال والتنصير والتغريب والتفرقة العنصرية.
- وقد سعى الباحث إلى رصد بعض هذه الوسائل على أنها محدّدات، وأوصلها إلى سبعة عشر محدداً، هي على النحو الآتي:

 - ١ - الجهوية أو الجغرافية،
 - ٢ - الإرهاب والعنف،
 - ٣ - الحقوق والواجبات،
 - ٤ - العرقية والإثنية،
 - ٥ - الحروب والاجتياحات،

- ٦ - اليهودية والصهيونية،
- ٧ - الاستعمار والهيمنة،
- ٨ - التنصير والمنصرون،
- ٩ - الاستشراق والمستشرقون،
- ١٠ - الاستغراب والمستغربون،
- ١١ - التغريب والمتغربون،
- ١٢ - الاغتراب والمعتربون،
- ١٣ - البعثات التعليمية،
- ١٤ - العلمنة والعلمانيون،
- ١٥ - العولمة وال المتعلمون،
- ١٦ - الإعلام وتقنية المعلومات،
- ١٧ - الحوار الثقافي .^(١)

● ويأتي الاقتصاد - من حيث كونه محدداً من محددات العلاقة بين الشرق والغرب - ضمن المحدد الخامس عشر «العولمة وال المتعلمين»، على اعتبار أنّ انطلاقة العولمة بدأت من البعد الاقتصادي. ويمكن أن يُنظر إلى هذه المحددات على أنها عوامل في مجملها، ومن وجوه من الوجوه لهذه المحددات، أنها

(١) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدداتها. - مرجع سابق. - ٣٥٢ ص.

قد أسهمت في صناعة الكراهية بين الأمم، لاسيما بين الشرق الإسلامي والغرب القائم على الثقافة النصرانية أو المسيحية ثم شيء من الثقافة اليهودية.

● وجاء الحوار الثقافي في ذيل القائمة (المحدد السابع عشر)؛ لأنّه عند الباحث هو المحصلة النهاية لهذه المحددات. ولم يأت متأخراً للتقليل من أهميّته، بل إنّ هذه الأهميّة هي مما تجاوزه المفكّرون في العلاقات الدوليّة من المسلمين وغير المسلمين من معتدلي الغرب، ممّن يميلون إلى ترسیخ مفهوم التلاقي، أخذًا في الحسبان وجود وجوه اختلاف، لا بدّ من التعايش معها وجعلها من محفّزات التلاقي لا من مقوّمات التضاد، كما مرّ ذكره في الفصل السابق، إذ لا يحتمل العالم اليوم النظر في عوامل التضاد والاختلاف بقدر ما هو بحاجة حيوية لعوامل التعارف والتلاقي.

● هذا لا يُغفل ما يتعرّض له الشرق الإسلامي من صنوف الهيمنة العسكريّة والفكريّة التغريبية، والتأييد الغربي لكلّ ما يُسهم في زعزعة المنطقة العربيّة والإسلاميّة. فلا تتفق هذه الظروفات مع مَن بدا عليهم قدرٌ عالٍ من اليأس والقنوط، فسعوا إلى أن يجعلوا من الدعوة إلى الحوار للتلاقي دعوةً إلى الخضوع والهوان والانهزامية، والتزوع إلى التسويف والتهوين من المأسى التي تعرّض لها الشرق بفعل الغرب، ولا يزال يتعرّض لها، ففرقٌ بين هذا وذاك.

- الذي يبحث عن صنوف التلاقي يجدها، كما أنَّ الذي ينشدُ صنوف الافتراق يجدها. وهذا هو جوهر التحدِّي الذي تواجهه ثقافات اليوم وشعوب الحاضر.^(١) وهذا مما يجعل مسألة الحوار بين الثقافات بين مدٌّ وجذب، على اختلاف الرؤية للحوار. ولا أحسب أننا بحاجة أو أننا مدعوون ثقافيًّا إلى أن نتمرس وراء أيِّ أعدار أو تسويغات - مهما كانت درجة قوتها - في سبيل أنْ نقوض مشروعًا حضاريًّا كالحوار، الذي يمثلُ السبيل الناجع للتعرُّف، بدلاً من ترويج التباعد بالتصارُع أو التصادُم الثقافي.

الاستشراق وصناعة الكراهيَّة

- إذا سلَّمنا بأنَّ الاستشراق هو أحد المحددات المهمَّة في العلاقات بين الثقافات، لاسيَّما في العلاقات بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي فإنَّ هذا يعني إعطاء هذا المحدد القيمة الفعلية التي يُنظر من خلالها إلى إسهاماته في التقريب بين الثقافات، أو في الإسهام من جانب آخر في تأصيل مفهوم الافتراق والتضاد والتناحر بين الثقافات.
- المفكِّرون العرب والمسلمون الذين يدرسون الاستشراق بعمق وبمتابعة مباشرة لإسهاماته الثقافية لا يستعجلون التعميم في

(١) انظر: مصطفى عبد الغني. حقيقة الغرب بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١ م. - ١٧٦ ص. - (سلسلة مكتبة الأسرة، الأعمال الخاصة).



الحكم عليه كله، على أنه كان طرفاً مباشراً في صناعة الكراهية. فالأمر يقتضي هنا قدرًا من التفصيل. وقد طال التقييب عن المستشرقين المنصفين مع أنهم موجودون، ولا يسُوغ نسيان إسهاماتهم في توعيةبني قومهم عن حقيقة الثقافة الإسلامية وبعدها عمّا أصقه بها إخوه لهم من المستشرقين، من كون هذه الثقافة تمثل الخطر الأخضر الجديد،^(١) بعد تراجع الشيوعية عن التأثير، ودعوتهم لهم إلى أن يخلعوا عنهم لباس التعصب، الذي يحجب النظرة الموضوعية لثقافة تنتشر بشكل ملحوظ، (آنا ماري شيميل ١٩٢٢ - ٢٠٠٥م، وزير جريدة هونكه ١٩١٣ - ١٩٩٩م، وفريتس شتيبات ١٩٢٣ - ٢٠٠٦م ويوسف فان إس ١٩٣٤ - ٢٠١١م)، ولزلي ماكلوكلن، وجون إسبوزيتو (١٩٤٠ - ١٩٤٦م)، وفريد هاليداي (١٩٤٦ - ٢٠١٠م)، وديفيد كنج، وإدوارد كينيدي، وغيرهم كثير من المتأخررين، نماذج^(٢)، وأن مسألة الخطر الإسلامي والخوف من الإسلام Islamophobia لا تتعدى كونها وهمًا من الأوهام التي يروج لها بعض المتنفذين السياسيين من المستشرقين وغيرهم من كبار المستشارين لصناع

(١) انظر: هل يمكن بعد الخطر الأحمر «الخطر الأخضر»؟ . - ص ٢٤١ - ٢٥٣ .
- في: ببير بيارنيس. القرن «الحادي والعشرون» لن يكون أمريكيًا/ ترجمة
مدنى قصري . - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣م . -
٣٤٦ ص.

(٢) انظر: فريتس شتيبات. الإسلام شريكًا: دراسات عن الإسلام والمسلمين . -
مراجع سابق . - ٢٠٦ ص.



الفكر وصياغ القرار، ومن ثم صناع الكراهية بين الأمم. ^(١) يأتي ذلك في ضوء التوجّه إلى التوكيد على وجود مستشرقين مغرضين كان لهم أثر واضح وملموس في صناعة الكراهية. ^(٢)

● يقول جون إل. إسبوزيتُو: «إنَّ التصور عن الإسلام بصفته خطراً كامناً على الغرب المسيحي، وقوَّةً رجعيةً، وبالتالي مصدراً لتأخُّل المسلمين وانحطاطهم، هيمن على وجهة النظر العالمية المتمثّلة بالاستعمار الأوروبي، فوفر بذلك مسوغاً منطقياً جاهزاً لـ«التاج والصلب». وأصبح المسؤولون الاستعماريون والبعثات التبشيرية المسيحية جُندَ المشاة للتوسيع الأوروبي والهيمنة الإمبراطورية على العالم الإسلامي؛ تحدَّث البريطانيون عن «عبء الرجل الأبيض»، والفرنسيون عن «بعثتهم التبشيرية في التمدن». فمع انتقال ميزان القوى والزعامة من العالم الإسلامي إلى أوروباً، نظر إلى العصرنة ليس بصفتها نتيجةً للأوضاع التي ولَّدت حركة التنوير والثورة الصناعية وحسب، بل للتفوق المتأصل بال المسيحية بصفتها ديناً وثقافة». ^(٣)

● يؤيد جون إسبوزيتُو المستشرق الألماني فريتس شتيبس في هذا

(١) انظر: جون إسبوزيتُو. الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع / ترجمة هيثم فرحت. - ط. ٣. - اللاذقية: دار الحوار، ٢٠٠٢ م. - ٣٣٣ ص.

(٢) انظر: محمد رضوان. أوهام الغرب عن الإسلام: بحث في جذور معاداة الثقافة الإسلامية في الغرب. - الدار البيضاء: مطبعة الأندلُس، ٢٠١٣ م. - ٦٧ ص.

(٣) انظر: جون إسبوزيتُو. الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع. - المرجع السابق. - ص ٦١ - ٦٢.

المفهوم بقوله: «إنَّ الإسلام لا يمثل تهديداً للعالم، بل العكس من ذلك هو الصحيح؛ فالكثير من المسلمين يشعرون في عالمنا الحاضر بأنهم مهددون. ربما يتسبَّب هذا الشعور في ظهور بعض الاتجاهات اللاعقلانية أو التصرُّفات العدوانية. ولكننا إذا اعتبرنا أنَّ الأصولية الإسلامية هي ردٌ فعلٌ لموقف تاريخي محدد، فلا يجوز أنْ تتوقَّع لها أنْ تفقد أهميَّتها وتأثيرها قبل أنْ يتغيَّر الموقف تغييرًا جذريًّا». ^(١)

● كما يؤيدُهما المستشرق البريطاني فريد هاليداي في هذا التوجُّه، رغم المقوله التي يبحث فيها الغرب عن عدوٍ ربما وجده في المسلمين. ^(٢)

● إنَّ اتباع سياسات وأفكار وضغوط وتهديدات غربية ضدَّ الإسلام والمسلمين - بوصفه تهديداً للغرب من المنظور الغربي - يراه المسلمون خلاف ذلك. فمستقبل الإسلام - بوصفه شريكاً ونِدَا في الحوار - لن يتأثر سلباً بهذه السياسات ولا من بيئة الكراهية الناجمة عنها، فالنقاش بين المسلمين لا يدور حول نبذ الغرب من حيث المبدأ، بل إنه يدور حول ما يؤخذ من الغرب أو يُردُّ. ^(٣)

(١) انظر: عشر قضايا عن الأصولية الإسلامية. - ص ٧٩ - ٨٣ . - والنصُّ من ص ٨٣ . - في: فريتس شتيبات. الإسلام شريكًا: دراسات عن الإسلام والمسلمين . - مرجع سابق . - ٢٠٦ ص.

(٢) انظر: فريد هاليداي. مئة وهم حول الشرق الأوسط . - بيروت: دار الساقى، ٢٠٠٦ م . - ص ٦٠ - ٦١ .

(٣) انظر: طلال عتريسي. صورة الإسلام: مسؤولية الغرب والمسلمين . -

تصنيف المستشرقين

● تقتضي هذه النظرة في أثر الاستشراق السياسي في صناعة الكراهة بين الثقافات تصنيف المستشرقين إلى فئات، من حيث الزمان أوّلًا، ثم من حيث المدارس الاستشرافية ومدى القرب النسبي لهذه الفئات والمدارس من الإنصاف، كالمدرسة الألمانية التي لم تكن لها عنایة واضحة بحملة الاحتلال التي مرّت على العالم الإسلامي، رغم أنها سعت إلى احتلال أفريقيا المسلمة، وأحدثت حلقة بحث الدراسات الشرقية يتلقّى الدبلوماسيون وموظفو الإدارة الشّبان فيها تدريّاً عمليّاً من أجل حياتهم المهنية،^(١) وبعدها عنه كالمدرسة الفرنسية، أخذًا في الحسبان أنَّ المستشرق نفسه يظهر تارةً منصفًا، ويظهر تارةً أخرى في تقويمنا له غير منصف، مثل المستشرق البريطاني وليم مونتجميرو وات (١٩٠٩ - ٢٠٠٦)، فما كان مونتجميرو وات منصفًا لسيرة رسول الله ﷺ عندما زعم أنَّ مُحَمَّداً - عليه الصلاة والسلام - هو مؤلف القرآن الكريم، في كتابه مُحَمَّد النبي والقائد، ثم عاد إلى الإنصاف في هذه المسألة، واعترف في

= ص ٢٥٦ - ٢٨٢ . - والنُّصُّ من ص ٢٦١ - ٢٦٢ . - في: أبو يعرب المرزوقي وآخرين. مستقبل الإسلام . - دمشق: دار الفكر، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م . - ص ٢٦٨ .

(١) انظر: بابر يهنسن. الدراسات الإسلامية: الشروط الفكرية والسياسية لفرع معرفي . - ص ٤١ - ٥٩ . - في: يوسف كريجات ومنفرد كروب، مشرfan. تأملات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضرها . - مرجع سابق . - ١٤٠ ص .



كتاب متأخر له بعنوان: الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر،
بأنَّ هذا القرآن ليس من صنع محمد ﷺ، وإنْ يكن قصر دون
التصريح بأنَّ القرآن الكريم وحي من الله تعالى. (١)

● واقع الحال أنَّ هناك فئةً معتبرةً من المستشرقين غير المسيسين
كانت لهم جهود واضحة في صناعة الوئام بين الثقافات، وكانوا
وسائل لتعريف الغرب بالثقافة الإسلامية تحديداً، من خلال
الدراسات والبحوث والترجمة والنقل وحفظ التراث العربي
الإسلامي وفهرسته وتصنيفه وترميم المعطوب منه. (٢) ولا ينبغي
التغاضي عن هذه الجهود الواضحة، كما أنَّه لا ينبغي الالتفاف
على هذه الجهود والحطُّ من قدرها، (٣) والزعم بأنَّها لم تكن
صادرة عن قصد نبيل، والزعم بأنَّ ما قام به المستشرقون من
جهود موضوعية كان لخدمة أغراضهم الأخرى. (٤)

● وإنْ وُجد هذا الهاجس فقد تمَّ حُضُور عنه نفع للتراث المخدوم.
يقول مُحَمَّد عوني عبد الرؤوف، وهو يترجم للمستشرق الألماني

(١) انظر: مُحَمَّد عمارة. الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء. - القاهرة: دار الشروق، هـ١٤٢٥/٢٠٠٥ م. - ص ١٥٩ - ١٧٨.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم التملة. الاستشراق بين منحين: النقد الجذري أو الإدانة. - مرجع سابق. - ٦٣ ص.

(٣) انظر: السيد مُحَمَّد الشاهد. الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرین. - الاجتهد. - ع ٢٢ (شتاء عام ١٤١٤هـ/١٩٩٤م). - ص ١٩١ - ٢١١.

(٤) انظر: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين. - بيروت: دار الكتب العلمية، هـ١٤٢٥/٢٠٠٤ م. - ص ٥٥ - ٦١.

الشاعر فريدریش ریکرت: «واهتمَ المستشرقون الإنجليز آنذاك أيضًا، بعد احتلال كلكتا عام ١٧٥٧ ، بعلوم الاستشراق اهتمامًا كبيرًا، فنشطت حركة الترجمة وحركة تحقيق النصوص الإسلامية والهندية القديمة، كي يعرف رجال الإدارة الإنجليزية طبيعة الشعب الذي يحكمونه وعقليته». ^(١)

● ويذكر محسن محمد حسين أنَّ من بين المستشرقين من ناهض سياسة بلاده تجاه المستعمرات، ويعطي أمثلة بعدد من المستشرقين، أمثال: جاك بيرك ومكسيم رودنسون وإدوارد براون (١٨٦٢ - ١٩٢٦م) ولويس ماسينيون (١٨٨٣ - ١٩٦٢م)، وهو صاحب *الحلاج* الذي ربطه بالقرامطة، وذكر أنه كان يتربَّد عليهم في البحرين، وفي هذا ربط سياسي لحركة صوفية، ^(٢) وليوني كايتاني (١٨٦٩ - ١٩٣٥م) وأنطوني نتشغ ويرغر ورافائيل باتاي، «رغم أنَّ لكلَّ من هؤلاء منهجه واتجاهه وقناعته، وتناول كلُّ منهم أمورًا كثيرةً مغایرةً». ^(٣)

(١) انظر: محمد عونى عبد الرؤوف. فردریش ریکرت: عاشق الأدب العربي. - ط ٢. - بيروت: مكتبة الآداب، ٢٠٠٦م. - ص ٢٠.

(٢) انظر: أحمد عبدالحليم عطية. الصوفي والسياسي: صورة ماسينيون في الفكر العربي المعاصر. - الاجتهد. - ع ٤٧ (شتاء ٢٠٠١ / ١٣٢١ - ١٤٢٢هـ). - ص ٨٣ - ١١٣.

(٣) انظر: محسن محمد حسين. الاستشراق برؤية شرقية. - بغداد: بيت الوراق، ٢٠١١م. - ص ٢١٧ - ٢٢٢.

منهج السماحة

● أمّا من حيث الزمان فإنّ طلائع المستشرقين لم تكن في الإجمال إيجابية مع الثقافة الإسلامية؛ ذلك أنها كانت قد ولدت في حقبة كانت فيها أوروباً تعيش حالاً من الفوضى الحضارية، شاع فيها الإقطاع من ناحية، وشاعت فيها سيطرة مصالح الكنيسة ورعايتها من ناحية أخرى، فكان أن شعرت طلائع المستشرقين بأنّ الإسلام الذي بدأ ينتشر بقوّة، بفعل التأثير المباشر السمح في الأمم لا بفعل السيف - كما زعموا - ما هدّد مصالح خاصةً كان يتبوّأها قسمٌ من رجال الدين غير السُّمَحاء، الذين كانوا يدعون أنهم يمثلون ربّ، ومارسوا دور الوسيط بين ربّ العباد فحقّقوا من وراء ذلك مصالح ذاتية، كانت بعيدة عن مفهوم السماحة، وليس التسامح فقط، على اعتبار أنّ التسامح جزءٌ من السماحة، والسامحة أعمُّ من مجرد التسامح. ويصرّ رضوان السيد - وهو محقٌ في إصراره هذا - على أنّ مصطلح «التسامح» دخيل من حيث اللفظ ومن حيث المفهوم، فالتسامح لا يقصد به سماحة الإسلام، لكن الأصولية الإسلامية - كما يذكر - سرّت باللفظ، وصارت تتناقش حوله من مفهوم كم هو الإسلام متسامح؟^(١)

(١) انظر: رضوان السيد وأخرين. من التسامح إلى احترام الآخر. - ص ٢٨٥ - ٣٠٩ - في: عبدالجبار الرفاعي، معدّ. التسامح ليس منه أو هبة. - بيروت: دار الهادي، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م - ٣٤٣ ص.

● بينما جاء الإسلام لي Luigi هذه الواسطة ويجعل الصلة بين العبد وربه مباشرة، دون عنون من أحد، سوى العلم القائم على كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد بن عبدالله والمنهج السليم الذي يقوم على الكتاب والسنة (الإخلاص والصواب)، ويجعل من السماحة - المحددة بضوابطها - مطلبًا شرعاً منضبطاً بالضوابط الشرعية، وليس تلك السماحة غير المحدودة التي تدمر مفهوم السماحة، بصفته منطلقاً للعلاقة بين المسلمين أنفسهم وبينهم وبين غير المسلمين (الآخر).

● يقول عصام عبدالله: «لم يكن معظم المنادين بالتسامح مستعدّين للسير بهذا المبدأ حتّى نهاية الشوط، أو في كلّ الاتجاهات، وعلى الصُّعد كافّة، فـ«جون لوك»، أكبر المؤيّدين لمبدأ التسامح وضع مجموعة من الضوابط من يتعدّاها لا يمكن التسامح معه بأيّ حال:

١ - الترويج لمعتقدات وأصول تهدّد بنسف المجتمع نفسه،

٢ - الترويج للإلحاد،

٣ - الأفعال التي تهدف إلى تدمير الدولة، أو التعدي على أموال الآخرين،

٤ - الولاء للحكّام الخارجيين (الخيانة).^(١)

● جاء المستشركون في هذه الحقبة ليقدّموا المعلومة الخطأة عن

(١) انظر: عصام عبدالله. التسامح. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م. - ص ٣٦ - ٣٠. - (سلسلة مكتبة الأسرة).



الثقافة الإسلامية لبني قومهم، «فقد أصبحت رؤى المستشرقين تتسلل إلى العقول الأوروبيّة؛ لأنّهم خبراء في شؤون الدين والمجتمعات الإسلامية، واكتسبوا ثقة الإنسان الغربي؛ لما يمثّلونه من علم وخبرة نادرة».^(١)

● ومع تسللها إلى العقول الأوروبيّة تسللت من خلال النقل والترجمة للآثار الاستشرافية الغربية إلى بعض العقول الآسيوية، لا سيّما في روسيا، حيث مرّت المعرفة الإسلامية «في البداية عن طريق المصفاة الأوروبيّة الغربية، ولذلك جاء معظمها مشوّهاً بعيداً عن الموضوعية العلمية. هذا من جهة، ومن جهة ثانية لقد أرادت روسيا الاستعانتa بوجهة النظر الأوروبيّة الغربية عن الإسلام؛ لكي ترتكز على مستندات فكرية توظّفها الأرثوذوكسية المسيحية الفكرية ضدّ الدوغمائية الإسلامية التترية»، على حد قول سهيل فرح.^(٢)

● يقول خلف الجراد في كتابه أبعاد الاستهداف الأميركي كي: «ومثلكما كان هناك ارتباط عضوي بين الحروب المسماة «صليبية» والاستعمار الغربي المباشر للعرب والمسلمين، في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والشعارات الدينية المسيحية

(١) انظر: حاتم الطحاوي. الفكر الاستشرافي في المجتمعات الإسلامية (محمد خليفة حسن). - الاجتهداد. - ع ٥٠ و ٥١ (ربيع وصيف عام ٢٠٠١ /١٤٢٢هـ). - ص ٣٣٥ - ٣٢١. - والنصُّ من ص ٣٢٤.

(٢) انظر: سهيل فرح. الاستشراف الروسي: نشأته ومراحله التاريخية. - الفكر العربي. - ع ٣١ مج ٥ (كانون الثاني / يناير ١٩٨٣م). - ص ٢٢٥ - ٢٦٦.

والمدرسة الاستشرافية التقليدية، فإنَّ المدرسة الاستشرافية الجديدة بآداتها المعرفية المتطرفة، وصلاتها الفكرية والأكاديمية والسياسية بالإستراتيجية الأميركيَّة، تحولت بالفعل إلى أبرز لاعب في توجُّهات النخب السياسيَّة والعسكريَّة في الولايات المتحدة الأميركيَّة^(١).

المزالق اللغظية

- **المزالق اللغظية** الذي وقعت بها الإدارَة الأميركيَّة نهار الهجوم على مركز التجارة العالمي في نيويورك ومبنى وزارة الدفاع في العاصمة واشنطن يوم الثلاثاء ٢٢/٦/١٤٢٢ هـ الموافق ١١/٩/٢٠٠١ م، ((الحرب الصليبية المختلفة)، ومن لم يكن مع النسر افترسه النسر،^(٢) وإنما معنا أو مع الإرهاب، ومن ليس معه فهو ضدَّي)،^(٣) ينبيء عن مكنون فكري وعاطفي كامن في اللاشعور أو في العقل الباطن، على رأي سigmوند فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩ م).

- أوقعت فلتات اللسان هذه الإدارَة في مأزق حضاري، وفتحت المجال لمزيد من الغوص في ارتباط الاستشراف في الحرب على

(١) خلف الجراد. أبعاد الاستهداف الأميركي. - مرجع سابق. - ص ١١٤.

(٢) انظر: حسن الأمراني. أيها الغرب أين مشرقك؟ - ص ١١٣ - ١١٧. - في: مصطفى سلوي. الخطاب الاستشرافي في أفق العولمة: يوم دراسي. - وجدة: جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٣ م. - ١٦٦ ص.

(٣) العبارة الأخيرة مقتبسة من إنجيل متى: الإصحاح ١٢:٣٠. وعباراتها: «من ليس معه فهو على ومن لا يجمع معه فهو يفرق».

الإرهاب، وضلوع الاستشراق السياسي في هذه الحملة وتوجيهها ليس للحرب على الإرهاب فقط، ولكن للحرب على المسلمين، لا حرباً عسكريةً مباشرةً، بل حرباً شاملةً على مختلف الصُّعد.^(١) بما في ذلك الاعتداء على الجمعيات الخيرية باتهامها بضلوعها في تمويل الإرهاب، الأمر الذي ثبت وما يزال يثبت قانونياً عدم صحته، بعد ما تمَّ التضييق الغربي على هذه الجمعيات الخيرية الإسلامية، وتأثرت من هذه الحملة ضحايا برية ليس لها علاقة من قريب أو بعيد بالإرهاب،^(٢) حيث تنازل الغرب السياسي عن مفهوم الحرب على الإرهاب، وجرى تعميم هذا التنازل على الأوساط الدبلوماسية الغربية، لا سيما الأمريكية منها.

- أثار هذا الموقف المتمثل في فلتات اللسان المجال للتساؤل حول هذه الحرب القائمة الآن بأنها - رغم محاولات تجنب الاتهام الجماعي للمسلمين - حرب على الإسلام والمسلمين أكثر من كونها حرباً على الإرهاب،^(٣) الذي لا يحمل هوية ولا يؤمن

(١) انظر: محمد الكوش. الثابت والمحول في الخطاب الاستشراقي بعد أحداث ١١ شتنبر. - ص ٥٣ - ٧٢. - في: مصطفى ساوي. الخطاب الاستشراقي في أفق العولمة: يوم دراسي. - مرجع سابق. - ١٦٦ ص.

(٢) انظر: محمد بن عبدالله السلومي. ضحايا برية للحرب على الإرهاب. - [لندن: المنتدى الإسلامي]، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. - ٣٠٤ ص. - (سلسلة كتاب البيان؛ ٦٣).

(٣) انظر: أكبر أحمد. الإسلام تحت الحصار/ ترجمة عزت شعلان. - بيروت: دار الساقى، ٢٠٠٤م. - ص ٥٣.

بالجهوية.^(١) يقول طلال عتريسي: «إنَّ خوف المسلمين من الغرب أو كراهيتهم له أو لسياساته أو ثقافته لم يدفعهم للإساءة إلى المسيحية، بينما لم يتورَّع وللأسف كثير من الغربيين ومن موقع فكرية وسياسية رسمية في بعض الأحيان وفي أكثر من مناسبة عن التعرِّض بالإسلام نفسه، بوصفه ديناً يحُضُّ على التخلف ويحرّض أتباعه على العنف وعلى كراهيَّة الآخر».^(٢)

● الإشكالية في الذهنية الغربية في علاقتها مع الإسلام أنها عقلية لا تزال تستحضر حروب الفرنجة «الحروب الصليبية»، كلَّما قامت فتنة بين الشرق الإسلامي والغرب، فتُحدَّد بموجبها العلاقات المشتركة بين المسلمين والغربيين، كما يقول محمد أسد،^(٣) ويوافقه على هذا مراد هوفمان. ففي سبيل ترسيخ الكراهيَّة أريد لهذه العلاقة أنْ تقوم على معلومات مغلوطة عن الإسلام والمسلمين، لنشر الجهل بكلِّ ما هو إسلامي، وحجب المعلومات الصحيحة، ونشر معلومات مغلوطة عن المسلمين.^(٤)

(١) انظر: حسن الأمراني. أيُّها الغرب أين مشرقك؟ - ص ١١٣ - ١١٧ . - في: مصطفى سلوى. الخطاب الاستشرافي في أفق العولمة: يوم دراسي . - المرجع السابق . - ١٦٦ ص.

(٢) انظر: طلال عتريسي. صورة الإسلام: مسؤولية الغرب والمسلمين . - ص ٢٥٦ - ٢٨٢ . - والنُّصُّ من ص ٢٦١ - ٢٦٢ . - في: أبو يعرب المرزوقي وآخرين. مستقبل الإسلام . - مرجع سابق . - ٢٦٨ ص.

(٣) انظر: صلاح عبدالرزاق. المفكرون الغربيون المسلمين: دوافع اعتناقهم الإسلام . - مرجع سابق . - ٢٦٤ .

(٤) انظر: مراد هوفمان. الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود . - مرجع سابق . - ص ٧٠ .

● وتحمّل هذه السياسات والحروب مسؤولية مباشرة في «تهيئة كراهية» الغرب في العالم الإسلامي وزيادته مع تزايد الأحداث في المنطقة وضياع «البوصلة» في المواقف، كما في الشأن السوري هذه الأيام، ما أوجد مسوّغاً لدى بعض المنسوبين للإسلام من أفراد أو جماعات لأي سلوك عدواني مباشر ضدّ الرموز الغربية، بشريةً كانت أم ماديّة. يعني هذا أنَّ كراهية الغرب من قبل بعض المسلمين ليست كراهية ثقافية؛ إذ إنَّ مصدرها - كما يظهر - سياسي أكثر من كونه ثقافياً. (١)

● المعلوم في تاريخ حروب الفرنجة كما سُمِّاها المسلمون، الصليبية كما سُمِّاها الغربيون، أنها اصطحبت معها على امتدادها لمائتي سنة (٤٩١ - ٦٩٠ هـ الموافق ١٠٨٩ - ١٢٩١ م) المستشرقين الرحالة الذين كان لهم أثر في تصوير الشرق، إيجاباً أو سلباً، من أمثال الرحالة فوشيه دو شارتر، وويلبراند الأولديبورى، وثيتمار، وجيمس الفيتري، وبوركهارد، وبنiamين التطيلي، وغيرهم، وكان هؤلاء قد قدّموا صوراً مشرقة عن التعايش بين المسلمين وغير المسلمين في الحواضر الإسلامية. (٢)

(١) انظر: طلال عطريسي. صورة الإسلام: مسؤولية الغرب والمسلمين. - ص ٢٥٦ - ٢٨٢ . - في: أبي يعرب المرزوقي وآخرين. مستقبل الإسلام. - مرجع سابق. - ٢٦٨ ص.

(٢) انظر: قاسم عبده قاسم. ماهية الحروب الصليبية. - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م . - ص ٢٠١ - ٢٠٠ . - سلسلة عالم المعرفة؛ (١٤٩).

● يعني هذا التوكيد على عدم التعميم في مواقف المستشرق الواحد، ففي هذا الجو المشحون بالتحدي والعداوات والكراهية والحروب السجال، يظهر مستشركون الأصل فيهم أنّهم مناصرون لبني قومهم في حملاتهم بفكراهم وعلمهم، وهكذا كانوا، إلا أنّهم مع هذا لم يستطيعوا إغفال الواقع التعايشي في تلك الحاضر الإسلامية.

● في الجانب الآخر من مهمات المستشرقين يقرّ نجيب العقيقي أنّ طلائع المستشرقين قد انطلقت من الكنائس والأديرة، حيث يذكر صاحبُ أفضلي موسوعة ضافية عن الاستشراق والمستشرقين، أنّ الاستشراق قد بدأ «أكثر تنظيماً وانتشاراً واستمراً بالفاتيكان، بابوات وأساقفة ورهباناً، واصطناع نفوذهم في سبيله لدى الملوك والأمراء والبلديات، والإفادة منه في الرد على البروتستانية بعد انفصالها عنهم مما جعله لغایات متّوّعة، وبوسائل متعدّدة، في أرجاء واسعة».^(١)

● ويُضيف نجيب العقيقي القول: «كان رجال الدين المسيحي - ومرجعهم الفاتيكان يومئذ - يؤثرون الطبقة المتعلّمة في أوروبا، ولا سيل لهم إلى إرساء نهضتها إلا على أساس من التراث الإنساني الذي تمثّله الثقافة العربية، فتعلّموا العربية، ثم اليونانية، ثم اللغات الشرقية للتفوز منها إليه». ^(٢) وقد قدم منهم المغرب الإسلامي لمجادلة المسلمين. واحتضنَ آخرون

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشركون. - مرجع سابق. - ١: ٨٧ - ١٢٥.

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشركون. - المراجع السابق. - ١: ٨٧ - ١٢٥.

بأن يكونوا أدلةً لقاصدي فلسطين، في رحلات لها قدسيتها عندهم، يطلقون عليها الحجّ إلى الديار المقدّسة، القدس وبيت لحم والتاجرة والخليل، وغيرها من حواضر فلسطين. جاء هذا الهدف الرئيس حائلاً لرهط من هؤلاء المستشرقين بين إقامة جسور ثقافية بين أوروباً (الغرب الأوسط) والشرق الإسلامي.

استقلالية المستشرقين

● إلا أنَّ الاستشراق يمتدُّ بعد ذلك، ويتحلّى عدُّ من المستشرقين عن هيمنة الهاجس الديني، القائم على صناعة الكراهية تجاه المسلمين، رغم تجدد العودة إلى الأصولية الدينية المسيحية واليهودية، بالمفهوم الآخر للأصولية، وليس بمفهوم المسلمين لها،^(١) وسيطرتها على الخطاب السياسي؛ لتحقيق أغراض سياسية واقتصادية، من قِبَل جماعات متشددَة، استطاعت التأثير على صناعة القرار في بعض الدول الغربية، كما يقول جورج قرم في كتابه الصادر بالفرنسية بعنوان: المسألة الدينية في القرن الحادي والعشرين.^(٢)

(١) انظر: عشر قضايا عن الأصولية الإسلامية. - ص ٧٩ - ٨٣ . - في: فريتس شتييات. الإسلام شريكًا: دراسات عن الإسلام والمسلمين. - مرجع سابق. - ٢٠٦ ص.

(٢) انظر: جورج قرم. المسألة الدينية في القرن الحادي والعشرين. - باريس: ديكوف، ٢٠٠٦ م. - (بالفرنسية). - نقاً عن عمر كوش. «المسألة الدينية في القرن الحادي والعشرين» قضية يعالجها كتاب جورج قرم. - الحياة. - ع ١٥٩٨٩ (١٤٢٧/١٢/٢٤ - ٢٠٠٧/١/١٣) . - ص ٢٤.

● بدت على بعض هؤلاء المستشرين بوادر الاستقلالية عن الهاجس الديني الأصولي، ووصف بعضهم بالعلمنة ووصف بعض آخر بالإلحاد، وأنّهم لعلّتهم وإلحادهم يرغبون في أن يكونوا أكثر موضوعية من أسلافهم، ومن ثمّ رغبوا في عدم الخوض في الشأن الديني، الذي بدا أنّه هو المحفز لصناعة الكراهيّة، فاشتعل رهطٌ منهم بالشأن الاجتماعي، من خلال تحليل المجتمع المسلم، إلا أنّ تحليل المجتمع المسلم أثنر وبولوجيًا لا يستطيع أن يستغني عن توظيف الإسلام في هذه الدراسات.^(١)

● وظهر ما يمكن أن يسمى بالرؤية الاستشرافية المعدّلة، التي تتقدّم المجتمع الغربي في موقفه من الثقافة الإسلامية، وتتفهّم «مشاعر العالم الإسلامي في أنه يعيش تحت حصار فرضه عليه الغرب، في كثير من المجالات الحيوية السياسية والعسكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية». ويمتدّ هذا التفهّم إلى إدراك الأسباب التاريخية التي أدّت إلى ذلك، وإلى إشكاليات عملية التحدث التي فرضها الغرب، وما اقترن بها من توّرات اجتماعية واقتصادية.

● إلا أنّ أنصار الرؤية «المعدّلة» يقاومون بكلّ قوّة الاستقلال التام عن الغرب، بل ومنع ذلك وضرورة اتّباع النموذج الغربي الذي

(١) انظر: أبو بكر باقادر. الأنثروبولوجيا والاستشراف. - الاجتهاد. - ع ٤٧ / ٤٨ . (صيف وخريف عام ٢٠٠٠ / ١٤٢١ هـ). - ص ٩ - ١٠ .

أثبت نجاحه»^(١) كما يقول سمير مرقس، الذي لا يملك إلا أن يعيد هذه الرؤية الاستشرافية المعدّلة إلى الرؤية «الاستشرافية القديمة الجديدة»^(٢). وتاليًا استمرار وضع العالم الإسلامي تحت نوع من أنواع الحصار.

- التعبير بأنَّ العالم الإسلامي يعيش تحت هذا النوع من الحصار لا يعني أنَّ الإسلام نفسه قد وقع تحت الحصار، ولو كانت المسألة هنا مجرَّد تعبير مجازي من باب التهويل؛ للفت النظر إلى المواقف الأخرى والتحديات التي واجهت المسلمين في خصوصياتهم الأمنية والتعليمية ونمطهم السياسي باسم الإصلاح أو محاربة الإرهاب.
- ربِّما أريد من التعبير المجازي «الإسلام تحت الحصار» القياس بتعابيرات ظهرت في الإعلام الغربي، عندما احتجز مجموعة من حُرَّاس الثورة الإيرانية مجموعة بلغ عددهم من أربعة وخمسين (٥٤) إلى أنَّ وصلوا اثنين وخمسين (٥٢) من العاملين في السفارة الأمريكية في طهران سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ - ١٩٨٠ فأطلق الإعلام الأمريكي عبارة «أمريكا تحت الحصار»، وشعر اليهود في فلسطين المحتلة أنَّ العرب يحاصرونهم، وكذلك الهند، حيث يحاصرهم جيرانهم المسلمين.^(٣)

(١) انظر: سمير مرقس. الآخر: الحوار المواطنـة. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م. - ص ٨٤ - ٨٥. - (سلسلة العلوم الاجتماعية).

(٢) انظر: سمير مرقس. الآخر: الحوار المواطنـة. - المراجع السابق. - ص ٨٤ - ٨٥.

(٣) انظر: أكبر أحمد. الإسلام تحت الحصار. - مرجع سابق. - ص ٥٢.

● مع هذا لا يسُوغ التعبير بأنَّ دينَنا من الأديان، لاسيما دين الإسلام المحفوظ، يمكن أنْ يقع تحت حصار خلق من خلق الله تعالى أو تحت الأسر،^(١) مهما كانت قوَّة هذا الخلق، فقوَّة خلق الله تعالى لن تكون أقوى من قوة الله تعالى. وهذه من المعاني التي لا ينبغي إغفالها عند الحديث عن هذه المواجهات بين الغرب والشرق، لاسيما الشرق الإسلامي، أخذًا في الحسبان أنَّ الغرب بدأ يعود اليوم إلى إدراك هذه المعاني الروحية، بعد حقبة من تناسيها في الحياة العامة؛ بحاجة التزوع إلى منهج العلمانية في إدارة الحياة العامة، وقصر الجوانب الروحانية على الحياة الخاصة.

● مع هذا لم يتمكَّن المستشركون في دراساتهم الاجتماعية والأثنروبولوجية من عزل الدين الإسلامي عن هذه الدراسات - كما مرَّ ذكره - إذ توجَّه بعضهم إلى دراسة المجتمع المسلم أثربولجيًّا من خلال أوجه الشاطئ الديني، مثل القضايا التي يطرحها خطباء صلاة الجمعة،^(٢) ومثل الشأن النسائي في

(١) هناك توظيف لعبارات صحفية مثيرة، وووتها على العين والنفس متبع لتكون عناوين لأعمال الأصل فيها أنَّ تكون علمية المنهج والنقاش، عبارات مثل الأسر والاختطاف. انظر مثلاً: الصادق النيهوم. الإسلام في الأسر: من سرق الجامع وأين ذهب يوم الجمعة؟. - لندن: رياض الرئيس، ١٩٩١م. - ٣٦٩ ص. - وانظر أيضًا: الصادق النيهوم. إسلام ضدَّ الإسلام: شريعة من ورق. - ط. ٢ - بيروت: رياض الرئيس، ٢٠٠٠م. - ٣٧٩ ص.

(٢) انظر: من الاستشراق إلى الأنثروبولوجيا (١ - ٢): الدولة والمجتمع وصورة الإسلام. - في: الاجتهاد. - ع ٤٧/٤٨ (صيف وخريف عام ٢٠٠٠). - ومن الاستشراق إلى الأنثروبولوجيا (٣): الصورة والرمز = ١٤٢١هـ).

المجتمع المسلم، بما في ذلك ظاهرة تفشي الحجاب لدى المسلمات، وشيوخ ذلك حتى في المجتمعات غير المسلمة، التي توجد فيها جاليات مسلمة.

- يمكن أن يقارن أثر الرحالة المسلمين في أوروبا، كرحلة ابن فضلان مثلاً،^(١) بالرحلة المستشرقين إلى الحواضر الإسلامية؛ للتعرف على مدى النظرة إلى الثقافات الأخرى بين الفريقين، ومدى الإنصاف في وصف هذه المجتمعات وصفاً يعتمد على المعاينة والمشاهدة، ما يحتاج معه إلى دراسة مقارنة، لا يتسع لها مقام هذه الوفقات.^(٢) وربما يكون مجال هذه المقارنة دراسة الاستغراب في مقابل الاستشراف.^(٣)

= الآخر. - في: الاجتهد. - ع ٤٩ (شتاء عام ٢٠٠١ / ١٤٢١ هـ). - ومن الاستشراف إلى الأثنروبولوجيا (٢) : نقد الاستشراف. - في: الاجتهد. - ع ٥١ / ٥٠ (ربيع وصيف عام ٢٠٠١ / ١٤٢٢ هـ).

(١) انظر: شمس الدين الكيلاني. صورة أورئا في رحلة ابن فضلان: بلاد الخزر والبلغار والروس والاسكندنافيين. - التسامح. - ع ٩ (شتاء ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م). - ص ٢٤٨ - ٢٨١.

(٢) انظر: شمس الدين الكيلاني. شغف الرحالة العرب بالتعرف على أوروبية: التعارف سبيلاً للحوار. - ص ١٤٢ - ١٦٧ . - في: ذكي الميلاد، معدّ. تعارف الحضارات. - دمشق: دار الفكر، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م. - ٢٢٦ ص.

(٣) انظر: علي بن إبراهيم النملة. وقوفات مع الدعوة لقيام علم الاستغراب (محاضرة). - الدمام: مركز الأمير عبدالمحسن بن جلوى (١٤٣٥ هـ / ١١ / ٢٠١٣ م). - ٥٢ ص. - وستنشر - إن شاء الله - في كتاب يحرره أحمد الشيخ المعنى بالدراسات الاستغرافية وصاحب المركز العربي للدراسات الغربية.

الاستشراق والسياسة

- تستهوي السياسة بعض المستشرقين، في وقت كان العالم فيه يمر بمرحلة اجتياح أوروبي للعالم، شرقه وجنوبه، والقارئ الأمريكية الوسطى والجنوبية، فيما اصطلاح عليه بحقبة الاحتلال، فكانت هذه الفئة من المستشرقين - باستثناء الاستشراق الألماني الذي لم يزدهر نتيجة للاحتلال - ^(١) كانت جاهزةً لتقديم العون للجهات الاحتلالية، من خلال تقديم المعلومة عن البلد المستهدفة بالاحتلال. ورافق بعض المستشرقين حملات الاحتلال، مثل سلفستر دي ساسي (١٧٥٨ - ١٨٣٨ م) في الجزائر، وكريستيان سنوك هورخرونيه (١٨٥٧ - ١٩٣٦ م) في إندونيسيا نموذجين. فهم هنا يمارسون مهمّة الأدلة، ولكن مع اختلاف في المهام عن أسلافهم قاصدي فلسطين. ^(٢)
- ولم يزدهر الاستشراق الألماني في زمن الاحتلال لأنّ هتلر والنازية لم «تسعمل» الاستشراق في أطماعها في التوسيع، وهو ما كان مجالاً للارتياح لعدد من المستشرقين الألمان - بالإضافة

(١) انظر: ميشال جحا. الاستشراق الألماني في القرن العشرين. - الاجتهداد. - ع ٥١ / ٥٠ (ربيع وصيف عام ٢٠٠١ / ١٤٢٢ هـ). - ص ٢٥٧ - ٢٦٧. وانظر أيضًا: جينيفير جينكتر. الاستشراق الألماني: مقدمة. - مجلة الدراسات المقارنة لجنوب آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط (comparative studies of South Asia, Africa and the Middle East). - ع ٢٤ (٢٠٠٤ م). - ص ٢.

(٢) انظر: محمد رضوان. القدس الشريف في الاستشراق اليهودي. - مرجع سابق. - ص ٨٦.

إلى أنَّ هتلر والنازية لم يروا في العرب والمسلمين ما يستحقُ
عنة الاحتلال ديارهم! ^(١)

● كما لم تزدهر الدراسات العربية للاستشراق الألماني من قبل
بسبب قلة من يتحدثون الألمانية، ومن ثم قلة من درسوا
الاستشراق الألماني أو على مستشرقين ألمان، وقلة المترجم
إلى اللغة العربية من التابع الاستشرافي الألماني، بالمقارنة بما
تُرجم عن الفرنسية والإنجليزية. ^(٢)

● ومع هذا فإنَّ رضوان السيد ينفي هذه النزاهة عن الاستشراق
الألماني نزاهةً تامةً، «فالألمان كانوا يملكون «رغبات» استعماريةً
شرهَةً وعلنةً، لكنها ما صارت فاعلة إلا بعد الوحدة الألمانية
عام ١٨٧٠م». ^(٣) ويتهمه بتعضيد الاحتلال، كما فعل مارتن
هارتمان (١٨٥١ - ١٩١٩م) (الذي أصبح مدرِّساً بالمعهد
الاستعماري في هامبورج)، حيث وضع كتابين يدعو فيهما
لنصرة السياسة الفرنسية والمطامع الفرنسية، كما يُقلل ذلك عن
المستشرق الهولندي كريستيان سنوك هورخرونيه (١٨٥٧ -
١٩٣٦م). ^(٤)

(١) انظر: رضوان السيد. المستشرقون الألمان: النشوء والتأثير والمصائر. -
بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٧م. - ص ٣٥.

(٢) انظر: رضوان السيد. تأثيرات المستشرقين الألمان في البحوث الأكاديمية
العربية. - التسامح. - ع ٨ (خريف ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). - ص ٢٤٥ - ٢٥٢.

(٣) انظر: رضوان السيد. المستشرقون الألمان. - مرجع سابق. - ص ٧.

(٤) انظر: رضوان السيد. المستشرقون الألمان. - المراجع السابق. - ص ٧ - ٨.

● كما يذكر ميشال جحا أنه قابل روسي باريت (١٩٠١ - ١٩٨٣ م) سنة ١٩٨٠ م وسأله عن دوره في الحرب العالمية الثانية (١٩١٨ - ١٩٤٥ م) وهو الذي يُجيد اللغة العربية كتابةً ونطقاً، فأجاب بأنه شارك في الحرب مترجمًا للجيش الألماني بقيادة رومل، وأن مهمته كانت مقتصرةً على الاتصال بالبدو لتأمين الماشية للجيش الألماني المحاصر في الصحراء الليبية. وكان أنْ أسرَ بعد هزيمة رومل وبقي في الأسر لأربع سنوات من ١٩٤٣ - ١٩٤٦ م.^(١)

● وعلى أيّ حال يظلُ الاستشراق الألماني أبعد الاستشرافات عن السياسة إلى يومنا هذا، كما يظلُ أقربها إلى العلمية والتزاهة والعمق في الدرس والبحث والتحليل، وإن لم يخلُ من عواطف احتلالية وسياسية لم تكن هي الغالبة، بل لم تكن هي الظاهرة. وقد سبق للباحث التعرُّض لهذه الرؤية والتدليل عليها في بحث سابق، ومنه اقتبست بعض العبارات أعلاه.^(٢)

● وقد يكون هذا الابتعاد عن الاستشراق السياسي ديدنًا لعدد من الاستشرافات، فالمستشرقون الروس - مثلاً - يسعون إلى الابتعاد عن الاستشراق السياسي والتبرُّؤ منه، وذلك على لسان المستشرق الروسي بتروف斯基 الذي يقول إنَّ الدراسات الشرقية الروسية ليست دراساتٍ لعالم بعيد أو غريب «وليست دراساتٍ

(١) انظر: ميشال جحا. الاستشراق الألماني في القرن العشرين. - الاجتهد. - مرجع سابق. - ص ٢٥٧ - ٢٦٧.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق بين منحىَين: التقدِّم الجذري أو الإدامة. - مرجع سابق. - ٦١ ص.

وثيقة الارتباط كثيراً بالسياسة الاستعمارية، في روسيا، الحضارة الإسلامية جزء من تراثنا، أغلبية الناس في روسيا مسيحيون أرثوذكس، والدين الثاني في روسيا هو الإسلام لذلك نحن ندرس تراثنا لأن الحضارة الإسلامية جزء من تراثنا». (١)

● وتذكر فاطمة عبدالفتاح أن الدراسات الاستعراية الروسية بقيت في الماضي بمنأى إلى حد كبير، عن تأثير القرار السياسي، وأنها الآن غير مرتبطة بالسياسة الاحتلالية. ويرى المستعربون الروس المعاصرون أنَّ الحضارة الإسلامية في روسيا هي جزء من التراث الروسي، على الرغم من أنه في أوقات مختلفة، برب أحياناً الاتجاه السياسي في الدراسات العربية الإسلامية، من خلال المعاهد التعليمية التي ارتبطت بوزارة الخارجية والكنيسة، والتي كانت تمثلها، في قسم منها، مدرسة الاستعراب في موسكو. وبالمقابل فإن اتجاه الدراسات الأكاديمية والثقافية غير المرتبط بالسياسة كان موجوداً ومستمراً في مدرسة الاستعراب في بطرسبورغ، حتى إبان العهد السوفييتي. وتنقل عن بتروف斯基 قوله: «نحن شرقيون إلى درجة كبيرة والشيء نفسه مع الكنيسة، الكنيسة الأرثوذكسية الروسية كنيسة شرقية، وطبعاً الكنيسة الشرقية أقرب للإسلام وفي فهم الإسلام». (٢)

(١) انظر: بتروف斯基 نقاً عن فاطمة عبدالفتاح. إضاءات على الاستشراق الروسي: دراسة. - دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م. - ص ٢٥.

(٢) انظر: فاطمة عبدالفتاح. إضاءات على الاستشراق الروسي: دراسة. - المرجع السابق. - ص ١٠٠.

● ومع هذا يأتي تركي علي الريبعو الباحث الضليع في هذا الشأن ليؤكد أنَّ تعاظم الدور السياسي للاتِّحاد السوفيتي سابقًا في النصف الثاني من القرن العشرين «وبروزه كقوَّة عظمى لها دورٌ وُصِفَ أحيانًا بأنه إمبريالي، ألقى على كاهل الاستشراق السوفيتي آنذاك مهمَّةً جديدةً ومنهجًا جديداً في الرؤية. وانطلاقاً من وجود علاقة سببية وثيقة تاريخيًّا بين الاستشراق والسياسة؛ إذ إنَّ الاستشراق في نهاية المطاف هو رؤية سياسية للواقع». ^(١)

● ثمَّ يمتدُّ الاهتمام من لَدُنِ المستشرقين بالسياسة، حتَّى بعد انتهاء الحقبة الاحتلالية والاستعاضة عنها بحقبة الهيمنة والنفوذ التي يعيشها العالم اليوم في ضوء سيطرة القطب الواحد. وهي هيمنة آتية لا يتوقَّع لها كلُّها «أنْ تصير دائمًا» في ضوء تضاؤل مقوَّمات الدوام والثبات، لاسيَّما الأخلاقية منها، على رأي جيمي كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق. ^(٢)

● إذا جرى الحديث عن الهيمنة والنفوذ يتَّجه الذهن إلى انفراد الولايات المتَّحدة الأمريكية في الساحة العالمية، مع صنع حلفاء لها في أوروبا يحقّقون لهم ولها مصالحهم ومصالحها، ربَّما

(١) انظر: تركي علي الريبعو. الخلفيَّة التاريِّخية للدعوة الوهابيَّة في منظور الاستشراق الروسي. - الاجتِهاد. - ٤٧ و٤٨ (صيف وخريف عام ٢٠٠٠ م / ١٤٢١ هـ). - ص ٢٢٨ - ٢٤٧.

(٢) انظر: جيمي كارتر. قيمة المعرَّضة للخطر: أزمة أمريكا الأخلاقية / ترجمة محمد محمود التوبة. - الرياض: مكتبة العيَّان، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م. - ص ١٧.

على حساب مصالح الشعوب الأخرى، ما يفaciم من صنع الكراهية. وأظهر هذا المنحى أدبيات إعلامية وتحليلية سريعة أضحت همّها هجاء هذا النمط من العلاقة بين الغرب والشرق، دون توخي الموضوعية في التحليل والعلمية في بسط الأمور، بل ربما لتحقيق حاجة في نفس يعقوب كانت موجودة من قبل إبان المد الشيوعي والاشتراكي،^(١) بحيث يمكن أن تُعد هذه الأدبیات الإعلامية والتحليلية السريعة نفسها إسهاماً من الإسهامات في مسيرة صناعة الكراهية بين الثقافات.

● ودون اللوج في مناقشة الصورة - أو الصور - النمطية عن العرب والمسلمين،^(٢) يُرجع مُحَمَّد علي الخالدي بعض أسباب هذه الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين والعرب إلى «دور عملية الاستشراق وإشاعة تصوّراتها، إذ احتلت الأولوية في المشهد الثقافي وخدمتها أهدافاً استعمارية، فخرقت ثقافات الشعوب المحلية وطمّست هويتها الحضارية من خلال فرض التصوّرات الغربية لكل مناحي الحياة وتفسير أحداث التاريخ الإسلامي بموجب مقاسات تلك السياسة الاستعمارية».^(٣)

(١) انظر: بهجت قرني، وآخرين. صناعة الكراهية في العلاقات العربية - الأمريكية. - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣ م. - ٤٠٦ ص.

(٢) انظر: الصورة الذهنية عن الإسلام ونبيه ﷺ. - ص ٥٥ - ٢٣ . - في: باسم خفاجي. لماذا يكرهونه؟! : الأصول الفكرية لعلاقة الغرب ببني الإسلام ﷺ. - الرياض: مجلة البيان، ١٤٢٧ هـ. - ١٢٤ ص.

(٣) انظر: مُحَمَّد علي الخالدي. إنسان بأصوات متعددة. - htm372 C164/6 http://www.mafhoum.com/press



الاستشراق والتنصير

- وتستهوي الحملات التنصيرية التي اجتاحت الشرق والجنوب والقارئ الأمريكية الوسطى والجنوبية، عدداً من المستشرقين، فيكون هؤلاء عوناً للمنصرين، ويكونون لهم قاعدة المعلومات التي تمد المنصرين بما يحتاجونه من معلومات عن المجتمعات المستهدفة بالتنصير في سبيل تحقيق مهماتهم الصعبة، لاسيما في المشرق الإسلامي، حيث يقف التوحيد حائلاً دون وصول التثليث إلى عقول الناس وأفهامهم. ظهرت على الساحة الثقافية فئةً من المستشرقين المنصرين، لاسيما مع تزايد الدخول في النصرانية في مجتمع العالم الثالث. ففي مطلع القرن العشرين الميلادي (١٩٠٠ م) كان سبعون بالمائة (٧٠٪) من النصارى في أوروبا وأمريكا، بينما يشغل اليوم أكثر من ثلثي (٦٦٪) نصارى العالم المناطق النامية؛ آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.^(١)
- كما ظهرت على الساحة نماذج من المنصرين المستغلين لأغراض سياسية - بعلمهم أحياناً ودون قصد منهم أحياناً أخرى - واستعنوا بهم أيضاً بالاستشراق السياسي في سبيل تحقيق أغراض سياسية من وراء حملات التنصير. وهذا مما يؤيد تعدد ارتباطات الاستشراق الموضوعية وارتباطه بحقول دراسية عدّة.

(١) انظر: محمد السمّاك. الحوار الإسلامي - المسيحي في الألفية الثالثة. - ص ٦٩ - ٨٨. - في: خالد الكركي، مراجع ومقدمة. حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي. - عمان: مؤسسة عبدالحميد شومان، ٢٠٠٤ م - ٢٦٨ ص.

● ويمكن أن ينظر للتنصير على أنه شكل من أشكال صناعة الكراهية بين الغرب والشرق، لاسيما الشرق الإسلامي الذي لم يكن مرحبًا بالتنصير بدليلاً من العقيدة الإسلامية الصحيحة، مهما قيل من «توزيع الأدوار» والجهات، بين الدعوة الإسلامية والتنصير، بحيث يوجه الدعاة المسلمين والمنصرون المسيحيون جهودهم لغير المؤمنين في أعمق آسيا وأفريقيا، على رأي محمد السمّاك.^(١)

● وهذا توزيع نظري لا يرقى إلى النظرة الواقعية الممارسة الآن في مجالات الدعوة والتنصير لجهود الدعاة والمنصرون على حد سواء والقائمة على التسابق والتحدي في كسب المسلمين أو المتنصرين^(٢) فيتعرّض هذا الحد الأدنى من التفاهم «لأن تذروه رياح التناقض من جديد عندما يجده الإسلام والمسيحية نفسهما وجهاً لوجه فوق أرض واحدة ووسط مجتمعات واحدة ثقافةً وعاداتٍ وتقاليد». ^(٣)

● فجاءت هذه المنافسة طبيعية، لاسيما مع التوجّه إلى تثبيت

(١) انظر: محمد السمّاك. الحوار الإسلامي - المسيحي في الألفية الثالثة. - ص ٦٩ - ٨٨ . - في: خالد الكركي / مراجع ومقدّم. حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي. - المرجع السابق. - ٢٦٨ ص.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. المستشركون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهريتين، مع نماذج من المستشرقين المنصرين. - الرياض: مكتبة التربية، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. - ١٧٨ ص.

(٣) انظر: محمد السمّاك. الحوار الإسلامي - المسيحي في الألفية الثالثة. - ص ٦٩ - ٨٨ . - في: خالد الكركي، مراجع ومقدّم. حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي. - مرجع سابق. - ٢٦٨ ص.

المسلمين من جهة والمسحيين من جهة أخرى على دينهم كأسلوب من أساليب الدعوة والتنصير.^(١)

الاستشراق الإعلامي

• ثم إنَّ فئةً من المستشرقين استهواهم الإعلام بمفهومه الحديث، الذي يعتمد سرعة النشر، على حساب المعلومة الموثقة، وتالياً يتَّكئ على المعلومة السريعة، التي قد تفتقر إلى التحليل العميق، فيقع بعض المستشرقين في فخِّ الإعلام، لا سيما الإعلام السياسي؛ رغبةً من بعضهم في الشهرة والظهور والانتشار، فيتخلّون عن المفهوم التقليدي العميق للاستشراق ويتبرأون منه، ويرميء بعضهم في زيالة التاريخ، على رأي برنارد لويس،^(٢) ويصبح المصطلح عند هذه الفئة مشؤوماً، ويلتفون عليه بألقاب علمية أخرى،^(٣) ويعزفون عن الأبحاث في قضايا تراثية، وينصبون أنفسهم خبراء في قضايا المسلمين المعاصرة، (برنارد لويس، نموذجاً)، فيميلون في كتابتهم «إلى نمط

(١) انظر: أحمد كمال أبو المجد. حوار الحضارات: الإسلام والغرب. - ص ٥١ - ٦٧. - في: خالد الكركي، مراجع ومقدمة. حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي. - مرجع سابق. - ٢٦٨ ص.

(٢) انظر: برنارد لويس. الإسلام والدولة. - التسامح. - مرجع سابق. - ص ١٨٦ - ١٩٧ . وانظر، أيضاً: برنارد لويس. مسألة الاستشراق. - ص ١٥٩ - ١٨٢ . - في: هاشم صالح، معد ومترجم. الاستشراق بين دعاته ومعارضيه. - مرجع سابق. - ٢٦١ ص.

(٣) انظر: علي بن إبراهيم التملة. الالتفاف على الاستشراق: محاولة التناصل من المصطلح. - الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م . - ١٨٢ ص.

المستشار والخبير، وليس الأكاديمي الصرف، وإن لم يستشره أحدٌ يبدو إلا عشية ١١ سبتمبر ٢٠٠١م^(١)، كما يقول رضوان السيد^(٢)، فيغدوون بهذا الطرح الإعلامي بصناعة الكراهية للثقافات الأخرى، بما فيها الثقافة الإسلامية.

ويستفيد الإعلام من الخلفيّة العلمية لهذه الفتنة من المستشرقين في تذكرة صناعة الكراهية بين الثقافات، وإضفاء صورة نمطية غير حسنة عن الإسلام وحضارته وثقافته، وعن المسلمين. وغدت وسائل الإعلام تلاحق المستشرقين بالمقابلات والإسهامات الأخرى، كعرض رؤى المستشرقين وكتبهم. ويأتي هذا التدخل في النقاش العام على حساب التقاليد العلمية أو الأكاديمية الخالصة، بحيث يتزعزع بعض المستشرقين إلى هذا المنحى على حساب المشهور عنهم من عکوفهم العلمي ودأبهم على البحث والتقصي، وترفعهم عن النظارات السطحية للقضايا الراهنة،^(٣) آنا ماري شيميل (١٩٢٢ - ٢٠٠٥م) وزيجريرد هونكه وغيرهما نماذج.^(٤)

(١) انظر: رضوان السيد. خمسة وعشرون عاماً على كتاب «الاستشراق»: استشراق إدوارد سعيد وعلاقات الشرق بالغرب، دراسة في النص والوعي والواقع. - ص ٦١ - ٧٢. - والنص من ص ٦٤. - في: يوسف كرياج ومنفرد كروب، مشرفان. تأملات في الشرق. - مرجع سابق. - ١٤٠ ص.

(٢) انظر: شيفان رايسموت. خطابات الاستشراق؟ موقع الدراسات الإسلامية والشرقية في ألمانيا اليوم / ترجمة عدنان حسن. - ص ٩٣ - ١٠٥. - في: يوسف كرياج ومنفرد كروب، مشرفان. تأملات في الشرق. - المراجع السابق. - ١٤٠ ص.

(٣) انظر: كريستيان ديكوبير. خلاصة عامة: حتى لا ننتهي من العلوم =

● ومع هذا لا توسيع هذه الوقفات إلى التعرّيف على البُعد الإعلامي في ترسّيخ الصور النمطية، مع أهمية الإعلام في هذا المسار، فهذا موضوع متشعب ومطروق بقوّة في المراجع العربية والمعربة، إلا أنَّه يمكن القول إنَّ الإعلام في رحلته هذه يُعدُّ عالَةً على الاستشراق الجديد، كما سيأتي بيانه.

الاستشراق الصحفي

● أدى هذا التوجُّه إلى الإعلام إلى النظر إلى الاستشراق الجديد أو المتجلَّد، على أنه وقع تحت سيطرة مفهوم العولمة، فظهر من يطلق عليه الاستشراق المعمول أو استشراق العولمة أو الاستشراق الصحفي، الذي يقوده رجال الإعلام والسياسة «الذين تكونوا تكوينًا خاصًا داخل المدارس الغربية لمواصلة ما مهدَّ له المستشركون القدماء»،^(١) فيهم بعض المستشرقين في الكتابة للصحافة السيَّارة المشتهرة في بلدانها وخارج بلدانها ولها تأثيرها على الرأي العام الأوروبي والأمريكي، ولكنها مع هذا تظلُّ صحافَة سيَّارة، مثل نيويورك تايمز الأمريكية واللوموند الفرنسية، وإيل بيس الإسبانية، ولا ريبوبليكا

= الشرقية/ ترجمة محمد صبح. - ١٢٠ - ١١٥ . - في: يوسف كرياج ومنفرد كروب، مشرفان. تأملات في الشرق. - المرجع السابق. - ١٤٠ ص.

(١) انظر: مصطفى سلوى. نهاية الغرب أو موت الاستشراق في أفق العولمة ما بعد ١١ شتنبر. - ص ٤٥ - ٢٥ . والنص من ص ٢٩ . - في: مصطفى سلوى. الخطاب الاستشارقي في أفق العولمة: يوم دراسي. - مرجع سابق. - ١٦٦ ص.

الإيطالية.^(١) وتبين في هذه الكتابات نزعة تأييد الوجود اليهودي في فلسطين المحتلة، بالإضافة إلى التحرير على الدول العربية والإسلامية.

● النظرة السطحية للإعلام في مقابل البحث التحليلي للاستشراق لا تقلّ من تأثير الإعلام في النفوس، ولا تصادر الجهود التي تُبذل في سبيل تحقيق هذا التأثير. والاستشراق الصحفي يسعى إلى رفع المعلومة الصحفية إلى معلومة استشرافية، فكان الاستشراق الصحفي قد نزل بالاستشراق إلى المعلومة السريعة، ورفع من الإعلام بالمعلومة الاستشرافية، فصار الشغاف الإعلامي من سمات الاستشراق الجديد أو المتجدد. وهذه السمة هنا في هبوط استشرافي وسمو صحافي. ولا يرضي المستشرقون بما دون ذلك، ويرضى الصحفيون بما دون ذلك، بل إنَّ المستشرقين الأكاديميين يشتكون من هذه الظاهرة التي أصبحت تهدِّد مكانتهم العلمية وقيمتهم الاجتماعية، رغم أنَّ بعضهم هم الذين أسهموا بشكل أو بآخر في تكوين هذه الظاهرة وتأهيلها.^(٢)

● يقول المفكِّر المغربي حسن عُوزي عن المستشرقين

(١) انظر: محمد رضوان. القدس الشريف في الاستشراق اليهودي. - مرجع سابق. - ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٢) انظر: ظاهرة «الاستشراق الصحفي». - ص ٤١ - ٤٦. - في: حسن عُوزي. الغرب وسياسة التحرير من الإسلام. - مكتاب: ألوان مغاربية، ٢٠٠٢م. - ٦٩ ص. - (سلسلة اختارت لك؛ ١٠).

الصحفيين: «ولقد أخذ كثيرون من المستشرقين الصحفيين يعزّزون مواقفهم الثقافية بالاضطلاع بدراسات ميدانية في بعض الدول الإسلامية، وهي دراسات تكون مقترحةً وممولة من طرف مراكز البحث حول مجتمعات العالم الإسلامي بالجامعات الغربية، التي تعمل على تكوين خبراء مناطق لا يتمّ ابتعانهم إلى المنطقة العربية المحددة إلا بعد أن يلقنوا ويشحذوا بكلّ هائل من الأفكار المسبقة والمقولات الخاطئة في حقّ الإسلام والمسلمين. وكثيراً ما يُرسل المستشرق الصحفي إلى بلد إسلامي غريب عليه دون أيٍّ إعداد أو خبرة تؤهله للمهمة المنطة به، بل يكون المؤهّل الوحيد في براعته في التقاط الأشياء والأحداث بسرعة». (١)

• وقبله يقول المستشرق الفرنسي أوليفيه كاريه في هذا الصدد: «في الولايات المتحدة ثمة صلة بين الجامعات والسي. آي. أي. وهناك مؤسسات تموّل وتقديم القروض والتسهيلات. مثل هذا الأمر يزعجني كثيراً. في فرنسا ثمة محاولات للاحتجاز بالنموذج الأميركي السيئ. أي تسهيلات عمل ورحلات لمناطق الدراسة لقاء إعداد دراسات أو معلومات». (٢)

• وفي حال التطهير العرقي في البوسنة والهرسك ينبع بعض

(١) انظر: ظاهرة «الاستشراق الصحفي». - ص ٤٦ - ٤١. - والنصل من ص ٤٥ - ٤٦. - في: حسن عزّوزي. الغرب وسياسة التخويف من الإسلام. - المرجع السابق. - ٦٩ ص.

(٢) انظر: جواد العطية/ محاور. أوليفيه كاريه: للاستشراق إيجابيات ومزايا ولكن...!.. - الاستشراق. - مرجع سابق. - ص ٢٩٨ - ١٩٥. - (سلسلة كتب الثقافة المقارنة؛ ٥، ١٩٩١ م).

المستشرقين الصرب ليسوّغوا لهذه الحملة، ويهونوا ما حصل على المسلمين في البوسنة والهرسك، كما هو الحال لدى المستشرق الصربي ميرلوب يفتيش، الذي يُعدُّ أهم الاتهامات لحقوق الإنسان في العالم إنما تحدث في البلاد الإسلامية. وبهذا أضحت دور المستشرقين الصرب المسييّسين «أكبر بكثير من عددهم الصغير؛ لأنَّ وسائل الإعلام المؤثّر كانت تقدّمهم للرأي العامُ الصربي باعتبارهم «خبراء» صِرْباً في شؤون الإسلام والمسلمين، ولذلك فإنَّ القراء/ المشاهدين كانوا يأخذون على محمل الجدّ ما يتلقّونه من آرائهم حول جيرانهم المسلمين». ^(١)

● ومن ذلك ترويج أنَّ المسلمين - في حال البلقان وغيرها وفي حال زعيم البوسنة والهرسك علي عزَّت بيفتيش ١٣٤٤ - ١٤٢٤هـ / ١٩٢٥ - ٢٠٠٣م) - لا ي يريدون السلام ولا يمكن أن يقبلوا به؛ لأنهم بقبولهم السلام يخرجون من الإسلام! كما يدّعي ميرلوب يفتيش. وتذهب نادا تودوروف إلى أنَّ المسلمين يألفون العنف بقراءتهم لـ «ألف ليلة وليلة» خلال مراهقتهم، على اعتبار أنَّ كلَّ المسلمين - على رأيها - يقرأون ألف ليلة وليلة، وعلى اعتبار أنَّ هذا العمل يعلّم العنف! ^(٢)

(١) انظر: نورمان تسيغر. دور المستشرقين الصرب في تبرير إفشاء المسلمين في البلقان. - ساريفو، ٢٠٠٠م. - نقلًا عن: محمد الأرناؤوط. تسييس الاستشراق: حالة البلقان (نورمان تسيغر). - الاجتهد. - ع ٥١/٥٠ (ربيع وصيف ٢٠٠١م/١٤٢٢م). - ص ٢٩٥ - ٣٠١.

(٢) انظر: نورمان تسيغر. دور المستشرقين الصرب في تبرير إفشاء المسلمين في البلقان. - المرجع السابق. - ص ٢٩٥ - ٣٠١.

● ولذلك «فإنه ليس بغرير أن يكون هناك اتصال لتصورات المدرسة الاستشرافية الجديدة بالسياسة الغربية المعاصرة تجاه العرب والمسلمين. هذا الاتصال الذي هو بمثابة الترابط بين المعرفة والسلطة يتمثل في العلاقة الحميمة بين التّخب السياسي الحاكم في الغرب مع ما يُسمى بـ«مراكز البحث»، أو كما يُطلق عليه بالإنجليزية (Think Tanks).^(١) بينما يرى المستشرق الصربي الآخر دوراكوفيتش أنَّ الاستشراق الأوروبي إنما يهدف إلى تشريق الشرق للسيطرة عليه، وهو كذلك يلمح إلى أنَّ دراسة الإسلام إنما هي دراسة لثقافة بلقانية، أو بوسنية، ولذلك لا يريد أنَّ تصنَّف هذه الدراسات على أنها دراسات استشرافية.^(٢)

● مع هذا يبقى رهطٌ من المستشرقين عازفين عن هذا الأسلوب في طرح القضايا، وتظلُّ رؤاهم ثابتةً لا تؤثر بها الأحداث السياسية المتتالية، ما أوجد «تيارًا» من المستشرقين المتهجِّجين على المستشرقين من أولئك الذين يزعمون أنهم على معرفة بالإسلام أو بالعرب.^(٣) حتى أولئك المستشرقين الذين خدموا الاحتلال

(١) انظر: عبدالله يوسف سهر محمد. مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين. - مرجع سابق. - ص ٤٠.

(٢) انظر: محمد م. الأرناؤوط. المفهوم الآخر للاستشراق: نموذج يوغوسلافيا. - الاجتهد. - ع ٥٠ / ٥٠ (ربيع وصيف ٢٠٠١ م / ١٤٢٢ م). - ص ٢٣٨ - ٢٥٥.

(٣) انظر: سمير قصیر. تعليق/ ترجمة محمد صبح. - ص ١٠٧ - ١١٣. - في: يوسف كرياج ومنفرد كروب، مشرفان. تأملات في الشرق. - مرجع سابق. - ١٤٠ ص.

فإنه ينظر إلى بعضهم أنهم خدموا الإسلام أكثر من خدمتهم للاحتلال، فقد «كانوا علماء وفوا للبحث العلمي حقه ربما أكثر مما وفوا لخدمتهم للاستعمار. وانتهى الجانب السلبي من عملهم وبقي ما يمكن أن نسميه الجانب الإيجابي». ^(١)

● من هذا القبيل تأتي الطعون على الإسلام بآثار إيجابية على المتكلّمين غير المسلمين، إذ يعمد بعض المتابعين لهذه الطعون للتحقق منها من خلال البحث في مدى صحة هذه الطعون. وهذا خالد شلدرريك الذي كان من مريدي الاستشراق لكنه أسلم وترك الاستشراق. وجاء إسلامه لا من خلال القراءات عن الإسلام من مصادره، ولكن من خلال كتابات الطاعنين فيه، حيث تمتلك الكتب الاستشرافية المؤلفة عن الإسلام - على حد قوله - «بالتحامل والمطاعن والعرض الظالم والزعم أنَّ الإسلام ليس ديناً مستقلاً، ولكنه أقوالٌ محرّفة عن كتب المسيحيين»، كما ينقل عنه عبدالله العليان. ^(٢) وقد مرَّ القول بأنَّ هذا الزعم نفسه حول نشأة الإسلام يراه اليهود.

(١) انظر: عبد الكريم غلاب. العرض التمهيدي. - ص ١٧ - ٣٦. - والنُّصُ من ص ٣٦. - في: المغرب في الدراسات الاستشرافية. - مرجع سابق. - ٢٢٩ ص.

(٢) انظر: عبدالله العليان. الإسلام والغرب: ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١. - بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م. - ص ٧١.



الفصل الرابع

الاستشراق ووسائل صناعة الكراهية

• ليس من السهل حصر الوسائل التي يمكن عدُّها مؤثرة في صناعة الكراهية بين الشرق والغرب. ويمكن أن تقسم «القائمة» إلى وسائل قديمة وأخرى حديثة أو معاصرة. كانت إسهامات المستشرقين الأوائل في هذا المجال قد بدأت في الطعون المباشرة وإثارة الشبهات في الثقافة الإسلامية، حيث شكك الاستشراق في الإسلام، ومن ثم شكك في القرآن الكريم على أنه كتاب متزل من الله تعالى على عبده ورسوله محمد بن عبدالله عليهما السلام، وأنه من تأليف محمد بن عبد الله (جورج سيل ١٦٩٧ - ١٧٣٦ م نموذجاً)،^(١) ومن ثم التشكيك في سنة المصطفى عليه السلام وسيرته، والتشكيك في الشريعة الإسلامية، وأنها مستمدّة من القانون اليوناني أو الإغريقي،^(٢) ثم لمز

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. المنهج الاستشرافي في دراسة القرآن الكريم وترجمة معانيه. - بحث مقدم إلى مجلة الجمعية السعودية للدراسات القرآنية (بيان). - ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م. - ١٢٢ ص.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. موقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية بين الاستمداد والتأصيل. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م. - ٨٧ ص.

الصحابة والتابعين والتاريخ الإسلامي والفتح الإسلامية، والقائمة تطول.

- يقول حاتم الطحاوي في عرضه لكتاب محمد خليفة حسن: آثار الفكر الاستشرافي في المجتمعات الإسلامية: «آثار الاستشراق الشكوك في العقيدة، عبر نظرته للقرآن الكريم والحديث النبوى ومصادر العقيدة الإسلامية على أنها خاصة للنقد العقلى وحضر المسلمين على ضرورة إخضاع تلك المصادر للرؤى النقدية العقلية، وتالياً التخفيف من قدسيتها لدى المسلمين، والحضر على تركها واستبدال القوانين الوضعية البشرية بها». ^(١)
- إلا أنَّ صناعة هذه الطعون وال شبئهات قد خدمت مرحلةً من مراحل العلاقة بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، ولم تُعد مما يسوق اليوم، فلجا المستشركون إلى بناء شبئهات جديدة بمنهجية خاصة في صناعة الشبهات وبنائها؛ لأنَّ المستشرقين أنفسهم قد وقفوا من الشبهات التقليدية موقف الناقد الفاحص، ^(٢) الذي تبيَّن له أنَّ الزمان قد تجاوز الطعون وال شبئهات المباشرة، لاسيما مع التفات الباحثين المسلمين لنقد الاستشراق، ونشوء جدل بين الباحثين العرب والمسلمين

(١) انظر: حاتم الطحاوي. الفكر الاستشرافي في المجتمعات الإسلامية (محمد خليفة حسن). - الاجتهد. - مرجع سابق. - ص ٣٢١ - ٣٣٥ . - والنصل من ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٢) انظر: محمد خليفة حسن. أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر. - مرجع سابق. - ص ٣٨٦ - ٣٨٨ .

أنفسهم حول الموقف من الاستشراق، ومدى خدمته للثقافة الإسلامية، ومن ثم التصدّي لهذه الأنواع من الطعون وال شبّهات والردود عليها من قبل الباحثين المسلمين، وعزوها إلى الأغراض التي قامت من أجله، ومن بينها الأغراض السياسية.

الخوف من الإسلام

- ثم تأتي المرحلة المعاصرة التي توهّمت أن الإسلام يمثل خطراً يهدّد الوجود الغربي بثقافته التي ابني عليها، رغم تبنيّ المنهج العلماني في الممارسات السياسية ظاهراً. ونحوَّت الغرب مصطلح «الإسلام - فوبيا»، أو الإسلاموفوبيا Islamophobia، لاسيما بعد انطفاء تأثير المعسكر الشرقي، وخفوت الحرب الباردة ولو إلى حين، والبحث عن عدوٍ جديد يوحّد الغرب ويتحالف في التصدّي له.^(١)
- يقول محمد علي الخالدي إن الإسلاموفوبيا «مصطلح أكثر شيوعاً من الاستشراقية». «الإسلاموفوبيا»، وقد عُرِّب مصطلح الإسلاموفوبيا إلى «التخويف من الإسلام والمسلمين»، الذي يُعرّف بأنه «الفزع من الإسلام أو كرهه، والخوف من المسلمين أو كرههم»، ويعتقد كثير من الخبراء أن هذا المصطلح غير

(١) انظر: مصطفى الدباغ. الإسلام فوبيا: ISLAMOPHOBIA: عقدة الخوف من الإسلام. - ط. ٢. - عُمان: دار الفرقان، ٢٠٠١م/١٤٢٢هـ. - ١٤٩ ص. - وانظر، أيضًا: ألان جريش. الإسلام فوبيا/ ترجمة وتعليق إدريس هاني. - الكلمة. - مج ١٠ ع ٤٠ (صيف ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ). - ص ١٠٤ - ١٢٠.

دقيق، ولا يُعَبِّر بصدق عن أنواع التمييز ضد المسلمين. ووضعه الأوروبيون على غرار مصطلح «اللاسامية» وهي ظاهره تمييزية أوروبية تختلف تماماً، في أجواء انشاقها، عن نوعية العلاقة بين الإسلام والغرب.

● وعرَّب بعض الباحثين الإسلاموفobia اختصاراً بـ «رهاب الإسلام»، ضمن ما يعتقد أنها سياسة حكومية تستهدف إقناع المجتمع الغربي بوجود تنافض صارخ مع الإسلام، حسب مقوله أنَّ الإسلام هو الخطر الجديد القادم نحو البلدان الغربية من الشرق، بعد سقوط المعسكر الاشتراكي، كما عبرَ عن ذلك الأمين العام السابق للحلف الأطلسي في بداية التسعينيات.^(١)

● لقد تحولَ هذا الخوف من الإسلام والمسلمين إلى مرض، بحيث يشمل هذا الهاجس كلَّ من يدين بالإسلام وعلى مختلف المستويات الاجتماعية. وهو مرضٌ غير مبرَّر.^(٢) وكانت من نتائجه التضييق على الجاليات المسلمة، وتطاول بعض الغربيين على الإسلام وعلى القرآن الكريم، فشبَّهه مذيع قناة فوكس بيل أورايلي بكتاب كفاحي لهتلر،^(٣) رغم أنَّ الرئيس الأمريكي الأسبق جورج دبليو بوش من قراء هذا الكتاب.

(١) انظر: محمد علي الخالدي. إنسان بأصوات متعددة. - مرجع سابق.

(٢) انظر: سعيد اللاؤندي. الإسلاموفobia: لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟ - مرجع سابق. ٣١٨ - ٣١٩ ص.

(٣) انظر: صالح بن عبدالرحمن الحصين. التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب. - الرياض: مؤسسة الوقف الإسلامي، ١٤٢٩ هـ. - ص ١١.

- وظهر التغافل من الإسلام بصفته يشكل خطراً على الوجود البشري في بعض المؤسسات الدينية المسيحية المتضيئنة، وعلى لسان قياداتها المعروفة على الساحة الغربية، من أمثل: بيلى جراهام وابنه فرانكلين جراهام وجيري فايتز وجيري فالويل وبات روبرتسون.^(١) ثمَّ تبعهم القس تيري جونز الذي أراد أنْ يُحرق المصحف سنة ٢٠١٠م، فأسمهم يأحرقه إياه في نشره دون أنْ يشعر.
- الخوف من الإسلام ليس ولد القرن الحادي والعشرين، وليس ولد أحداث يوم الثلاثاء ٦/٢٢/١٤٢٢هـ الموافق الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م كما يبدو لأول وهلة، بل يكاد هذا الهاجس يسيطر على المجتمع الغربي بخاصة، والمجتمعات غير الإسلامية بعامة منذ بعثة محمد بن عبد الله صلوات الله عليه، ولذا نشأت الأديبيات التي تسعى إلى تبنيه القوم من خطر الإسلام، وقادت الحروب والمناورات والحوارات العنيفة والأقوال الصادمة، بدلاً من الحوارات المباشرة القائمة على الحجاج والجدال والتي هي أحسن.

- لا يتسع المجال لتصييد هذه الأقوال والأفعال الصادمة التي جاءت على ألسنة السياسيين والمستعمرين والمنصرين والمستشارين وغيرهم، وتناقلتها بعض الإسهامات العربية والإسلامية التي كان

(١) انظر: أكبر أحمد. الإسلام تحت الحصار. - مرجع سابق. - ص ٦٧.

لها، دون قصد مباشر منها، أثر في زيادة الفجوة بين الثقافات، ومن بحث وجده.^(١)

● يظلُّ الخوف من الإسلام وهماً من الأوهام التي روَّجت لها عناصر رأت أنَّ الإسلام يهدِّد مصالحها الخاصة. وأعان على ترسيخ هذا الوهم حجب المعلومة الصحيحة عن الإسلام، أحياناً من قبل المتممِين إليه، ومن ثُمَّ تقديم معلومات مغلوبة ومشوَّهة عن هذا الدين الشمولي. وهنا يأتي أثر الاستشراف الصحفي الذي يميل إلى السياسة، ودوره في ترويج المعلومة المزيفة الموجلة في التزييف والتضليل،^(٢) عمداً في غالب الأحوال، وفي الوقت نفسه إغفال أثر الحضارة الإسلامية والشرقية في بناء الجذور الحضارية الغربية المهيمنة اليوم،^(٣) انطلاقاً من مكَّة المكرَّمة والمدينة المنورة ودمشق وبغداد والقاهرة وطليطلة وإسبانيا عموماً، وصقلية وجنوب إيطاليا. وجاء ذلك عن طريق النقل والترجمة من اللغة العربية إلى اللغات الأوروبيَّة،^(٤) وتعمَّد تغييب هذا الْبُعد الفعلي في تلاقي

(١) انظر: جودت سعيد. لمَّ هذا الرعب كله من الإسلام، وكيف بدأ؟! . - دمشق: دار الفكر، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م. - ٦٤ ص.

(٢) انظر: ظاهرة «الاستشراف الصحفي». - ص ٤١ - ٤٦ . - في: حسن عزوَّزي. الغرب وسياسة التخريف من الإسلام. - مرجع سابق. - ٦٩ ص.

(٣) انظر: جون إم. هويسون. الجنود الشرقيون للحضارة الغربية/ ترجمة متال قايل. - القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م. - ٤١١ ص.

(٤) انظر: عبد الرحمن بدوي. دور العرب في تكوين الفكر الأوروبيِّي . - مرجع سابق. - ٢٥٦ ص.

الحضارات، وتطويرها وتطويعها للمعطيات الثقافية، ما يعني وضوح أثر الاستشراق في هذا المجال في صناعة الكراهية بين الثقافات.

التصدي للخوف من الإسلام

- تصدّى لهذه النبرة المتتجددة «الخوف من الإسلام»، رهُط من المفكّرين الغربيين وال المسلمين، ونظروا إليها على أنها وهم من جملة الأوهام التي يراد من ورائها استمرار حالة التأزم القائمة بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي،^(١) ومن ثمّ الاستمرار في حالٍ غير مستقرّة، تفيد منها عناصر جعلت من هذه الحالة مجالاً لجلب مصالح ذاتية محدودة النفع محدودة الجغرافيا والزمان، ممتدةً الضرر في الجغرافيا والتاريخ.
- تساعد الظروف والأحداث الآتية في تعزيز هذا الوهم، من خلال مؤشرات عدّة، منها سيطرة المحافظين الجدد على الإدارة الأمريكية، والأحداث المؤسفة التي حصلت يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ الموافق الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، والتي اشتُبه بتنفيذها ثلاثة من الشباب المسلمين. ثمّ ملاحقة من اتهموا بالتخفيظ لهذه الأحداث، وهم - في الظاهر - من المسلمين، وغيرها

(١) انظر: أحمد شاهين. صنّاع الشر. - القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٤م. - ٢٠٨ ص. - (سلسلة أقرأ؛ ٦٩٥).

قبلها، وربما - لا قدر الله - بعدها، في جبال أفغانستان وغيرها، واجتياح العراق بدءاً من يوم الخميس ١٦/١/٢٠١٤هـ الموافق ٢٠٣/٣/٢٠٠٣م، ثم يوم الأربعاء ٦/٢/٢٠١٤هـ الموافق ٩/٤/٢٠٠٣م، بحجّة أنَّ النظام القائم آنذاك يهدّد الاستقرار في المنطقة، أي يهدّد الوجود اليهودي في فلسطين المحتلة، دون إغفال غزو النظام البعشى في العراق للكويت يوم الخميس ١١/١/١٤١١هـ الموافق ٢/٨/١٩٩٠م، وما تبع ذلك من أحداث عصفت بالمجتمع العربي وما تزال تعصف به في صور لم يشهدها التاريخ العربي الحديث، واصطلاح كثieron على تسميتها بالربيع العربي. ولكنه اصطلاح مضطرب، لم يحظ بالاتفاق بين كثيرٍ من المهتمّين، ممن يرون أنه من صنائع أعداء الأمة، لا مباشرة بالضرورة، ولكن بالاستحواذ، الأمر الذي يستدعي مزيداً من الموضوعية في النّظرة، وقليلاً جداً من العاطفة والاندفاع.

صهيونية الاستشراق

- لا يتحمّل الاستشراق المعاصر أو الجديد تأجيج هذا الوضع ابتداءً، إلَّا أنَّه في بعض جوانبه وجدّها فرصةً مواتية لتجديد صناعة الكراهية ضدَّ الإسلام والمسلمين، لاسيَّما بين المستشرقين المتّصهينين (برنارد لويس، نموذجاً)، ويتبعد تلميذه دانييل بايس (١٩٤٩)، ومارتن كريمر (١٩٥٤)، وإنْ لم يكن الآخرين مستشرقين بالمفهوم التقليدي للاستشراق، وإنْ

عَذَّهُمَا فَاضِلُ الرَّبِيعِيُّ مَعَ بِيرْلُ وَدوْغَلَاسْ فَاثُ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ^(١)
الْأَحْتَلَالِيْنَ.

- ويُضاف إلى هؤلاء قائمة غير حصرية من أمثال مورتايمز زُكْرمان وفرجوس بورودريتش وروبرت ستالوف وأموس بيرلموترو والتر جودمان ولسلبي جيليب وديفيد هارتمان وبهوشفات هركابي وستيفن هلمز وروبين رايت،^(٢) الذين يعنفهم هذا التأجيج؛ وذلك للإسهام في ترسيخ وجود وطن قومي لليهود في فلسطين المحتلة، الأمر الذي يمكن أن يُعزى إليه الوضع السياسي والاجتماعي المتأزم بين الشرق الإسلامي والغرب، وهو ما يسعى برنارد لويس إلى التقليل من تأثيره، بما في ذلك وجود هجمات إرهابية يُشتبه بمنفذيها أنهم من المسلمين، حتى وصل الأمر إلى نسبة أي عمل إرهابي للمسلمين من أول وهلة.
- ولعلَّ من آخر استفزازات برنارد لويس حول وجود خطر إسلامي على إسرائيل وأمريكا، قوله في مؤتمر متَّخِرٍ في القدس المحتلة، وقد حضره أكثر من ثلاثة منظمة يهودية: «المسلمون شهدوا انهيار الرايخ الثالث، ثم شهدوا انهيار الاتحاد السوفيaticي، والآن يسعون إلى انهيار الولايات المتحدة».^(٣)

(١) انظر: فاضل الربيعي. ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء. - مرجع سابق. - ص ١٣ .

(٢) خلف الجراد. أبعاد الاستهداف الأميركي. - مرجع سابق. - ص ١٠٦ .

(٣) نقلته عنه صحيفة الشرق الأوسط في عددها ١٠١٣٠ (الاثنين ١٤٢٨/٢/١ الموافق ٢٠٠٧/٢/١٩). - ص ٢٠ .

● ويريد دانييل بايس أن ينكر في عدم استخدام المصطلح «الإرهاب»، والاستعاضة عنه بمصطلح يروج له باسم الإسلام المتشدد Militant Islam.^(١) فمنطق الاستشراق المعاصر أو الجديد، في بعض جوانبه، حول هذه الأحداث المتلاحدة هو تبني مقوله: لم أردها ولم تستثن. هذا على أقل تقدير، وإن فالتأجيج بين المستشرقين السياسيين أو المسيسين هو المحرك لحملة الكراهية ضد العرب والإسلام والمسلمين.

● يقول مايكل كوليتز باير: «يعتبر دانييل بايس من أخبث الشخصيات المعادية للعرب والمسلمين في أمريكا. ويحظى دائمًا بتغطية إعلامية ودية واسعة. وقد كافأ جورج بوش بايس على جهوده في إشاعة الكراهية ضد العرب والمسلمين بتعيينه في المعهد الأمريكي للسلام، وبوجود بايس في ذلك المعهد يجعل من تسمية ذلك المعهد من المفارقات العجيبة في هذا الزمان».^(٢)

● مع هذا لا يدخل هذا البحث في التعرُّض إلى أولئك الرهط من

(١) انظر: جميل مطر. الكراهية الأمريكية للعرب صناعة جديدة. - ص ٢٦٣ - ٢٨٧ . - في: بهجت قرنى، وأخرين. صناعة الكراهية في العلاقات العربية - الأمريكية. - مرجع سابق. - ٤٠٦ ص.

(٢) انظر: مايكل كوليتز باير. كهنة الحرب الكبار: التاريخ السردي لوصول «المحافظين الجدد» التروتسكين إلى السلطة في الولايات المتحدة وتدبيرهم للحرب ضد العراق خطوة أولى في سعيهم نحو تحقيق إمبراطورية عالمية / نقله إلى العربية عبد اللطيف أبو البصل. - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م . - ص ٢٥٣ .

صُناعُ الكراهية من غير المستشرقين، من أمثال دانييل بايس صاحب مشروع مراقبة الجامعات لرصد ما يقال عن اليهودية والصهيونية، وصاحب فصلية الشرق الأوسط، التي يرأس تحريرها زميله في التوجّه مارتن كريمر، المدير السابق لمركز موشي ديان في الجامعة العبرية في تل أبيب، ويحمل جنسية مزدوجة،^(١) وآخرين من مثل مايكل كوك وباتريشيا كرون، وغيرهم ممَّن شاعت نظرِيَّاتهم في مجال صُناعُ الكراهية؛ إذ إنَّ التركيز هنا ينصبُ على أثر الاستشراق في وجه من وجده على صُناعُ الكراهية بين الثقافات.

وَوَجْهُ ذِكْرِ هذِهِ الشَّخْصيَّاتِ غَيْرِ الْمُسْتَشْرِقَةِ فِي هَذَا السِّيَاقِ أَنَّهُمْ تَلَمِيذُ لِلْمُسْتَشْرِقِ الْمُتَصَهِّينِ «التاريخياني سابقًا، المحلل السياسي في شؤون الشرق الأوسط لاحقًا» برنارد لويس، وأنَّهُمْ مع آخرين يجسِّدونُ الكراهية للعرب والمسلمين، ويرُوّجون في الوقت نفسه لأسطورة كراهية العرب والمسلمين للغرب ولأنظمة الغرب وحرياته وديمقراطيته، ويمرونها على الشعوب الغربية،^(٢) مبتدعين مفهومات التفريق بين الثقافات من خلال إقحام مصطلحات ذات مفهومات إنجيلية،

(١) انظر: عبدالله بن فهد النفيسي. هل يشكّل الإسلام خطراً على الغرب؟ / تحرير ساجد العبدلي المطيري. - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣ م. - ص ٥٢.

(٢) انظر: جميل مطر. الكراهية الأمريكية للعرب صناعة جديدة. - ص ٢٦٣ - ٢٨٧ . - في: بهجت قوني، وآخرين. صناعة الكراهية في العلاقات العربية - الأمريكية. - مرجع سابق. - ٤٠٦ ص.

مثل محور الشرّ، الذي هو تحويل صاغه ديفيد فروم «الكاتب السابق لخطابات الرئيس» عن مفهوم محور الكراهية؛ ليواافق التوجّه الإنجيلي للإدارة القائمة، الذي يأتي على حساب الليبرالية التي كانت تظلّل إدارة البلاد.^(١) وكذلك عبارة «من ليس معنِّي فهو ضديّ» التي تُنسب لوعيسي بن مریم - عليهما السلام.^(٢)

● تُعيد هذه الفتة من تلاميذ المستشرق برنارد لويس كراهة العرب وال المسلمين للغرب إلى التأثير الألماني عليهم، وإعجاب العرب بالفلسفة الألمانية و موقفها من الحضارة الأمريكية، متزوجة الثقافة والروح ذات الهياكل المصطنعة، من أمثال إرنست جانغر (١٨٩٥ - ١٩٩٨) ومارتين هايديغر (١٨٨٩ - ١٩٧٦) وراينر ماريا ريلكه (١٨٧٩ - ١٩٢٦)، الذين يرون أنَّ أمريكا حضارة وليست ثقافة أو حضارة من دون ثقافة ذات هيئات مصطنعة، وأنَّها نتاج عمليات تجميع وتركيب، أي أنها لم تنبُّ نمواً طبيعياً. فتأثُّر العرب بهذا الفكر الألماني المتطرف فصاروا يقلدونه! ويرد جميل مطر على هذا الرعم الصادر عن برنارد لويس بردًّا منطقيًّا

(١) انظر : David Frum. *The man: The Surprise Presidency of George W. Bush.*- New York: Random House, 2003.- p. 272

نقلاً عن بنجامين ر. باربر. إمبراطورية الخوف: الحرب والإرهاب والديمقراطية/ ترجمة عمر الأيوبي. - بيروت: دار الكتاب العربي ، ٢٠٠٥ م. - ص ٢٥ - ٢٦ .

(٢) العبارة الأخيرة مقتبسة من إنجيل متى: الإصحاح ١٢:٣٠ . وعباراتها: «من ليس معنِّي فهو عليٌّ ومن لا يجمع معنِّي فهو يفرق». وسبقت الإشارة إليه.

ذى علاقة بمحدودية إتقان العرب للغة الألمانية على امتداد قرن من الزمان.^(١)

● المؤكّد أنَّ الألمان أتقنوا اللغة العربية وترجموا منها قبل سبعة قرون (١٣١١م)، عندما اشتغل المستشرقون الألمان بالتراث العربي الإسلامي على مستوى الجامعات الألمانية. يقول مصطفى ماهر: «إذا نظرنا إلى العالم العربي في الفترة نفسها وجدناه خالياً من جهود مناظرة؛ لأسباب قد لا تخفي عنا أحياناً، ولأسباب لا ترضينا في أحياناً أخرى».^(٢)

● هذه الأفكار الصدامية الرامية إلى ترسيخ صناعة الكراهيّة بين الثقافات تُعدُّ عالَةً على المنظَر المستشرق برنارد لويس، الذي يُعدُّ من آخر المستشرقين التقليديين أو الكلاسيكيين المتصرّفين، كما أنه يُعدُّ المنظَر والمراجع الأوَّل لفكرة صدام الحضارات،^(٣) التي اهتبها عنه غيره، وروج لها فراجت،

(١) انظر: جميل مطر. الكراهيّة الأمريكية للعرب صناعة جديدة. - ص ٢٦٣ - ٢٨٧ . - في: بهجت قرني، وأخرين. صناعة الكراهيّة في العلاقات العربية - الأمريكية. - مرجع سابق. - ٤٠٦ ص.

(٢) انظر: مصطفى ماهر. علاقات على طريق الترجمة من الألمانية إلى العربية. - ص ٦٢ - ٧٨ . - والنصُّ من ص ٦٤ . - في: مصطفى ماهر، معدّ. حوار بين الألمان والعرب: سجل الأسبوع الثقافي العربي الألماني الذي أقيم في (توبينغن) عام ١٩٧٤م. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م . - ٣٠٦ ص.

(٣) انظر: حسن عُزُّوزي. الإسلام وتهمة الإرهاب. - ط ٢ . - فاس: المؤلَّف، ٢٠٠٦م . - ص ٦١ - ٦٨ .

وانقاد لها خلقٌ كثيُّرٌ من بعض مفكري الليبرالية من العرب والمسلمين، رغم ما وسمت به من أكثر من كونها مجرَّد أفكار سطحية.^(١) ولا تُنسى جهوده في صهينة الاستشراق الأمريكي، بحيث تحول الفكر الاستشرافي الأمريكي حتى «صار أكثر ارتباطاً بالمشروع الصهيوني وأكثر استعداداً لخدمته».^(٢)

• ويمكن القول بأنَّ هذا المستشرق المخضرم وتلاميذه المتفقين معه في التوجُّه يعُدوُن ركيزةً قويةً من ركائز صناعة الكراهية بين المسلمين والغربيين. ولا يكاد يمرُّ نقاش حول الاستشراق الجديد أو المتجلَّد وسيطرة الصهيونية على مراكز الاستشراق المعاصر إلا ويأتي ذكر برنارد لويس وتلامذته، بحيث يمكن أنْ تجمع هذه الإسهامات في كتاب ضخم يخصُّص لجهود برنارد لويس في تغيير دفَّة الاستشراق السياسي الجديد.^(٣) هذا مع عدم إغفال الجهد الذي قام به الزميل مازن بن صلاح مطَّقاني

(١) انظر: زكي الميلاد. من حوار الحضارات إلى تعارُف الحضارات. - ص ٤٧.

- في: زكي الميلاد، معد. تعارُف الحضارات. - مرجع سابق. - ٢٢٦ ص.

(٢) انظر: محمد الكوش. الثابت والمحول في الخطاب الاستشرافي بعد أحداث ١١ شتّير. - ص ٥٣ - ٧٢. - في: مصطفى سلوي. الخطاب الاستشرافي في أفق العولمة: يوم دراسي. - مرجع سابق. - ١٦٦ ص.

(٣) انظر: جلال أمين. برنارد لويس أو دليل الرجل الذكي إلى التشهير بالمسلمين. - الميثاق. - ع ١٣ (١٨٢٠٠٣). - ونشرها في كتابه: عصر التشهير بالعرب والمسلمين: نحن والعالم بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١. - القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م. - ص ٧٢ - ٨٧. - وأفاد خلف الجراد من جلال أمين في هذا في الفصل الثاني: الاستشراق وصناعة الكراهية من كتابه: أبعاد الاستهداف الأمريكي. - مرجع سابق. - ص ٦٧ - ١١٤.

الذي درس المستشرق برنارد لويس دراسة مستفيضة، وجعله موضوع أطروحته لنيل درجة الدكتوراه في الاستشراق.^(١) كما هي أطروحة سامي أحمد الزهو من جامعة الموصل (١٤٣١هـ/٢٠١١م) بعنوان: اتجاهات الاستشراق الاميركي والتاريخ الاسلامي: برنارد لويس أنموذجاً.^(٢) وغيرهما من البحوث العلمية الرصينة.

الاستشراق والإنترنت

• وظهرت فئة من التلاميذ الغربيين للمستشرقين من صنّاع الكراهية بين الثقافات، اتّسمت باستخدام تقنية الاتّصال، كالإنترنت والفضائيات ووسائل الاتّصال الاجتماعي، وسائل للتواصل مع الآخرين. وهي فئة تحتاج إلى وقفة تقويمية، من حيث عمق الطرح؛ نظراً للفئة المخدومة في هذا النوع من الاتّصال السريع. مستشرقون الإنترت والفضائيات والتواصل الاجتماعي هم من المستشرقين المعاصرین، إنْ صحَّ أنْ يُدعوا بالمستشرقين، وستكون لهم سمات قد تسهم في النظرة السطحية المغولمة للقضايا التي كان المستشرقون التقليديون يطرقوها بعمق وباحث

(١) مازن بن صلاح مطّباني. الاستشراق والاتّجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس. - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. ٦٤ ص.

(٢) انظر: سامي أحمد الزهو. اتجاهات الاستشراق الاميركي والتاريخ الاسلامي: برنارد لويس أنموذجاً. - الموصل: كلية التربية، جامعة الموصل، ١٤٣١هـ/٢٠١١م، (رسالة علمية، دكتوراه).

وعناء. فلم يُعد الاستشراق المعاصر «حكرًا على المستشرقين والسياسيين الأكاديميين المتخصصين في موضوعي الشرق والإسلام، بل صار حتى العادة من أفراد الشعب الغربي يخوضون بجدية في مسائل استشرافية ويطلقون أحکامًا فيها عدائية نابية ضدّ الإسلام والمسلمين». ^(١)

- وظهرت لذلك موقع وفضائيات وحسابات تُطرح فيها هذه الإساءات، جمعت بين الاستشراق السياسي المعاصر والتنصير، حيث تزداد القنوات الفضائية العربية التنصيرية الصريحة، مع تكاثر القنوات غير الصريحة، وتأخذ منحى الهجوم على الإسلام والقرآن الكريم ورسول الله ﷺ هجومًا مباشرًا ومقدّعًا، مثل قناة الحياة وقناة الشفاء وغيرهما من القنوات بلغات مختلفة. ^(٢)
- لا تقلُّ هذه الوسيلة فيما يقال وينشر «خطورةً» عن الأفكار الاستشرافية التي كانت ولا زالت تتسرّب عبر الوسائل التقليدية. كما يلاحظ أنَّ هذه الأفكار بعيدة كلَّ البعد عن روح الجدّ وال الموضوعية في التعامل مع الآخر ومحاولة معرفته. فهي في الحقيقة لا تعدو أنْ تكون مجرَّد أحكام جاهزة وكليشيهات

(١) انظر: محمد الكوش. الثابت والمحول في الخطاب الاستشرافي بعد أحداث ١١ سبتمبر. - ص ٥٣ - ٧٢ . - والنصل من ص ٦٦ . - في: مصطفى سلوى. الخطاب الاستشرافي في أفق العولمة: يوم دراسي. - مرجع سابق. - ١٦٦ ص.

(٢) انظر: تركي بن خالد الظفير. الفضائيات العربية التنصيرية: أهدافها - وسائلها - سبل مقاومتها. - الرياض: مجلة البيان، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م . - ٤١٤ ص.

إيديولوجية مليئة بالحقد والكراءة والاحتقار تجاه الإسلام وأهله». (١)

تأليف القلوب

● ومع هذا فليس الغرب، لاسيما الغرب الأقصى منه في ضوء التقسيم السابق للغرب، كله برنارد لويس وتلاميذه، فهناك آخرون يدخلون في ساحة الإنصاف المصحوب بالإعجاب بالشرق وثقافته من أمثال واسنجلتون إرفنج (١٧٨٣ - ١٨٥٩م) ورالف والدو إمرسون (١٨٠٣ - ١٨٨٢م)، ومن حذا حذوهما ممن سعوا إلى استبعاد التأثير السياسي عن دراستهم الاستشرافية. (٢) وأمثالهم الآن موجودون ممن يسعون بدراساتهم إلى التقارب بين الثقافات، وتأليف القلوب بينها.

● يرى الباحث علال سيناصر أنَّ للمستشرقين أثراً واضحَاً في تأليف القلوب، فالدور الذي يقوم به المستشرقون في مجال البحث العلمي المتخصص ينبغي الوقوف عنده وكشفه، لأنَّ هو الذي يهتمُ حرفياً (من الحرفة) بالعالم العربي. ويمثل

(١) انظر: محمد الكوش. الثابت والمتحول في الخطاب الاستشرافي بعد أحداث ١١ شتنبر. - ص ٥٣ - ٧٢. - والنصل من ص ٦٨. - في: مصطفى سلوى. الخطاب الاستشرافي في أفق العولمة: يوم دراسي. مرجع سابق. - ١٦٦ ص.

(٢) انظر: كوامن الرغبة في تأثيث الشرق. - ص ٨٥ - ١٠٨. - في: محمد الدعمي. الاستشراف: الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي. - مرجع سابق. - ص ١٣٩ - ١٧٨.

المستشركون معرفة جيّدةً بدقائق الثقافة العربية. ويجب ألا ننسى أننا إذا أردنا أن نستفيد من الدول الأوروبية فلن نجد غير المستشرقين؛ لأنَّهم بما يملكون يمكن أنْ نقوم معهم بعمل يكون من شأنه «التأليف بين القلوب». ^(١)

(١) انظر: سيد اللاوندي. الإسلاموفobia: لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟ . - مرجع سابق. - ص ٢٨٢.



الخاتمة

الخلاصة والنتيجة

- يمكن أن تُختتم الفصول الأربع السابقة في النظر إلى الاستشراق السياسي في بعض وجوهه وفئاته المختلفة دون تعميم على المفهوم كله، على أنه يُعدُّ - في جانب من جوانبه وليس في جوانبه كلها - أحد العوامل التي ساعدت على صناعة الكراهية بين الثقافات، بخلاصة ونتيجة من خلال النقاط الآتية:
 - للاستشراق أثرٌ بارزٌ في تحديد العلاقة ثقافياً بين الشرق والغرب على المستويين الماضي والحاضر، وربما المستقبل، إذ سيقى مفهوم الاستشراق فاعلاً وإن اختللت أدواته وفئاته ومدارسه. ويمتد هذا الأثر في الأبعاد السياسية والإعلامية. ويسمهم بطريق مباشر أو غير مباشر في رسم إستراتيجيات هذه العلاقة.
 - لم يكن أثر الاستشراق في هذه العلاقة كله سلبياً، بل كانت له آثاره الإيجابية في تقديم الثقافة الإسلامية في ماضيها البنياني والتراثي وحاضرها المتنامي، والإفادة من معطياتها العلمية والفكرية على مرّ الزمن. وكان هناك ولا يزال مستشرقون مخلصون لهذا التوجُّه، لم تستهِفهم تلك التقلبات التي تعصف

بالعلاقة بين الثقافات. وبذا لا يسُوغ التعميم في الحكم على الاستشراق سلباً أو إيجاباً.

- تتفاوت مواقف المستشرقين من الثقافة الإسلامية بحسب فئات المستشرقين ومدارسهم وأطوارهم ومدى علاقتهم بلدانهم بالمنطقة العربية والبلاد الإسلامية من خلال حقبة الاحتلال، إذ كان لبعض المستشرقين المسيسين من الدول المحتلة أثرٌ في مسيرة الاحتلال.
- مع هذا عمل الاستشراق السياسي خصوصاً وفي بعض جوانبه عموماً، على تعميق صناعة الكراهية بين الثقافة الإسلامية بخاصة وغيرها من الثقافات بعامة، لاسيما الثقافة الغربية، من خلال عمله في بعض جوانبه، على تشويه الثقافة الإسلامية في مصادرها وتراثها، وأوضاع المسلمين المعاصرة.
- كانت لبعض المستشرقين جهود في مجال دعم الحملات التنصيرية في المجتمعات المسلمة ظهر مستشرقون منصرون، وأمدّ هذا النوع من الاستشراق التنصير بالملوحة عن المجتمعات المستهدفة بالتنصير، واستعانت السياسة بالتنصير كما استعان التنصير بالاستشراق. وساعد ذلك كله على تعميق الفجوة بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية، ومن ثم ساعد على صناعة الكراهية بين الثقافات.
- مال بعض المستشرقين المتأخرین من المسيسين إلى الطرح الإعلامي والصحفي وخاصة، وأكثروا من الظهور على المواقع

الإلكترونية والقنوات الفضائية، وطلبت آراؤهم «العلمية» في تحليل بعض المواقف التي تزيد من الفجوة بين الثقافات، فكان قولهم مقبولاً وممثلاً، لما يمثلونه من خبرة مزعومة نادرة. بينما عزف مستشركون آخرون غير مسيسين عن هذا النوع من تسليط القضايا، ورفضوا الإدلة بأرائهم على العامة، وفضلوا الإفصاح عنها في الصرح العلمية وبين النخب من المفكرين وصناع القرار.

● تفاوتت مواقف المسلمين والعرب من هذا الجانب من جوانب الاستشراق في طرفين متناقضين في أغلب هذه المواقف، كلاهما غير منصف لجهود المستشرقين الحسنة منها أو السيئة. ويقي ثلثة من المفكرين العرب والمسلمين متوازين في حكمهم على الاستشراق، من منطلق أنه كلما تعمق الباحث في دراسة الاستشراق كان أقرب إلى الحكم الصواب. وأحسب أن هذه الفئة من المفكرين توخت العدل في ذلك الحكم فكانت أقرب من غيرها إليه.

● الباحثون عن المزيد من صناعة الكراهة بين الثقافات سيجدون مسوّغات كثيرة وأحداثاً متالية تؤيد هذا التوجّه في الافتراق من منطلق مقوله الشاعر روبيارد كيلنج (١٨٦٥ - ١٩٣٦م): «الشرق شرق والغرب غرب ولا يلتقيان أبداً»،^(١) وتكمّله هذه

(١) انظر: حسن الأمراني. أيها الغرب أين مشرقك؟. - ص ١١٦ . - في: مصطفى سلوى. الخطاب الاستشراقي في أفق العولمة: يوم دراسي . - مرجع سابق. - ١٦٦ ص.

القطعة: «حتى تقف الأرض والسماء حاضرين أمام عدالة الله الكبرى فوق العرش (حيث) ليس هناك شرق ولا غرب ولا حدود ولا اختلاف بين الجنس والمولد، حيث يقف اثنان من الرجال الأشداء وجهاً لوجه، وإن أقبلَا من أواخر الأرض». ^(١)

● لا تقرُّ هذه الوقفاتُ هذا المنهج في التباعد والتباُغض، ولا تراه منهجاً سوياً يسهم في عمارة الأرض والاستخلاف فيها. والباحثون عما يطفع هذه الكراهة يميلون إلى الالتقاء والتعارف والتحالف والتنافُس، وجميع صيغ التفاعل الإيجابية دون التنازل عن الثوابت والخصوصيات الثقافية، ^(٢) سيجدون ضالتهم في الوحي المتنَّزِل من القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة، ثمَّ في آثار العلماء والمفكّرين من الشرق والغرب، من منطلق مقوله الشاعر الألماني جوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢م): «إنَّ الشرق والغرب لله وليس لهما أنْ يفترقا بعد الآن». ^(٣) وهذا هو المنهج الذي تتبنَّاه هذه الوقفات.

● إذا كان هناك من توصية فإنَّها تتركَّز في تكثيف قنوات الحوار مع المستشرقين عموماً من خلال وجود المزيد من مراكز بحوث

(١) انظر: أكبر أحمد. الإسلام تحت الحصار. - مرجع سابق. - ص ١٠٢ .

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستثناء الثقافي في مواجهة العولمة: ثنائية الخصوصية والعولمة. - مرجع سابق. - ٥٠ ص.

(٣) انظر: حسن الأمرياني. أيُّها الغرب أين مشرقك؟. - ص ١١٦ . - ص ١١٦ . - في: مصطفى سلوى. الخطاب الاستشرافي في أفق العولمة: يوم دراسي . - المرجع السابق. - ١٦٦ ص.

ودراسات للاستشراق في الاصروح العلمية القائمة، والاصروح العلمية المستقلة بذاتها، وتالياً تكشف عقد الندوات والمؤتمرات والحلقات التي يشترك بها المستشركون أنفسهم؛ دون التركيز على التفيفية بين المستشرقين، ودون التركيز على المستشرقين المسيسين فقط؛ وذلك لتفعيل الحوار بين الثقافات والسعى إلى تقلص الفجوة المفعولة فيما بينها، ومن ثم العمل من خلال هذه المراكز وغيرها على التواصل مع المراكز الاستشرافية الأخرى في العالم شرقه وغربه.

● سيؤدي هذا الأسلوب العملي إلى المزيد من التعرف على المسهمين في صناعة الكراهية من المستشرقين المسيسين، ومن ثم إيجاد قنوات الاتصال معهم، كما سيؤدي إلى إيجاد قنوات الاتصال مع غيرهم من المعتدلين والمنصفين؛ لبيان الحق وتجسيم الفجوة الثقافية، والخروج إلى تقلص صناعة الكراهية بين الثقافات، من قبل هذه الفتنة من الباحثين الدائمين في الشأن العربي والإسلامي.

● ومن ثم يؤدي هذا التوجه - بتعبير آخر - إلى الحد من حرب الثقافات وصناعة الكراهية بينها من جهة وداخل الثقافة الواحدة من جهة أخرى، وسيؤدي كذلك إلى بروز ظاهرة تحالف الثقافات التي دعت إليها إسبانيا من خلال الخطاب الذي ألقاه رئيس وزرائها خوسي لويس ساباتيرو أمام دورة الجمعية العامة التاسعة والخمسين للأمم المتحدة يوم الثلاثاء ٦/٨/١٤٢٥ هـ



الموافق ٢٠٠٤/٩/٢١م، ثم شاركتها فيما بعد تركيا وأيدها الاتحاد الأوروبي والجامعة العربية.^(١)

- الحد من حرب الثقافات وتغلب التحالف الثقافي في وجه عوامل التفرقة سينتتج عنه - بحول الله تعالى - استقرار اجتماعي داخلي، وهو ما سينتتج عنه استقرار في مناخ آخر؛ سياسية واقتصادية داخلية؛ ذلك أن الاستقرار الاجتماعي سيقوم على التقارب بين المواطنين ومن يحكمونهم، ما يرسّخ مفهوم الحكم الشوري أو الديموقراطي، ويقلص من شعور الحاكم أنه مستهدف من المواطن، الذي قد يشعر أنه مستهدف من معارضة هزيلة ضعيفة أُلْبِسَت لباس التطرف، وربما حصلت على تأييد خارجي متعدد غير مرئي وغير معلن، فاستُخدم أدوات لزعزعة الاستقرار.
- في المقابل يُشعر المواطن أنه مستهدف من الحاكم، ذلك الشعور الذي يترك أثراً مشتركاً باللاحقة، ويعطي الانطباع أنَّ الحاكم في البلاد النامية - ومنها العالم العربي والإسلامي - إنما يطبق إملاءات قسرية تقوم على التهديد من الخارج بزعزعة الكيان، أو بعدم السكوت عن التجاوزات والآخطاء التي قد تكون مفتعلة أو ناتجة عن تقصير غير مقصود في غالب الأحوال.

(١) انظر: عبد الرزاق الدُّواي. في: أخلاقيات الحوار بين الثقافات حول مبدأ التسامح وحق الاعتراف. - التسامح. - ع ١٥ (صيف ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). - ٣١٠ - ٢٦٨.

● إنّما يأتي هذا الاستقرار من المواطن في الداخل، لا من يُظنُّ أنه قوّة عدوّة لا تُرى بالعين المجرّدة، تملي على الحكومات أنّ تقف في وجه المواطن المتّهم بالطرف، ما يزيد «في الانتهازية من جانب قوى إرهابية نشطة تستغلّ هذه الحالة المرعية، فتكون النتيجة وحشاً هلامياً مخيفاً لن تستطيع قوّة على الأرض الإمساك به لترويضه أو للقضاء عليه». (١) وهذا ما يحصل أخيراً في المنطقة العربية.

● لا بدّ أن يُشعر المواطن فيشعرُ أنَّ هذا الحاكم إنّما جاء برغبة وتأييد منه، عن طريق البيعة الشرعية، أو أيّ أسلوب مماثل لهذا النهج في الحكم يقوم على مبدأ المشاركة، وأنَّ الحاكم إنّما يرعى مصلحة بلاده ومواطنيه.

● يعني هذا في البداية والنهاية ترسيخ مفهوم البيعة، والتركيز على مسؤولية المواطن تجاه هذا النهج الذي يرسّخ مفهوم المشاركة في إدارة الشأن العام، ويبعد هاجس التدخلات الخارجية إلى أقصى حدّ ممكن، دون أن يُغفلها تماماً، كما يتغلّب على مشكلة فقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم. هذه المشكلة التي جرى تأجيجهما على مختلف الصُّعد حتى أصبح الحكومي في نظر الشعبي عدواً يتربّص بالشعبي الدوائر، فيتّأجّج هذا الانقسام المفتعل بتبادل الاتهامات بين الحكومي والشعبي.

(١) انظر: جميل مطر. الكراهية الأمريكية للعرب صناعة جديدة. - ص ٢٦٣ - ٢٨٧. - والنصُّ من ص ٢٨٧. - في: بهجت فرنسي، وأخرين. صناعة الكراهية في العلاقات العربية - الأمريكية. - مرجع سابق. - ٤٠٦ ص.

● أحسب أن هذه المشكلة أمر مصطنع روجته أهواء وتحزبات من الطرفين، جعلت من عقيلتها مُناصبة حكوماتها العداوة، ومن ثم انشغل، أو قل إن شئت: أشغّلَ الطرفان بينهما عن التركيز على مفهوم المشاركة، فكانت الفائدة من هذه الحال الانفصامية من نصيب طرف ثالث، قد يكون له أثر في إيجاد هذه الحال. وخطابٌ مثل هذا متهمٌ ابتداءً بأنه خطابٌ متخيّر، وعليه أن يعيد النظر في موقفه القائم على إيجاد فجوة وتوسيعها بين القيادة والقاعدة الشعبية، فقد أثبتت هذا الأسلوب أنه لم يصلح من الأمر شيئاً، ولم يكن ولن يكون أسلوبنا فعالاً، بل إنه أحدث أضراراً كبيرة.^(١) ولا يُغفل في هذا كله اثر الاستشراق السياسي في تأجيج هذا الشعور وتوسيع الفجوة، أو الفجوات، الداخلية والخارجية.

● وفي الختام لا مندوحة عن تفعيل سبل التفاهم بين الثقافات، مع الاعتراف بالفروقات التي لا تطغى على جوانب الالتقاء، واتخاذ التدابير لهذا التفعيل، وتذليل العقبات التي تصد عن الاستمرار في عمارة الأرض والاستخلاف عليها، وتاليًا التقليل من الكراهية بين الثقافات. ولن يفضي هذا التفعيل، على سبيل الاحتراز، إلى التنازل عن الثوابت وتجاهل الأصل في العلاقات بين الأمم وثقافاتها وحتمية وجود الاختلاف.

وكان الله في عون الجميع

(١) انظر: أحمد كمال أبو المجد. حوار الحضارات: الإسلام والغرب. - ص ٥١ - ٦٧ . - في: خالد الكركي، مراجع ومقدمة. حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي. - مرجع سابق. - ٢٦٨ ص.

مراجع البحث

- ١ - أبو المجد، أحمد كمال. حوار الحضارات: الإسلام والغرب. - ص ٥١ .٦٧ - في: خالد الكركي، مراجع ومقدمة. حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي. - عمان: مؤسسة عبدالحميد شومان، ٢٠٠٤ م. - ٢٦٨ ص.
- ٢ - أحمد، إبراهيم خليل. الاستشراق والتبيير وصلتهما بالإمبريالية العالمية. - القاهرة: مكتبة الوعي العربي، ١٩٧٣م). - ١٩٣ ص.
- ٣ - أحمد، أكبر. الإسلام تحت الحصار. ترجمة عزت شعلان. - بيروت: دار الساقى، ٢٠٠٤ م. - ٢٣٢ ص.
- ٤ - الأحمرى، محمد بن حامد. ملامح المستقبل. - الرياض: مكتبة العيikan، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م. - ٣١٨ ص.
- ٥ - إدريس، محمد جلاء. الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية. - القاهرة: العربي، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م. - ٢٦٧ ص.
- ٦ - إدريس، محمد جلاء. العلاقات الحضارية. - دمشق: دار القلم، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م. - ١٧٦ ص.
- ٧ - الأرناؤوط، محمد. تسييس الاستشراق: حالة البلقان (نورمان تسيغر). - الاجتهاد. - ع ٥١/٥٠ (ربيع وصيف ٢٠٠١ م/ ١٤٢٢). - ص ٢٩٥ - ٣٠١.
- ٨ - إسبوزيتو، جون إل. الإسلام والغرب عقب ١١ أيلول/ سبتمبر: حوار أم صراع ثقافي حضاري؟. - دبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٣ م. - ٤٤ ص. - (سلسلة محاضرات الإمارات؛ ٧٤).

- ٩ - إسبوزيتو، جون. الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع / ترجمة هيثم فروخت .- اللاذقية: دار الحوار، ٢٠٠٢ م. - ٣٣٣ ص.
- ١٠ - أصطيف، عبد النبي. نحو استشراق جديد .- الاجتهد. - ع ٥٠ .٥١ (ربيع وصيف عام ١٤٢٢ / ٢٠٠١ هـ). - ص ٣٥ - ٦٣ .
- ١١ - الأمراني، حسن. أيها الغرب أين مشرقك؟ .- ص ١١٣ - ١١٧ .-
- في: مصطفى سلوى. الخطاب الاستشرافي في أفق العولمة: يوم دراسي .- وجدة: جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٣ م. - ١٦٦ ص.
- ١٢ - أمين، جلال. برنارد لويس أو دليل الرجل الذكي إلى التشهير بال المسلمين .- الميثاق. - ع ١٣ (١٨ تشرين الثاني ٢٠٠٣ م).
- ١٣ - أمين، جلال. عصر التشهير بالعرب والمسلمين: نحن والعالم بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ .- القاهرة: دار الشروق، ٤١٤٢٤ هـ / ٤٢٠٠٤ م. - ١٤٣ ص.
- ١٤ - باربر، بنجامين ر. إمبراطورية الخوف: الحرب والإرهاب والديمقراطية / ترجمة عمر الأيوبي .- بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥ م. - ٢٠٥ ص.
- ١٥ - باقادر، أبو بكر. الأنثروبولوجيا والاستشراق .- الاجتهد. - ع ٤٧ / ٤٨ (صيف وخريف العام ٢٠٠٠ / ١٤٢١ هـ). - ص ٩ - ١٠ .
- ١٦ - باير، مايكل كوليتر. كهنة الحرب الكبار: التاريخ السري لوصول «المحافظين الجدد» التروتسكين إلى السلطة في الولايات المتحدة وتدبيرهم للحرب ضدّ العراق خطوة أولى في سعيهم نحو تحقيق إمبراطورية عالمية / نقله إلى العربية عبداللطيف أبو البصل .-
- الرياض: مكتبة العيكان، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م. - ٢٧٣ ص.
- ١٧ - بدران، إبراهيم. أ Fowler الثقافة .- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢ م. - ٢٩٦ ص.
- ١٨ - بدوي، عبد الرحمن. دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي .- القاهرة: مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤ م. - ٢٥٦ ص.

- ١٩ - بدوي، عبدالرحمن. موسوعة المستشرقين. - ط٤ . -
بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣م. - ٦٤٠ ص.
- ٢٠ - ابن بركة، مختار. اليمين المسيحي الأمريكي: تاريخ ومسيرة / ترجمة وتقديم أحمد الشيخ. - ط٢ . - القاهرة: المركز العربي الإسلامي للدراسات الغربية، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م . - ٢٨٨ ص.
- ٢١ - بلاكر، كيمبرلي، محّررة. أصول التطرف: اليمين المسيحي في أمريكا / ترجمة هبة رعوف وتأمر عبد الوهاب. - القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٦م . - ٣٩٩ ص.
- ٢٢ - البنا، رجب. صناعة العداء للإسلام .- القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٣م . - ٤٦٤ ص.
- ٢٣ - البهبي، محمد. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي .- ط١١ . - القاهرة: دار غريب، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م . - ٥١٢ ص.
- ٢٤ - بوکای، موریس. دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة .- القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٨م . - ٢٩١ ص.
- ٢٥ - بيارنيس، ببير. القرن «الحادي والعشرون» لن يكون أمريكاً / ترجمة مدنی قصري .- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣م . - ٣٤٦ ص.
- ٢٦ - تسیغر، نورمان. دور المستشرقين الصّرب في تبرير إفباء المسلمين في البلقان .- سراييفو، ٢٠٠٠م .
- ٢٧ - الطحاوي، عبدالله. الحوار الثقافي: مشروع التواصُل والاتِّمام .- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م . - ١٩٨ ص. - (سلسلة مكتبة الأسرة).
- ٢٨ - التلidiي، بلال. الإسلاميون ومراكز البحث الأمريكية: دراسة في أزمة النموذج المعرفي، حالة معهد واشنطن ومعهد كارنيجي .- بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، ٢٠١٤م . - ٣٧٨ ص.
- ٢٩ - تيزيني، الطّيّب. من الاستشراق الغربي إلى الاستغراب المغربي:

- ٣٨ - حمد، محمد عبدالحميد. حوار الأمم: تاريخ الترجمة والإبداع عند العرب والسريان. - دمشق: دار المدى، ٢٠٠١ م. - ٥٣١ ص.
- ٣٩ - خشبة، سامي. نقد الثقافة. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٤٠ - الحصيني، صالح بن عبدالرحمن. التسامح والعذوانية بين الإسلام والغرب. - الرياض: مؤسسة الوقف الإسلامي، ١٤٢٩ هـ. - ٢٤٠ ص.
- ٤١ - الحسيني، نسيب. الغرب المتخلّل: رؤية الآخر في الوجودان السياسي العربي / ترجمة غازي بُرُو. - بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٤ م. - ٣٥١ ص.
- ٤٢ - جواد، إبراهيم محمد. الصراع بين الغرب والإسلام: من يفجّره؟ ولماذا؟ - بيروت: دار الهادي، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م. - ١٣٥ ص.
- ٤٣ - حسن، محمد خليفة. أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م. - ٥٧٠ ص.
- ٤٤ - الجبلاوي، آمنة. الإسلام «المبكر» الاستشراق الأنجلوسكسوني الجديد: باتريسيا كرون ومايكل كوك أنموذجاً. - كولونيا: منشورات الجمل، ٢٠٠٨ م. - ٢٤٨ ص.
- ٤٥ - الجبلاوي، آمنة. الإسلام «المبكر» الاستشراق الأنجلوسكسوني الجديد: باتريسيا كرون ومايكل كوك أنموذجاً. - كولونيا: منشورات الجمل، ٢٠٠٤ م. - ٢٤٨ ص.
- ٤٦ - جحا، ميشال. الاستشراق الألماني في القرن العشرين. - الاجتهاد.
- ٤٧ - ع ٥١/٥٠ (ربيع وصيف عام ٢٠٠١ / ١٤٢٢ هـ). - ص ٢٥٧ . ٢٦٧
- ٤٨ - الجراد، خلف. أبعاد الاستهداف الأميركي. - دمشق: دار الفكر، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م. - ٢٤٨ ص.
- ٤٩ - جريش، ألان. الإسلاموفobia / ترجمة وتعليق إدريس هاني. - الكلمة. - مج ١٠ ع ٤٠ (صيف ٢٠٠٣ م / ١٤٢٤ هـ). - ص ١٠٤ . ١٢٠
- ٥٠ - الجراد، خلف. أبعاد الاستهداف الأميركي. - دمشق: دار الفكر، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م. - ٢٤٨ ص.

- للكتاب، ٢٠٠٤م. - ٢٨٠ ص. - (سلسلة مكتبة الأسرة؛ الأعمال الفكرية).
- ٤٠ - خفاجي، باسم. لماذا يكرهونه؟: الأصول الفكرية لعلاقة الغرب ببني الإسلام رسوله. - الرياض: مجلة البيان، ١٤٢٧هـ. - ١٢٤ ص. - (سلسلة كتاب البيان؛ ٧٧).
- ٤١ - الدباغ، مصطفى. الإسلام فوبيا ISLAMOPHOBIA: عقدة الخوف من الإسلام. - ط٢. - عمان: دار الفرقان، ٢٠٠١م / ١٤٢٢هـ. - ١٤٩ ص.
- ٤٢ - الدعمي، محمد. الاستشراق: الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي. - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦م. - ٢٤٦ ص.
- ٤٣ - الدوّاي، عبدالرّحّاق. في أخلاقيات الحوار بين الثقافات حول مبدأ التسامح وحق الاعتراف. - التسامح. - ع ١٥ (صيف ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦). - ص ٣١٠ - ٢٦٨.
- ٤٤ - ديكوبير، كريستيان. خلاصة عامة: حتى لا تنتهي من العلوم الشرقية/ ترجمة محمد صبح. - ص ١١٥ - ١٢٠ . - في: يوسف كرياج ومنفرد كروب، مشرfan. تأملات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضرها/ ترجمة عدنان حسن ومحمد صبح. - بيروت: قدمس، ٢٠٠٦م. - ١٤٠ ص.
- ٤٥ - رايسنوت، شتيفان. خطابات الاستشراق؟: موقع الدراسات الإسلامية والشرقية في ألمانيا اليوم/ ترجمة عدنان حسن. - ص ٩٣ - ١٠٥ . - في: يوسف كرياج ومنفرد كروب، مشرfan. تأملات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضرها/ ترجمة عدنان حسن ومحمد صبح. - بيروت: قدمس، ٢٠٠٦م. - ١٤٠ ص.
- ٤٦ - الريبيعي، فاضل. خطاب النخبة الثقافية العربية وأساطير ما بعد الاستشراق (١). - الجزيرة الثقافية. - ع ١٨٥ (١٤٢٨/١١٧هـ - ٢٠٠٧/٢). - ص ٨.

- ٤٧ - الريعي، فاضل. ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء. - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧ م. - ٣٠٤ ص.
- ٤٨ - رضا، إبراهيم. مالك بن نبي وفلسفة الحضارة الإسلامية الحديثة. - ثقافتنا. - مع ١ ع ٢ (شتاء ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م). - ص ١٨٥ - ١٩٦.
- ٤٩ - رضوان، محمد. أوهام الغرب عن الإسلام: بحث في جذور معاداة الثقافة الإسلامية في الغرب. - الدار البيضاء: مطبعة الأندلس، ٢٠١٣ م. - ص ٣.
- ٥٠ - رضوان، محمد. القدس الشريف في الاستشراق اليهودي. - الرياض: المجلة العربية، ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م. - ١٣٩ ص. - (سلسلة كتاب المجلة العربية؛ ٢١٤).
- ٥١ - الرفاعي، عبدالجبار، معد. التسامح ليس منه أو هبة. - بيروت: دار الهادي، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م. - ٣٤٣ ص.
- ٥٢ - رمزي، أحمد. تعليق. - ص ٢٠٠ - ٢٠٣ - ٢٠٠ . - في: المغرب في الدراسات الاستشرافية. - الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٥ م. - ٢٢٩ ص.
- ٥٣ - روا، أوليفيه. أوهام ١١ أيلول: المناظرة الإستراتيجية في مواجهة الإرهاب. - بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٣ م. - ١١٨ ص.
- ٥٤ - زقزوق، محمود حمدي. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. - الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤٠٥ هـ . - ١٥٦ ص.
- ٥٥ - زيادة، خالد. لم يُعد لأوروبا ما تقدمه للعرب. - بيروت: دار شرق الكتاب، ٢٠١٣ م.
- ٥٦ - الزيادي، محمد فتح الله. قراءات في مناشير استشرافية: دراسة في الاستشراق السياسي. - مستقبل العالم الإسلامي. - ع ٤ (١٩٩١ م). - ص ٢٠١ - ٢٢٤ .

- ٥٧ - سالم، طاهر عبد. *تعارف الحضارات: من أطروحتات الاستشراق إلى التمرّك الإعلامي والدعائية المضادة*. - ص ١١٥ - ١٤١ . - في: زكي الميلاد، معد. *تعارف الحضارات*. - دمشق: دار الفكر، ٢٢٦ هـ / ٢٠٠٦ م . - ٢٢٦ ص.
- ٥٨ - سردار، ضياء الدين وميريل وبين ديفيز. *لماذا يكره العالم أمريكا؟* / نقله إلى العربية معين الإمام. - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م . - ٤٣٤ ص.
- ٥٩ - سعيد، إدوارد. *المفاهيم الغربية للشرق* / ترجمة محمد عناني . - القاهرة: رؤية، ٢٠٠٦ م . - ٥٦٠ ص.
- ٦٠ - سعيد، إدوارد. *تفعيلية الإسلام* / ترجمة وتقديم محمد عناني . - القاهرة: دار رؤية، ٢٠٠٥ م . - ٣٥٢ ص.
- ٦١ - سعيد، إدوارد. *الثقافة والإمبريالية* / نقله إلى العربية وقدّم له كمال أبو ديب . - بيروت: دار الآداب، ١٩٩٧ م . - ٤١١ ص + الهوامش .
- ٦٢ - سعيد، إدوارد. *المثقف والسلطة* / ترجمة محمد عناني . - القاهرة: دار رؤية، ٢٠٠٦ م . - ١٩٩ ص.
- ٦٣ - سعيد، جودت. *لَمْ هذا الرُّبُّ كُلِّهِ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَكَيْفَ بَدَأَ؟* . - دمشق: دار الفكر، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م . - ٦٤ ص.
- ٦٤ - السكريان، إبراهيم بن عمر. *التأويل الحدائي للتراث: التقنيات والاستمدادات*. - الرياض: دار الحضارة، ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م . - ٤٤٤ ص.
- ٦٥ - السلومي، محمد بن عبدالله. *ضحايا بريئة للحرب على الإرهاب* . - [لندن: المنتدى الإسلامي] ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م . - ٣٠٤ ص . - (سلسلة كتاب البيان؛ ٦٣).
- ٦٦ - سلوى، مصطفى. *الخطاب الاستشرافي في أفق العولمة: يوم دراسي* . - وجدة: جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٣ م . - ١٦٦ ص.
- ٦٧ - السمّاك، محمد. *الحوار الإسلامي - المسيحي في الألفية الثالثة* . -



- ص ٦٩ - ٨٨ . - في: خالد الكركي، مراجع ومقدمة. حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي. - عُمان: مؤسسة عبدالحميد شومان، ٤٢٠٠٤ م. - ٢٦٨ ص.
- ٦٨ - السمّاك، محمد. الصهيونية المسيحية. - ط ٣ . - بيروت: دار الفائس، ١٩٩٣ م.
- ٦٩ - السمّاك، محمد. موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد. - ط ٢ . - بيروت: ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م. - ٣٤١ ص.
- ٧٠ - السيد، رضوان. خمسة وعشرون عاماً على كتاب «الاستشراق»: استشراق إدوارد سعيد وعلاقات الشرق بالغرب، دراسة في النص والوعي والواقع. - ص ٦١ - ٧٢ . - في: يوسف كرباج ومنفرد كروب، مشرفان. تأملات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضرها/ ترجمة عدنان حسن ومحمد صبح. - بيروت: قدمس، ٢٠٠٦ م. - ١٤٠ ص.
- ٧١ - السيد رضوان. المستشرقون الألمان: النشوء والتأثير والمصائر. - بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٧ . - ص ٣٥ - ٣٦ .
- ٧٢ - السيد، رضوان وأخرون. من التسامح إلى احترام الآخر. - ص ٢٨٥ - ٣٠٩ . - في: عبدالجبار الرفاعي، معد. التسامح ليس ملة أو هبة. - بيروت: دار الهادي، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م. - ٣٤٣ ص.
- ٧٣ - السيد، رضوان. نقد الاستشراق. - الاجتهاد. - ع ٥٠ / ٥١ (ربيع وصيف العام ١٤٢٢ هـ). - ص ٥ - ٧ .
- ٧٤ - الشاهد، السيد محمد. الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين. - الاجتهاد. - ع ٢٢ (شتاء العام ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م). - ص ١٩١ - ٢١١ .
- ٧٥ - شاهين، أحمد. صنّاع الشر. - القاهرة: دار المعرفة، ٢٠٠٤ م. - ٢٠٨ ص. - (سلسلة أقرأ؛ ٦٩٥).
- ٧٦ - شتيبات، فريتس. الإسلام شريكاً: دراسات عن الإسلام

- وال المسلمين / ترجمة عبد الغفار مكاوي . - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م . - ٢٠٦ ص . - (سلسلة عالم المعرفة ؛ ٣٠٢) .
- ٧٧ - شرابي، هشام. المثقفون العرب والغرب: عصر النهضة ١٨٧٥ - ١٩١٤ . - ط ٥ . - بيروت: المؤلف ، ١٩٩٩م . - ٢٧٦ ص .
- ٧٨ - الشريف، ريجينا. الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي / ترجمة أحمد عبدالله عبدالعزيز . - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٨٥م . - (سلسلة عالم المعرفة ؛ ٩٦) .
- ٧٩ - الطالبي، محمد. أمة الوسط: الإسلام وتحديات المعاصرة . - تونس: دار سراس ، ١٩٩٦م . - ١٦٧ ص .
- ٨٠ - الطحاوي، حاتم. الفكر الاستشرافي في المجتمعات الإسلامية (محمد خليفة حسن) . - الاجتهداد . - ع ٥١/٥٠ (ربيع وصيف عام ١٤٢٢هـ / م ٢٠٠١) . - ص ٣٢١ - ٣٣٥ .
- ٨١ - طرايشي، جورج. ازدواجية العقل: دراسة تحليلية نفسية لكتابات حسن حنفي . - دمشق: دار بترا ، ٢٠٠٥م . - ٣٠٣ ص . - (سلسلة المرض بالغرب ؛ ٢) .
- ٨٢ - طرايشي، جورج. هرطقات عن الديموقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية . - بيروت: دار الساقى ، ٢٠٠٦م . - ٢٢٩ ص .
- ٨٣ - الظفيري، تركي بن خالد. الاستشراق عند إدوارد سعيد: رؤية إسلامية . - جدة: دار التأصيل للدراسات والبحوث ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م . - ٢٨٠ ص .
- ٨٤ - الظفيري، تركي بن خالد. الفضائيات العربية التصويرية: أهدافها - وسائلها - سُبُل مقاومتها . - الرياض: مجلة البيان ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م . - ٤١٤ ص .
- ٨٥ - عامل، مهدي. هل القلب للشرق والعقل للغرب؟: ماركس في استشراق إدوارد سعيد . - ط ٣ . - بيروت: الفارابي ، ٢٠٠٦م . - ١١١ ص .

- ٨٦ - عبد الرؤوف، محمد عوني. فرديش ريكرت عاشق الأدب العربي .

٨٧ - ط ٢ . - بيروت : مكتبة الآداب ، ٢٠٠٦ م . - ١٧٨ ص .

٨٧ - عبد الرزاق، صلاح. المفكرون الغربيون المسلمين: دوافع اعتمادهم الإسلام . - ٢ ج . - بيروت: دار الهادي ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م .

٨٨ - عبدالغنى، مصطفى. حقيقة الغرب بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية . - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١ م . - ١٧٦ ص . - (سلسلة مكتبة الأسرة، الأعمال الخاصة) .

٨٩ - عبدالكريم، إبراهيم. الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل . - عمان: دار الجليل ، ١٩٩٣ م . - ٥٩٨ ص .

٩٠ - عبدالله، عصام. التسامح . - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٦ م . - ٩٥ ص . - (سلسلة مكتبة الأسرة) .

٩١ - عترسي، طلال. صورة الإسلام: مسؤولية الغرب والمسلمين . - ص ٢٥٦ - ٢٨٢ . - في: أبو يعرب المرزوقي وآخرين. مستقبل الإسلام . - دمشق: دار الفكر ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م . - ٢٦٨ ص .

٩٢ - عثمان، أبو زيد ومحمد وقع الله أحمده. الوجود الإسلامي في أمريكا: الواقع والأمل . - مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي ، ١٤٢٦ هـ . - ١٤٦ ص . - (سلسلة دعوة الحق) . (٢١٢)

٩٣ - عزُّوزي، حسن. الإسلام وتهمة الإرهاب . - ط ٢ . - فاس: المؤلف ، ٢٠٠٦ م . - ١١٥ ص .

٩٤ - عزُّوزي، حسن. الغرب وسياسة التخويف من الإسلام . - مكناس: ألوان مغربية ، ٢٠٠٢ م . - ٦٩ ص . - (سلسلة اخترت لك) . (١٠).

٩٥ - عطا الله، سمير. الشرق الأوسط . - (١/٢٨/١٤٢٨-١/٩) . - ٢٠٠٧ م . - ص الأخيرة .

٩٦ - العقيقي، نجيب. المستشرقون: موسوعة في تراث العرب ، مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم . - ٣ مج . - ط ٥ . - القاهرة: دار المعارف ، ٢٠٠٦ م .

- ٩٧ - العليان، عبدالله. الإسلام والغرب: ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ . - بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥ م. - ص ٧١.
- ٩٨ - عمارة، محمد. الإسلام في عيون غربية بين افتراء المجهلة وإنصاف العلماء. - القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م. - ص ٣٨٤.
- ٩٩ - غابوريو، مارك. الإسلام والأديان الآسيوية الأخرى في نظر المستشرقين الفرنسيين. - ص ٢١ - ٤٠ . - في: يوسف كرياج ومنفرد كروب، مشرfan. تأملات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضرها / ترجمة عدنان حسن ومحمد صبح. - بيروت: قدمس، ٢٠٠٦ م. - ص ١٤٠.
- ١٠٠ - الغامدي، صالح بن عبدالله. الإسلام الذي يريده الغرب: قراءة في وثيقة أمريكية، دراسة تحليلية لتقدير مؤسسة راند: إسلام حضاري ديموقراطي - شركاء وموارد واستراتيجيات. - جدة: مركز الفكر المعاصر، ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م.
- ١٠١ - غالب، عبد الكري姆. العرض التمهيدي . - ص ١٧ - ٣٦ . - في: المغرب في الدراسات الاستشراقية. - الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٥ م. - ص ٢٢٩.
- ١٠٢ - فرح، سهيل. الاستشراق الروسي: نشأته ومراحله التاريخية . - الفكر العربي . - ع ٣١ مج ٥ (كانون الثاني / يناير ١٩٨٣). - ص ٢٢٥ - ٢٦٦.
- ١٠٣ - فروخ، عمر. الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة . - ص ١٢٥ - ١٤٣ . - في: نخبة من العلماء المسلمين. الإسلام والمستشرقون . - جدة: عالم المعرفة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م. - ص ٥١١ .
- ١٠٤ - فوك، يوهان. تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى نهاية القرن العشرين / نقله عن الألمانية عمر لطفي العالم . - ط ٢ . - بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠١ م. - ص ٣٥٢ .

- ١٠٥ - فيغس، أورلاندو/ مراجع. الإسلام والمنحي الروسي. - التسامح . ع ١٦ (خريف ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م). - ص ٣٥٤ - ٣٥٨.
- ١٠٦ - قاسم، قاسم عبد. ماهية الحروب الصليبية. - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م. - ص ٢٤٣ . - سلسلة عالم المعرفة؛ ١٤٩.
- ١٠٧ - القحطاني، محمد بن سعيد بن سالم. الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف. - الرياض: دار طيبة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م. - ص ٤٧٦.
- ١٠٨ - قرمي، آمال. قضية الردة في الفكر الإسلامي الحديث. - تونس: دار الجنوب، ١٩٩٦ م. - ١١٧ ص. - (سلسلة معالم الحادة).
- ١٠٩ - قرني، بهجت، وأخرون. صناعة الكراهية في العلاقات العربية - الأمريكية. - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣ م. - ص ٤٠٦.
- ١١٠ - قصیر، سمير. تعليق/ ترجمة محمد صبح. - ص ١٠٧ - ١١٣ . - في: يوسف كرياج ومنفرد كروب، مشرfan. تأملات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضرها/ ترجمة عدنان حسن ومحمد صبح. - بيروت: قدمس، ٢٠٠٦ م. - ١٤٠ ص.
- ١١١ - كاتر، جيمي. قيمنا المعرّضة للخطر: أزمة أمريكا الأخلاقية/ ترجمة محمد محمود التوبة. - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م. - ٢٢٤ ص.
- ١١٢ - كرياج، يوسف ومنفرد كروب، مشرfan. تأملات في الشرق: تقاليд الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضرها/ ترجمة عدنان حسن ومحمد صبح. - بيروت: قدمس، ٢٠٠٦ م. - ١٤٠ ص.
- ١١٣ - الكركي، خالد، مراجع ومقدّم. حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي. - عمان: مؤسسة عبدالحميد شومان، ٢٠٠٤ م. - ٢٦٨ ص.
- ١١٤ - كوش، عمر. «المسألة الدينية في القرن الحادي والعشرين» قضية

- يعالجها كتاب جورج قرم . - الحياة . - ع ١٥٩٨٩ (١٣/١/٢٠٠٧) . - ص ٢٤ . ١٤٢٧/١٢ هـ .
- ١١٥ - الكوش، محمد. الثابت والمحول في الخطاب الاستشرافي بعد أحداث ١١ شتنبر . - ص ٥٣ - ٧٢ . - في: مصطفى سلوى. الخطاب الاستشرافي في أفق العولمة: يوم دراسي . - وَجْدَة: جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ٢٠٠٣ م . - ٦٦ ص.
- ١١٦ - الكيلاني، شمس الدين. شغف الرحالة العرب بالتعرف على أوروبية: التعارف سبيلاً للحوار . - ص ١٤٢ - ١٦٧ . - في: زكي الميلاد، معد. تعارف الحضارات . - دمشق: دار الفكر ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م . - ٢٢٦ ص.
- ١١٧ - الكيلاني، شمس الدين. صورة أوروبا في رحلة ابن فضلان: بلاد الخزر والبلغار والروس والاسكتلنديين . - التسامع . - ع ٩ (شتاء ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م) . - ص ٢٤٨ - ٢٨١ .
- ١١٨ - اللاوندي، سعيد. الإسلاموفوبيا: لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟ . - القاهرة: نهضة مصر ، ٢٠٠٦ م . - ٣١٨ ص.
- ١١٩ - لويس، برنارد. الإسلام والدولة . - التسامع . - ع ٨ (خريف ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م) . - ص ١٨٦ - ١٩٧ .
- ١٢٠ - لويس، برنارد. الحشاشون / تعریب محمد العزب موسی . - ط ٢ . - القاهرة: مكتبة مدبولي ، ٢٠٠٦ م . - ٢٠٣ ص.
- ١٢١ - Lewis, Bernard. The Political Language of Islam.- Chicago: the University of Chicago Press, 1988.- 168 p.
- ١٢٢ - لويس، برنارد. مسألة الاستشراق . - ص ١٥٩ - ١٨٢ . - في: هاشم صالح، معد ومترجم. الاستشراق بين دعاته ومعارضيه . - ط ٢ . - بيروت: دار الساقى ، ٢٠٠٠ م . - ٢٦١ ص.
- ١٢٣ - ماهر، حازم علي. مالك بن نبي . - المسلم المعاصر . - مج ٣٠ ع ١١٨ (رجب، شعبان، رمضان ١٤٢٦ هـ - أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر ٢٠٠٥ م) . - ص ١٦٣ - ١٨٩ .

- ١٢٤ - ماهر، مصطفى / معد. حوار بين الألمان والعرب: سجلُ الأسبوع الثقافي العربي الألماني الذي أقيم في (توبينجن) عام ١٩٧٤ م. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦ م. - ٣٠٦ ص.
- ١٢٥ - المبارك، راشد. فلسفة الكراهية: دعوة إلى المحبة. - بيروت: دار صادر، ٢٠٠١ م. - ٢٣٨ ص.
- ١٢٦ - مراد، بركات محمد. الاستشراق بين الرؤية الذاتية والواقع الموضوعي. - رؤى استراتيجية (الإمارات العربية المتحدة). - ع ٢ ميج ١ (٢٠١٣/٣ م). - ١٢٨ - ١٠٥ ص.
- ١٢٧ - مراد، يحيى. معجم أسماء المستشرقين. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م. - ٧٤٢ ص.
- ١٢٨ - مرقس، سمير. الآخر الحوار المواطن. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦ م. - ٢٠٤ ص. - (سلسلة مكتبة الأسرة).
- ١٢٩ - المزروعي، علي الأمين. القيم الإسلامية والقيم الغربية. - أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٥. ت. - ٢٥ ص. - (سلسلة دراسات عالمية؛ ١). ٢١
- ١٣٠ - المسلاطي، مصطفى نصر. الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين. - طرابلس (لبنان): دار اقرأ، ١٩٨٦ م. - ٢٨٨ ص.
- ١٣١ - المسيري، عبدالوهاب. في الخطاب والمصطلح الصهيوني: دراسة نظرية وتطبيقية. - القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م. - ٢٨٣ ص.
- ١٣٢ - مطر، جميل. الكراهية الأمريكية للعرب صناعة جديدة. - ص ٢٦٣ - ٢٨٧ . - في: بهجت قرنبي، وآخرين. صناعة الكراهية في العلاقات العربية - الأمريكية. - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣ م. - ٤٠٦ ص.
- ١٣٣ - مطّقاني، مازن بن صلاح. الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس. - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م. - ٦١٤ ص.

- ١٣٤ - الملا، أحمد علي. أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية. - ط٢. - دمشق: دار الفكر، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م. - ٢٣٩ ص.
- ١٣٥ - الموسوي، محسن جاسم. الاستشراق السياسي: فرضياته واستنتاجاته. - الاستشراق. - ع ٣ (١٩٨٩م). - ص ٤ - ١٣.
- ١٣٦ - ميد، والتر راسل. بلاد الله: تأثير الإنجيليين العُجُّد في السياسة الخارجية الأمريكية. - التسامح. - ع ١٥ (صيف ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م). - ص ٣٥١ - ٣٦٠.
- ١٣٧ - الميلاد، زكي / معد. تعارف الحضارات. - دمشق: دار الفكر، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م. - ٢٢٦ ص.
- ١٣٨ - الميلاد، زكي. المسألة الحضارية: كيف نتكرر مستقبلنا في عالم متغير. - الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩م. - ص ٣٣٦.
- ١٣٩ - الميلاد، زكي. من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات. - ص ٣٣ - ٦٥. - في: زكي الميلاد، معد. تعارف الحضارات. - دمشق: دار الفكر، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م. - ٢٢٦ ص.
- ١٤٠ - النجار، زغلول. الإسلام والغرب في كتابات الغربيين. - ط ٢ . - القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٣م. - ٢٨٣ ص.
- ١٤١ - النفسي، عبدالله بن فهد. هل يشكل الإسلام خطراً على الغرب؟ / تحرير ساجد العبدلي المطيري. - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣م. - ٥٩ ص.
- ١٤٢ - النملة، علي بن إبراهيم. التواصل الحضاري. - الرياض: الجمعية السعودية للتاريخ والحضارة، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م. - ٢٣٥ ص.
- ١٤٣ - النملة، علي بن إبراهيم الحمد. الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدداتها. - ط ٣ . - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ٣٥٢ ص.
- ١٤٤ - النملة، علي بن إبراهيم. كُنه الاستشراق: دراسة في المفهوم والارتباطات. - ط ٣ . - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م. - ٣٠٢ ص.

- ١٤٥ - النملة، علي بن إبراهيم. *مراجعات في نقد الاستشراق: الاستشراق والإسلام*. - مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: العلوم الإنسانية والاجتماعية. - ع ٣ (ربيع الآخر ١٤٢٨هـ). - ص ١٣ - . ٤٤
- ١٤٦ - النملة، علي بن إبراهيم الحمد. *المستشرقون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهريتين، مع نماذج من المستشرقين المنصرين*. - الرياض: مكتبة التوبية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م. - ١٧٨ ص.
- ١٤٧ - النملة، علي بن إبراهيم. *المنهج الاستشرافي في دراسة القرآن الكريم وترجمة معانيه*. - بحث مقدم إلى مجلة الجمعية السعودية للدراسات القرآنية (بيان). - ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م. - ١٢٢ ص.
- ١٤٨ - النifer، مصطفى. *الأمير في دولة القراءة: رحلة الأمير لودفيغ هيرمان فون بوكلير - موسكا إلى تونس ١٨٣٥*. - الاجتهد. - ع ٥١/٥٠ (ربيع وصيف العام ٢٠٠١ / ٢٠٢٢هـ). - ص ٦٥ - ١١٦.
- ١٤٩ - هالسل، غريس. *يُدَّ الله: لماذا تصحّح الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل؟/ ترجمة مُحَمَّد السَّمَّاك*. - ط ٢ . - القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م. - ١١٢ ص.
- ١٥٠ - هاليدي، فريد. *مائة وهم حول الشرق الأوسط*. - بيروت: دار الساقى، ٢٠٠٦م. - ٢٨٦ ص.
- ١٥١ - هتشن، تيري. *الشرق المتخيل: رؤية الغرب إلى الشرق المتوسطي/ ترجمة غازي بُرُّو وخليل أحمد خليل*. - بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٤م. - ٤٠٧ ص.
- ١٥٢ - هويسون، جون إم. *الجذور الشرقية للحضارة الغربية/ ترجمة منال قابيل*. - القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م. - ٤١١ ص.
- ١٥٣ - هوفرمان، مراد. *الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود/ تعريب عادل المعلم ويس إبراهيم*. - القاهرة: مكتبة الشروق، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م. - ٢٧٦ ص.

- ١٥٤ - هونكه، زيفريد. التوجّه الأوروبي إلى العرب والإسلام حقيقة قادمة وقدر محظوظ / ترجمة هاني صالح، تقديم إسماعيل مروءة. - بيروت: مؤسسة الإيمان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. - ٢٩٥ ص.
- ١٥٥ - يهنسن، بابر. الدراسات الإسلامية: الشروط الفكرية والسياسية لفرع معرفي . - ص ٤١٥٩ . - ٤٠ . في: يوسف كراج ومنفرد كروب / مشرفان. تأملات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضرها / ترجمة عدنان حسن ومحمد صبح . - بيروت: قدمس ، ٢٠٠٦م . - ١٤٠ ص.

الفهرس

	تنويه
٧	
٩	المدخل : في الكراهة
١٩	التمهيد : في فهم الاستشراق
٤٥	الفصل الأول: المنهج في نقد الاستشراق
٥٠	الدارس المتعالي
٥٦	السحر والقابلية
٦٥	وشاح الموضوعية
٧١	النقد العلمي
٧٤	الثقة بالاستشراق
٧٩	تئية الاستشراق
٨٩	الفصل الثاني: وجوه الالقاء وصناعة الكراهة
٩١	منهج التعارف بين الأمم
٩٤	منهج التنافس والتدافع
٩٥	منهج النظرة الوسط
٩٦	منهج التأثير والتأثير
٩٧	الطلبة المسلمين

١٠١	الجاليات المسلمة
١٠٨	منهج حسن الخُلُق
١١٠	منهج الاختلاف
١١٣	الفصل الثالث: وسائل صناعة الكراهية بين الثقافات
١١٦	الاستشراق وصناعة الكراهية
١٢٠	تصنيف المستشرقين
١٢٣	منهج السماحة
١٢٦	المزالق اللغظية
١٣١	استقلالية المستشرقين
١٣٦	الاستشراق والسياسة
١٤٢	الاستشراق والتنصير
١٤٤	الاستشراق الإعلامي
١٤٦	الاستشراق الصحفي
١٥٣	الفصل الرابع: الاستشراق ووسائل صناعة الكراهية
١٥٥	الخوف من الإسلام
١٥٩	التصدي للخوف من الإسلام
١٦٠	صهينة الاستشراق
١٦٧	الاستشراق والإنترنت
١٦٩	تأليف القلوب
١٧١	الخاتمة: الخلاصة والنتيجة
١٧٩	مراجع البحث

الباحث

- الاسم: علي بن إبراهيم الحمد النملة.
- مكان الميلاد: البكيرية بمنطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية.
- تاريخ الميلاد: ١٤٧٢/٢/١ هـ الموافق ١٩٥٢/١٠/٢٠ م.
- التعليم العام: الرياض ١٣٧٧ - ١٣٩٠ هـ.
- الدراسة الجامعية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المملكة العربية السعودية. ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م. التخصص: اللغة العربية.
- الماجستير: جامعة فلوريدا الحكومية بتالاهاسي في الولايات المتحدة الأمريكية. ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م. التخصص: المكتبات والمعلومات.
- الدكتوراه: جامعة كيس وسترن رزرف بклиفلاند، أوهايو في الولايات المتحدة الأمريكية. ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م. التخصص: المعلومات والمكتبات.
- أستاذ: ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- باحث في معهد العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت بألمانيا ١٤٠٥ - ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ - ١٩٨٥ م.
- مدير الشؤون الدراسية بالملحقية الثقافية السعودية في واشنطن، بالولايات المتحدة الأمريكية ١٤٠٩ - ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ - ١٤١٠ م.
- مدير عام الهيئة العامة لجمع التبرعات للمجاهدين الأفغان ١٤١٠ - ١٤١٢ هـ / ١٩٩٠ - ١٩٩٢ م.
- عضو مجلس الشورى بالمملكة العربية السعودية، ١٤١٤ - ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٤ - ١٩٩٩ م.

- وزير العمل والشؤون الاجتماعية في المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ هـ / ٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ.
- وزير الشؤون الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م.
- أستاذ المكتبات والمعلومات بكلية علوم الحاسوب الآلي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
- عضو عدد من جمعيات القطاع الثالث.
- باحث في الشأن الاستشرافي والتنصيري والعلاقات الفكرية والحضارية بين الشرق والغرب.

الأعمال العلمية:

- أولاً: الكتب: (تم حساب الطبعة الأولى فقط من كل كتاب)
 - ١ - الاستثناء الشفافي في مواجهة الكونية: ثنائية الخصوصية والعولمة، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م، ٥٤ ص.
 - ٢ - الاستشراف بين منحدين: النقد الجندي أم الإدابة، الرياض: المجلة العربية، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م، ٥٠ ص، (سلسلة كتيب المجلة)، (١٢٠).
 - ٣ - الاستشراف السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب. - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م، ١٨٦ ص.
 - ٤ - الاستشراف في الأدبيات العربية: عرض للنظارات ورصد ورافقى للمكتوب، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م، ٣٧٠ ص.
 - ٥ - الاستشراف والإسلام في المراجع العربية، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م، ٢٢٤ ص.
 - ٦ - الاستشراف والدراسات الإسلامية: مصادر المستشرقين ومصادر ريتهم، الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م - ٢٦٢ ص، (موسوعة الدراسات الاستشرافية)، (٣).

- مصادر المستشرقين ومصادرتهم، ط ٢، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، ٣٠٩ ص.
- ٧ - الاستشراق وعلوم المسلمين في المراجع العربية، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ٢٥٦ ص.
- ٨ - إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي: دراسة تحليلية، ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة، الرياض: المؤلف، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م. - ١٩٨ ص، (موسوعة الدراسات الاستشراقية)، (٤).
- ٩ - إشكالية المصطلح في الفكر العربي: الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ٢٤٨ ص.
- ١٠ - الالتفاف على الاستشراق: محاولات التنصل من المصطلح، الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ١٨٢ ص، (موسوعة الدراسات الاستشراقية)، (٥).
- ١١ - تأملات في طريق الدعوة: جولات في الزمان والمكان والتحديات، الرياض: مكتبة العيكان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ٢٥٠ ص.
- ١٢ - التجسير الحضاري بين الأمم في ضوء تناقل العلوم والأداب والفنون، الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ١١١ ص.
- ١٣ - التنصير في الأدبيات العربية، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ٢٧٢ ص.
- التنصير في المراجع العربية: دراسة ورصد ورقي للمطبوع، ط ٢، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ٤١٩ ص.
- ١٤ - التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، القاهرة: دار الصحوة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ١٢٠ ص.
- التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، ط ٢، الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ١٥٢ ص.

- التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، ط ٣،
الرياض: المؤلف، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م، ١٦٧ ص.
- التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، ط ٤،
الرياض: المؤلف: ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م، ٢٤٨ ص.
- التنصير: المفهوم - الوسائل - المواجهة، ط ٥، بيروت: مكتبة
بيسان، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م، ٢٧٠ ص.
- التوأصل الحضاري بين الأمم في ضوء تناول العلوم والأداب والفنون.
- في النشر. - الرياض: الجمعية السعودية للتاريخ والحضارة،
١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م. - ٢٢٤ ص.
- ثقافة العبث: سلوكيات عببية في زمن الفاقة، الرياض: مكتبة
العيikan، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م، ٢٤٥ ص.
- الجهاد والمجاهدون في أفغانستان: وقفات تقويم، الرياض: مكتبة
العيikan، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ١٢٥ ص.
- السعوديون: الثبات والنماء، الرياض: مكتبة العيikan، ١٤١٦ هـ /
١٩٩٥ م، ٣١٤ ص.
- السعوديون والخصوصية الدافعة: وقفات مع مظاهر التميّز في زمن
العولمة، الرياض: مكتبة العيikan، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م، ٢٤٥ ص.
- الشرق والغرب: محددات العلاقات ومؤثّراتها، الرياض: المؤلف،
١٤٢٥ هـ / ٤٢٠٠٤ م، ٤٤٨ ص.
- الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدّداتها، ط ٢، بيروت:
المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥ م. ، ١٧٣ ص.
- الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدّداتها، ط ٣، بيروت:
مكتبة بيسان، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م، ٣٥٢ ص.
- الصراع العربي في الكويت: فرض الأفكار قسراً، الرياض: مكتبة
العيikan، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ١٥٢ ص.
- صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افعالها، دمشق:

- دار الفكر، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م، ١٧١ ص، (سلسلة نقد العقل المعاصر).
- ظاهرة الاستشراق: مناقشات في المفهوم والارتباطات، الرياض - ٢٣
مكتبة التربة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ٢١٠ ص، (موسوعة الدراسات الاستشراقية ؛ ١).
- كُنه الاستشراق: المفهوم - الأهداف - الارتباطات، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، ٣٠٢ ص.
- العمل الاجتماعي والخيري في منطقة الخليج العربية: التنظيم - التحديات - ٢٤
المواجهة، الرياض: المؤلف، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ٢٥٠ ص.
- العمل الاجتماعي الخيري: التنظيم - التحديات - المواجهة، ط ٢،
بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، ٣٢٠ ص.
- الفكر بين العلم والسلطة: من التصادم إلى التعايش، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ٢٧٧ ص.
- الفكر بين العلم والسلطة: من التصادم إلى التعايش، ط ٢ ، الرياض:
مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ٢٩٠ ص.
- فكرة الائتماء في زمن العولمة: وقفات مع المفهومات والتطبيقات،
الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ٣٢٤ ص.
- فكرة التصدي للإرهاب: وقفات مع المفهوم والأسباب والأوزار،
الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ١١٣ ص.
- مجالات التأثير والتأثير بين الثقافات: المثقفة بين شرق وغرب،
الرياض: المؤلف، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ١٧٧ ص.
- مناهي التأثير والتأثير بين الثقافات: المثقفة بين شرق وغرب، ط ٢،
بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، ١٨٧ ص.
- مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين، الرياض: مكتبة الملك فهد
الوطنية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ١٣٢ ص.



- مراكز النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، ط ٢، الرياض: المؤلف، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، ٢٠٠ ص.
- النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، ط ٣، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ٢٠٤ ص.
- ٣٠ - المستشرقون والسنة والسيرة في المراجع العربية، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ١٥٧ ص.
- ٣١ - المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ٢٦٩ ص.
- ٣٢ - المستشرقون ونشر التراث: دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر، ط ٢، الرياض: مكتبة التوبه، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ١٩١ ص، (موسوعة الدراسات الاستشرافية؛ ٢).
- ٣٣ - مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء للمواقف، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ٥٦ ص، (ضمّن في كتاب: الاستشراق والدراسات الإسلامية).
- ٣٤ - المكتبات والمعلومات السعودية: وقفات صحافية، الرياض: مكتبة العيكان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ٢٨٤ ص.
- ٣٥ - مصادر المعلومات عن الأدب الجاهلي: رصد ورافي، الرياض: مكتبة التوبه، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ٢٦٠ ص. (بالاشراك مع: أ. د. عفيف محمد عبدالرحمن).
- ٣٦ - المستشرقون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهريتين، مع نماذج من المستشرقين المنثرين، الرياض: مكتبة التوبه، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ١٧٨ ص، (موسوعة الدراسات الاستشرافية؛ ٤).
- ٣٧ - مواجهة الفقر: المشكلة وجوانب المعالجة، الرياض: المجلة العربية، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ٣٩ ص، (سلسلة كُتبيّب المجلة العربية؛ ٩٠). (بالاشراك مع: أ. د. صالح بن محمد الصفيّر).
- ٣٨ - موقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية بين الاستمداد والتأصيل،

- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، ٨٧ ص.
- ٣٩ - نقد الاستشراق والمستشرقين في المراجع العربية، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ٣٠٣ ص.
- ٤٠ - نقد الفكر الاستشرافي: الإسلام، القرآن الكريم، الرسالة، الرياض: المؤلف، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ٢٧٩ ص.
- نقد الفكر الاستشرافي حول الإسلام والقرآن الكريم والرسالة، ط ٢، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، ٣٠٢ ص.
- ٤١ - هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهويدين والتهوين، الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ٢٣٠ ص.
- هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهويدين والتهوين، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، ٢٤٥ ص.
- ٤٢ - وبشر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثراً، الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ٢٤٠ ص.
- وبشر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثراً، ط ٢، الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ٢٩٨ ص.
- ٤٣ - الوراقة وأشهر أعلام الوراقين: دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ١٩٠ ص.
- ٤٤ - الوراقة والوراقون في الحضارة الإسلامية، ٤ ج، الرياض: ???؟، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، ١١٥٥ ص.
- ٤٥ - وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية، الرياض: المجلة العربية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ٦٦ ص، (سلسلة كتيب المجلة العربية؛ ٧٣).
- وقفات حول العولمة وتنمية الموارد البشرية، القاهرة: مجلة العمل، ٢٠٠٣م، ٤٦ ص. (سلسلة كتاب العمل؛ ٥٢٥).

● العولمة وتهيئة الموارد البشرية في منطقة الخليج العربية، ط ٢ ،
الرياض: المؤلف، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م، ١٧٦ ص.

● تهيئة الموارد البشرية في زمن العولمة، ط ٣ ، بيروت: مكتبة بيسان ،
١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م، ٢٢٧ ص.

Infrastructure of Information Needs and Resources in the Country of Saudi Arabia: an Assessment. - Ph. D. Dissertation. Cleveland, Ohio (USA): Matthew A. Baxter School of Information and Library Science, Case Western Reserve University, May 1984 280. - ٤٦

ثانياً: مقالات وبحوث علمية: (مرتبة هجائيًّا)

١ - الابتعاث مؤثراً ومحدداً من محددات العلاقة بين الشرق والغرب . -

منتدى أبعاد (شيكاغو ١٥ - ١٩ / ٢٠١٤٣٥ هـ الموافق ١٨ - ٢٢ / ٢٠١٣ م). - ١٥ ص.

٢ - الاتّجار بالبشر: العلاج بالوقاية، ورقة عمل مقدمة للحلقة العلمية حول مكافحة الاتّجار بالأطفال بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، محرم ١٤٢٧ هـ / فبراير ٢٠٠٦ م، ١٧ ص.

٣ - أثر الاستشراق في الحملة على رسول الله ﷺ، مجلة الجامعة الإسلامية، ع ٤٢ مج ١٤٣٠ هـ - ديسمبر ٢٠٠٨ م، ص ١٦٥ - ٢٠٣.

٤ - أثر مؤسسات المجتمع المدني في التعامل مع مؤتمرات المرأة، البحرين: الاتفاقيات والمؤتمرات الدولية عن المرأة وأثارها على العالم الإسلامي، هـ ١٤٣١ / ٢٠١٠ م، ٢٠ ص.

٥ - أدوار المؤسسات الوسيطة في تنمية العمل الخيري: ورقة قدمت في ملتقى المؤسسات الوسيطة: شراكة وتكامل، الرياض: مؤسسة محمد وعبدالله ابني إبراهيم السبيعي الخيرية، ٢٨ - ٢٩ / ١٤٣٤ هـ الموافق ٢ - ٣ / ١١ / ٢٠١٣ م، ١٤ ص.

٦ - الإرهاب: المفهوم والهوية، الكويت: وزارة التعليم العالي، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

- ٧ - الاستثناء الثقافي في مواجهة الكونية: ثنائية الخصوصية والعالمية، القاهرة: مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب، ١٤٢٩/٨/٦ - ١١/٢٠٠٨م، ص ٣٨.
- ٨ - الاستشراق مصدرًا من مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي: قضايا المسلمين المعاصرة، الصحوة «الأصولية»، في: ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي، الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ٣٤.
- ٩ - الاستشراق والإسلام: مقدمة لنقد وراثي «بليوجرافي»، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ١٠ - الاستشراق والإعجاز في القرآن الكريم: دراسة في النقد الذاتي للاستشراق، ص ٢٥٣٤ - ٢٥١١، في: المؤتمر الدولي الثالث: العلوم الإسلامية والعربية وقضايا الإعجاز في القرآن والسنة بين التراث والمعاصرة ١٤٢٨هـ صفر ١٤٢٨ - ٤ مارس ٢٠٠٧م، المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- ١١ - الاستشراق والتتصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين تؤثران على فكر الشباب تلقينا وتفاعلناً، في: المؤتمر السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي، عمان: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ٢٦ ص.
- ١٢ - الاستشراق والقرآن الكريم: مقدمة لنقد وراثي «بليوجرافي»، مجلة البحوث والدراسات القرآنية (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة)، ع ٣ (١٤٢٨/١-٢٠٠٧م)، ص ١٩٥ - ٢٢٩.
- ١٣ - الاستشراق مصدر من مصادر المعلومات عن التراث، في: دراسات إسلامية، بريدة: نادي القصيم الأدبي، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ٦٩ - ٩٩.
- ١٤ - الاستشراق وأصالة علوم المسلمين: الفقه الإسلامي والقانون

- الروماني، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٣٠هـ، ٤٩ ص.
- ١٥ - إشكالية المصطلح المنقول للعربية: نظرة عامة ونماذج، (محاضرة) الدمام: منتدى الزامل، ١٤٣٠هـ - ٢٢/٥/٢٢ م ٢٠٠٩.
- ١٦ - الإصلاح في المجال الاجتماعي في المملكة العربية السعودية: تحديات التطوير، ١٣ ص، في:
- ١٧ - الإصلاح في دور الرعاية (محاضرة): جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية والغرفة التجارية الصناعية بجدة، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨، ١٠ ص.
- ١٨ - اضطراب المصطلح المنقول من الآخر: نماذج من مصطلحات قلقة، المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٣١هـ / ٢٠٠٩، ٣٧ ص.
- ١٩ - الإعلام وأثره الإيجابية والسلبية في حياة الأقليات المسلمة، في: ملتقى خادم الحرمين الشريفين الإسلامي الثقافي: فقه الأقليات ٨ - ١٤١٩هـ الموافق ٢١/٣/٢٠٩٨ - ٢/٨/١٩٩٨، ١٨ ص.
- ٢٠ - الإفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة، أدبيرة: جامع خادم الحرمين الشريفين بأدبيرة، بمناسبة افتتاح مركز خادم الحرمين الشريفين في أدبيرة، ٨ - ١٤١٩هـ الموافق ٢١/٣/٢٠٩٨ - ٢/٨/١٩٩٨، (محاضرة).
- ٢١ - الالتفاف على الاستشراق: محاولة التنصُّل من المصطلح، ص ٧٣٧ - ٧٧٥، في: المؤتمر الدولي الثاني: المستشرقون والدراسات العربية الإسلامية ٤ - ٦ صفر ١٤٢٧هـ الموافق ٤ - ٦ مارس ٢٠٠٦، المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦، ١٥٦١ ص.
- ٢٢ - أوقاف الكتب والمكتبات: مدى استمرارها، ومعوقات الإفادة منها، العقيق، ع ٢٧ - ٢٨ (رمضان - ذو الحجة ١٤٢٠هـ / ديسمبر ١٩٩٩ - مارس ٢٠٠٠م)، ص ٢٥١ - ٢٧٢.

- ونشرت في: بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية المنعقدة في المدينة المنورة في المدة من ٢٥ - ٢٧ محرّم ١٤٢٠هـ، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ٥٤٥ - ٥٧٠.
- ٢٣ - البطالة والفقر في البلاد العربية وأثرهما على الخطة الأمنية العربية، ورقة مقدمة في: ملتقى الإستراتيجيات الأمنية العربية: الواقع والتطورات الذي عقده - جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بالخرطوم من ٣ - ٦/١٤٣١هـ - ٢١ - ٢٣/٢٠٠٩م، ٤٣ ص. (نشرتها الجامعة في كتاب، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م).
- ٢٤ - البنية الأساسية لنظام وطني للمعلومات، مكتبة الإدارة، مج ١٣ ع ١ (محرّم ١٤٠٦هـ / أكتوبر ١٩٨٥م)، ص ٢٦٣ - ٢٨١.
- ٢٥ - البيئة القانونية والنظامية وأهميتها لتحفيز المشاركة في العمل التطوعي. ورقة مقدمة لملتقى العمل التطوعي ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م - الخبر: العرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م - ١٥ ص.
- ٢٦ - التجهيزات الأساسية للمعلومات، مكتبة الإدارة، مج ١٢، ع ٢ (جمادي الأولى ١٤٠٥هـ / يناير - فبراير ١٩٨٥م)، ص ٢٣ - ٣٨.
- ٢٧ - التّجّار والمسؤولية الاجتماعية، القصيم، ع ١١٤ (٣/١٤٢٨هـ - ٣/٢٠٠٧م)، ص ١٠ - ١١.
- ٢٨ - التحالف العربي الياباني في ضوء خصوصية الثقافات: البعثات التعليمية بين التأثير والتأثير في ندوة حوار الحضارات بين اليابان والعالم الإسلامي، المعهد الدبلوماسي / الرياض: الاثنين ٣/١٦ ١٤٢٩هـ / ٢٤/٣/٢٠٠٨م، ٢٨ ص.
- ٢٩ - التنصير القسري وأثره في التعدي على الحریات الدينية، الرياض: هيئة حقوق الإنسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ٥٠ ص.
- ٣٠ - تنمية العمل الاجتماعي: تحقيق المسؤولية الاجتماعية (محاضرة)،

- الدمام: مجلس الحصيني، ١٤٣٠/٥/١٠ - ٢٤ م٢٠٠٩/٥/٥ ص.
- ٣١ - تنمية العمل الخيري، الدوحة: مؤسسة عيد بن محمد آل ثاني الخيرية، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ٣٢ - تنمية العمل الاجتماعي في دول الخليج العربية بين الواقع وتطورات المستقبل، لندن: مركز الإمارات للدراسات والإعلام، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ٤٣ ص.
- ٣٣ - الشوايات والإستراتيجيات في الإعلام السعودي، في: وزارة الإعلام، مسيرة الإعلام السعودي، الرياض: الوزارة، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م)، ص ١٠١ - ١١٧.
- ٣٤ - الحوار الحضاري بين الأمم: إسهام الحضارة الإسلامية في بناء حضارة الأمم من خلال نقل العلوم وصقلها، المنيا: كلية دار العلوم، ٤٧ ص.
- ٣٥ - خدمات المكتبات والمعلومات في المملكة العربية السعودية: عرض لما كُتب باللغة الإنجليزية، حولية المكتبات والمعلومات (قسم المكتبات والمعلومات بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض)، ع ١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، ص ١٠٣ - ١٢٩.
- ٣٦ - الخدمات المكتبية للمعاقين في المناطق الصناعية، مجلة المكتبات والمعلومات العربية، مج ٦ ع ٢ (١٤٠٦/٨ - ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، ص ٥٥ - ٦٤.
- ٣٧ - خواطر حول إدارة العمل الاجتماعي، الرياض: كلية اليمامة، ١٤٢٧/١٠/٢٢هـ الموافق ١٣/١١/٢٠٠٦م، ١٤ ص.
- ٣٨ - دار الورقة الخليجية، عالم الكتب.
- ٣٩ - رحلات المستشرين مصدرًا من مصادر المعلومات عن العرب

- وال المسلمين، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مجلد ١ ع ١ (محرّم - جمادى الآخرة ١٤١٦هـ / يوليو - ديسمبر ١٩٩٥م)، ص ٣٩ - ٨١.
- ٤٠ العجز في القوى العاملة وتأثيره على خدمة الكتاب، عالم الكتب، مجلد ٣ ع ٣ (١٤٠٥/١٠ - ١٩٨٤هـ)، ص ٤٨٣ - ٤٩٢.
- ٤١ على تُكْرَاع النمل، مجلة الحرس الوطني، مجلد ٢ ع ٢ (١٤١٤هـ - ١٩٨٩م)، ص ٤٩٩ - ٩٩٩.
- ٤٢ العمل الاجتماعي والتحديات المعاصرة، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، (محاضرة).
- ٤٣ العمل التطوعي، الخبر: الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩/١/٢٧م، (محاضرة).
- ٤٤ عوامل يلزم اعتبارها عند التخطيط لبرامج المكتبات والمعلومات في المناطق النامية، عالم الكتب، مجلد ٣ ع ١ (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، ص ٦ - ١٠.
- ٤٥ العولمة الفكرية، دارين الثقافية، ع ١١ (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)، ص ١٦ - ٢٢.
- ٤٦ العولمة وتهيئة الموارد البشرية، الدوحة: وزارة الطاقة والصناعة في ٢٣ - ٢٢/٢٥هـ - الموافق ٦/٨/٢٠٠٢م. ٣٠ ص. (محاضرة).
- ٤٧ الفكر والعلم والسلطة، ورقة مقدمة في ملتقى الأستاذ معتوق شلبي يوم الجمعة ١٤٢٧/٨/٢٢هـ الموافق ١٥/٩/٢٠٠٦م، ١٠٩ ص.
- ٤٨ كتاب الفوائد الفيسية الباهرة في بيان حكم شوارع القاهرة في مذاهب الأئمة الأربع لأبي حامد المقدسي (٨١٩ - ٨٨٨) (تحقيق ونشر)، العصور، مجلد ٣ ع ٢ (١٤٠٨/١١هـ - ٧/١٩٨٨م)، ص ٣١٣ - ٣٥٨.
- ٤٩ كُنه الاستشراق: مناقشات في التعريف والنشأة والدافع والأهداف، في: دراسات استشرافية وحضارية: كتاب دوري محكّم، ع ١،

المدينة المنورة: كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٢ - ٦٠.

- ٥٠ مراكض «بنوك» المعلومات والجامعات العربية، مجلة المكتبات والمعلومات العربية، مجل ٨ ع ٣ (١٤٠٩/١١) هـ - ١٩٨٨م، ص ٥ - ٢٨.
- ٥١ المستشرفوُنَ وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ: دراساتٌ وَتَرْجِمَاتٌ. - محاضرة مقدمةً لجمعية تبيان. - الأربعاء ١٩/٤/١٤٣٥ هـ - ١٩/٢/٢٠١٤م.
- ٥٢ مستقبل الكتاب المطبوع، عالم الكتب، مجل ٣ ع ٢ (١٤٠٢/١٠) هـ - ٧/١٧٠، ص ١٦٢ - ١٧٠.
- ٥٣ المسؤلية الاجتماعية: شمولية المفهوم وحداثة المصطلح، (محاضرة).
- ٥٤ المسؤلية الاجتماعية للجامعات في مجال تطوير القطاع الثالث: تطوير العمل الخيري، ورقة مقدمةً لحلقة النقاش حول تطوير العمل الخيري بكرسي الشيخ عبدالرحمن الراجحي وعائلته لتطوير العمل الخيري بجامعة الملك سعود، الثلاثاء ١٥/١١/١٤٣٠ هـ - ٣/١١، م ٢٠٠٩، ص ١٥.
- ٥٥ المسؤلية الاجتماعية وشباب الأعمال، بريدة: الغرفة التجارية الصناعية، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م، ص ٢٤. (محاضرة).
- ٥٦ مفهوم الحماية الاجتماعية وعلاقتها بالتنمية. - ورقة مقدمةً إلى مؤتمر الحماية الاجتماعية والتنمية المنعقد في رحاب جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية في ١٨/١١/١٤٣٦هـ - ١٨/١١/٢٠١٤م. - الرياض: الجامعة، ١٤٣٦هـ / ١٤.
- ٥٧ المكتبة الافتراضية والتراث العربي، الدار البيضاء: الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ص ٨.
- ٥٨ مناهج التأثير والتأثير بين الثقافات: المثقفة بين شرق وغرب، أبها: النادي الأدبي بعسير، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ص ٣٨. (محاضرة).

- ونشرت في مجلة بيادر الصادرة عن النادي الأدبي بعسیر.
- ٥٩ - منهج التأثر والتأثير في العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب: حال العرب والألمان، ص ٣١١ - ٣٣٦، في: المؤتمر الدولي الرابع: الثقافة العربية الإسلامية: الوحدة والتنوع، ١ - ٣ ربيع الأول ١٤٢٩ هـ الموافق ٩ - ١١ مارس ٢٠٠٨م، المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م.
- ٦٠ - منطلقات ثقافية لحقوق الإنسان وإشكالية المصطلح، باريس: اليونسكو، ١٤٢٩ هـ / ١٢/٥ - ٢٠٠٨م / ١٢/٣، ص ٢٧.
- ٦١ - منهج الدكتور عبد الرحمن بن حمود السميط ١٣٦٦/١٢/١ - ١٤٣٤/١٠/١٥ - ١٩٤٧/١٠/١٥ - ١٩٤٧/٨/١٥ - ١٤٣٤ هـ (٢٠١٣م) في ريادة العمل الخيري: مؤسسة خيرية في رجال خير. - جامعة أم القرى / مكة المكرمة (١٤٣٥/٢/٥ - ١٤٣٥/٨/١٢ - ١٤٣٥/١٢/٣)، ص ١٥.
- ٦٢ - الموسوعة الفكرية عبد الوهاب المسيري، (محاضرة) النادي الأدبي بالرياض (السبت ٢٠/٦/١٤٣٠ هـ الموافق ١٣/٦/٢٠٠٩م)، ٨٠ ص، ونشرتها المجلة العربية في ملحقها الشهري بصورة كتاب.
- ٦٣ - نظرية المستشرين للملك عبدالعزيز وجهوده في توحيد المملكة العربية السعودية، في: المملكة العربية السعودية في مئة عام: بحوث ودراسات، ١٥ مع، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٨ هـ، ٤: ٣٨٣ - ٤٢٣.
- ٦٤ - نقد الاستشراق: مقدمة لرصد ورافي «بليوجرافي»، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع (١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩م). ص.
- ٦٥ - وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية، مجلة التعاون الصناعي في الخليج العربي (الدوحة)، ع ٨٩ (يوليو ٢٠٠٢م)، ص ٥٨ - ٧٥.
- ٦٦ - Cultural Issues in Human Rights and the Vagueness of Terminology. - Perth, Australia: Center for Studies of Muslim States and Societies, University of Western Australia, 2009. 20 p.

- Index of Information Utilizaion Potencial (IUP) as an Information Measure, Arab Journal for Librarianship & Information Science.- v. 7, no. 3 (7/1987).- p. 4 -14. — ٦٧
- Manpower Deficiency in Saudi Arabia: Its Effect on the Library and Information Profession.- International Library Review 14: 3 - 20 (1982). — ٦٨
- Principles for Planning Library Education Programs in the Muslim World, Journal of Muslim Social Scientists, 1982. 18 p. — ٦٩
- Principles for Planning Library Education Programs in the Muslim World.- 2 Presented in the First Conference of Muslim Librarians and Information Scientists. Sponsored by the Muslim Students' Association. West Lafayette, Indiana: Purdue University, 1982. 18 p. — ٧٠